

Al-milani.com

شرح منهاج الكرامة / ج ٤

تأليف:

السيد علي الحسيني الميلاني

مركز الحقائق الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسّلام على خير خلقه محمّد وآله الطّاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الأولين والآخرين.

وبعد، فقد استدلّ العلامة الحليّ قدّس سره لإمامة أميرالمؤمنين من القرآن الكريم بأربعين آية، ثمّ باثني عشر حديثاً من السنّة النبويّة الثابتة. وقد اشتمل هذا الجزء من كتابنا على الآيات والأحاديث، عدا ثلاثة آيات تقدمت في الجزء السّابق.

وقد ذكرنا نصّ كلام ابن تيميّة في منهجه حول عدّة من الآيات بكامله، ثمّ رأينا أنّ الأفضل تلخيص ما قاله بلفظه فيما يتعلّق بالبحث، وطرحنا استطراداته وشتائمهم.

ولا يخفى، أنّنا قد استفدنا من سائر مؤلّفاتنا في البحوث العلميّة، ومن كتاب موسوعة النصوص في الإمامة لآية الله النجفي المرعشي في نقل بعض الأحاديث من مصادر السنّة، وبالله التوفيق.

علي الحسيني الميلاني

البرهان الرابع

قوله تعالى: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّٰ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ).

روى الفقيه علي بن المغازلي الشافعي بإسناده عن ابن عباس قال: كنت جالساً مع فتية من بني هاشم عند النبي صلى الله عليه وآله إذ انقضَّ كوكب، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من انقضَّ هذا النجم في منزله فهو الوصي من بعدي! فقام فتية من بني هاشم فنظروا الكوكب قد انقضَّ في منزل علي بن أبي طالب عليه السلام. قالوا: يا رسول الله، قد غويت في حبِّ علي! فأنزل الله تعالى: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّٰ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ).

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بصحَّته...

الثاني: إن هذا كذب باتفاق أهل العلم بالحديث. وهذا المغازلي ليس من أهل الحديث، كأبي نعيم وأمثاله، ولا هو أيضاً من جامعي العلم الذين يذكرون ما غالبه حق وبعضه باطل كالثعلبي وأمثاله، بل هذا لم يكن الحديث من صنعته، فعمد إلى ما وجدته من كتب من فضائل علي فجمعها، كما فعل أخطب خوارزم، وكلاهما لا يعرف الحديث...

وهذا الحديث ذكره الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي في الموضوعات، لكنّ بسياق آخر... قال: هذا حديثٌ موضوع... والمتّهم به الكلبي...

قلت: إذا لم يكن هذا الحديث في تفسير الكلبي المعروف عنه، فهو مما وضع بعده، وهذا هو الأقرب.

قال أبو الفرج: وقد سرق هذا الحديث بعينه قوم وغيروا إسناده...

الوجه الثالث: إنه ممّا بيّن أنه كذب أن فيه أن ابن عباس شهد نزول سورة النجم حين انقضّ الكوكب في منزل علي. وسورة النجم باتفاق الناس من أوّل ما نزل بمكّة، وابن عباس حين مات النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلّم كان مراهقاً للبلوغ لم يحتلم بعد، هكذا ثبت عنه في الصحيحين... والأقرب أنه لم يكن ولد عند نزول سورة النجم، فإنها من أوائل ما نزل من القرآن.

والوجه الرابع: إنه لم ينقض قط كوكب إلى الأرض بمكّة ولا بالمدينة ولا غيرهما...

والوجه الخامس: إن نزول سورة النجم كان في أوّل الإسلام، وعلي إذ ذاك كان صغيراً... وأمر الوصيّة بالإمامة لو كان حقّاً إنما يكون في آخر الأمر، كما ادّعوه يوم غدِيرخَم، فكيف يكون قد نزل في ذلك الوقت؟

الوجه السادس: إن أهل العلم بالتفسير متفقون على خلاف هذا...

الوجه السابع: إن من قال لرسول الله صلّى الله عليه [وآله]: غويت، فهو كافر، والكفّار لم يكن النبي يأمرهم بالفروع قبل الشهادتين والدخول في الإسلام.

الوجه الثامن: إنّ هذا النجم إنّ كان صاعقة، فليس نزول الصاعقة في بيت شخص كرامة له، وإنّ كان من نجوم السماء، فهذه لا تفارق الفلك، وإنّ كان من الشهب، فهذه يرمى بهارجوماً للشياطين...

أقول:

إنّ البحث في هذا الحديث في جهات:

الأولى: السند:

لقد ورد حديث سورة والنجم وانقضاء الكوكب في منزل علي عليه السلام وقول رسول الله صلى الله عليه وآله : من انقضّ هذا النجم في منزله - أو في داره - فهو الوصي - أو الخليفة - من بعدي» في غير واحد من كتب القوم، فقد رواه:

الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق.^(١)

والحافظ أبو عبد الله الكنجي الشافعي في كفاية الطالب^(٢)

والفقيه ابن المغازلي الشافعي في مناقب علي^(٣)

والحافظ الحاكم الحسكاني النيسابوري في شواهد التنزيل^(٤)

وغيرهم.

فابن المغازلي غير منفرد برواية هذا الحديث، ولذا قال العلامة في كتابه الآخر: «روى

الجمهور»^(١).

ويشهد بذلك كلام أبي الفرج ابن الجوزي، إذ نسب روايته إلى «قوم» من رواة أهل السنّة.

وإذا نظرت إلى أسانيد هذه الكتب، لوجدت في رواته بعض الأكابر من الحفاظ، كأبي محمد

الجوهري.^(٢)

(١) ٤٢ / ٣٩٢.

(٢) كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ٢٦١.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب ١ / ٣٧٦.

(٤) شواهد التنزيل ٢ / ٢٧٨.

ثم إنه قد اختلفت كلماتهم في السند:

فأما أبو الفرج ابن الجوزي، فقد أدرجه في الموضوعات بإسناده عن «محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس» وفيه: «في دار من وقع هذا النجم فهو خليفتي من بعدي» قال: «في إسناده ظلمات، منها: أبو صالح باذام. وهو كذاب. وكذلك الكلبي ومحمد بن مروان السدي. والمتمهم به الكلبي. قال أبو حاتم ابن حبان: كان الكلبي من الذين يقولون إن علياً لم يمت وإنه يرجع إلى الدنيا، وإن رأوا صحابه قالوا: أمير المؤمنين فيها. لا يحل الاحتجاج به»

ثم رواه من طريق آخر عن أنس بن مالك، وفيه: «فمن انقض في داره فهو الخليفة من بعدي» قال: «وهذا هو الحديث المتقدم، إنما سرقه بعض هؤلاء الرواة فغيروا إسناده».^(٣)

فالحديث عند ابن الجوزي من الموضوعات.

أما ابن عساكر، فإنه بعد أن رواه بإسناده عن سعيد بن جبير قال: «هذا حديث منكر، ومن بين أبي عمر وبين هيثم مجهولون لا يعرفون».^(٤)

وأنت تعرف أن «المنكر» غير «الموضوع» قال الحافظ النووي: «النوع الرابع عشر: معرفة المنكر. قال الحافظ البرديجي: هو الفرد الذي لا يعرف متنه عن غير روايه. وكذا أطلقه كثيرون. والصواب فيه التفصيل الذي تقدّم في الشاذ»^(١)

وأما السيوطي، فأورده عن ابن عباس فقال: «باطل، في إسناده ظلمات، أبو صالح والكلبي وابن مروان السدي كذابون» ثم أورده عن الجوزقاني بالإسناد عن أنس ثم قال: «لا أصل له. أبو الفضل

(١) نهج الحق: ١٩٣.

(٢) انظر تاريخ دمشق ٤٢ / ٣٩٢.

(٣) الموضوعات ١ / ٣٧٢.

(٤) تاريخ دمشق ٤٢ / ٣٩٢.

الطَّار وسليمان وشيخه ومالك بن غَسَّان، ثلاثتهم مجهولون. وثوبان زاهد صوفي لكنه ضعيف.
وأبوقضاعة متروك.

قلت: أورده في الميزان في ترجمة أبي قضاة وقال: باطل. والله أعلم»^(٢).

وأورده الحافظ ابن حجر بترجمة أبي قضاة حيث قال:

«ربيعة بن محمد، أبو قضاة الطائي، عن ذي النون المصري، بخبر باطل، قال الجوزقاني:

متروك. قال: والخبر عن ذي النون عن مالك بن غَسَّان عن ثابت عن أنس...»^(٣)

ثم إن الاعتماد على آراء أبي الفرج في الموضوعات غيرجائز عند المحققين منهم، فقد نصّوا

على أنه قد ذكر في هذا الكتاب كثيراً ممّا لا دليل على وضعه...^(٤)

لكنّ ابن تيميّة يأخذ بما يوافق هواه.

وأما اتّهام ابن الجوزي الكلبي، فمردود بأنّ علمائهم قرّروا الأخذ بما ورد عنه في التّفسير، وقد

أوضحنا ذلك في بحوثنا، وهذا المورد من ذلك.

وتلخّص:

إنّ هذا الحديث ليس موضوعاً، بل إنّ تعدّد أسانيده واشتهاره فيما بينهم يوجب الوثوق به، لاسيّما

مع اعتضاده بالأحاديث الكثيرة المصّرحّة بوصاية الإمام وخلافته بعد رسول

الله صلّى الله عليه وآله وسلّم.

الثانية: في المتن.

(١) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ١ / ١٩٩.

(٢) اللآلي المصنوعة ١ / ٣٨٥.

(٣) لسان الميزان ٢ / ٥٢٠.

(٤) تدريب الراوي ١ / ٢٣٥.

فهنا أمور:

الأول: إن كانت سورة النجم مكيّة، فأين الإتّفاق على أنها من أوّل ما نزل بمكة؟

هذا من مفتريات ابن تيمية وأتباعه.

وكونها مكيّة أعمّ من أن تكون نازلةً بمكة قبل الهجرة أو بعدها، فإنّ من اصطلاحات «المكي»

هو: ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة.^(١)

الثاني: إن كان الراوي عبدالله بن عباس، فإنّ القول بأنه حين مات النبي صلى الله عليه وآله

كان مراهقاً للبلوغ لم يحتلم بعد، لا يضرّ بثبوت الحديث عنه، لاسيّما وأن ابن عبدالبرّ الحافظ روى

من طريق عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: توفي

رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا ابن خمس عشرة سنة. قال عبدالله: قال أبي: وهذا هو الصّواب.^(٢)

وبذلك قال جماعة من الحفاظ.^(٣)

بل إنّ ابن تيمية نفسه يعترف به إذ يقول في نفس هذا المبحث: فإنّ

النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم لما هاجر كان لابن عباس نحو خمس سنين.^(٤)

وحيئنذ، فقد كان له عند المعراج - والحديث في رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وارد

في المعراج - أربع سنين، ولا ريب في صحّة تحمّله للحديث في هذا السنّ، وقد ذكروا بترجمة عبدالله

بن الزبير حضوره الخندق وضبطه القصة وهو دون أربع سنين.^(١)

بل لقد ذكروا بترجمة سفيان بن عيينة أنه حفظ القرآن وهو ابن أربع سنين^(٢)

(١) الإتقان في علوم القرآن ١ / ٣٧.

(٢) الاستيعاب ٣ / ٩٣٤.

(٣) تهذيب الكمال ١٠ / ٢٥٥؛ سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٣٥؛ اسدالغاية ٣ / ١٩٠.

(٤) منهاج السنة ٧ / ٦٦.

والثالث: قوله: إن من قال لرسول الله صلى الله عليه وآله: «غويت» فهو كافر... حماية لمن كان حول رسول الله من المنافقين، إذ قال تعالى: (وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ...) والمنافق يقول هذا الكلام كما يقوله المشرك، وقد صدر من بعضهم ما هو أشنع وأفظع، كما لا يخفى.

والرابع: ما ذكره حول «النجم» الذي انقضَّ... كلام بارد لا يستحق الجواب.

والخامس: ما طعن به في علماء قومه، كالثعلبي وأبي نعيم والخوارزمي وابن المغازلي وأمثالهم... لا يستحق الردّ كذلك.

الثالثة: في الدلالة.

قال: وأمر الوصيَّة بالإمامة لو كان حقاً إنّما يكون في آخر الأمر، كما ادَّعوه يوم غدیر خم، فكيف يكون قد نزل في ذلك الوقت؟
قلت:

أولاً: ففي الحديثين اللذين ذكرهما أبو الفرج ابن الجوزي وغيره: الخلافة.

وثانياً: المراد من هذه الوصيَّة هو الإمامة والخلافة من بعده، وقد جاء ذكر الوصيَّة في

كلامه صلى الله عليه وآله عن علي عليه السلام في الأيام الأولى، كيوم الإنذار وحديث الدار.

(١) شرح صحيح مسلم ١٥ / ١٨٩ - ١٩٠.

(٢) شرح الكرمانى على صحيح البخارى ١ / ١٦.

البرهان الخامس

قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا).

روى أحمد بن حنبل في مسنده عن واثلة بن الأسقع قال: طلبت علياً عليه السلام في منزله، فقالت فاطمة: ذهب يأتي برسول الله صلى الله عليه وآله فجاءاً جميعاً فدخلوا ودخلت معهما، فأجلس علياً عن يساره وفاطمة عن يمينه والحسن والحسين بين يديه، ثم التفت إليهم ثوبه وقال: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا). اللهم إن هؤلاء أهلي، اللهم هؤلاء أحق.

وعن أم سلمة قالت: إن النبي صلى الله عليه وآله كان في بيتها، فأنته فاطمة ببرمة فيها خزيرة فدخلت بها عليه، قال: أدعي لي زوجك وابنيك. قالت: فجاء علي وحسن وحسين عليهم السلام فدخلوا، فجلسوا يأكلون من تلك الخزيرة، وهو وهم على منام له على دكان تحته كساء خيبري، قالت: وأنا في الحجرة أصلي، فأنزل الله تعالى هذه الآية: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)، قالت: فأخذ فضل الكساء وكساهم به، ثم أخرج يده فألوى بها إلى السماء وقال: «هؤلاء أهل بيتي وخاصتي، اللهم فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، وكرّر ذلك. قالت: فأدخلت رأسي وقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: إنك إلى خير إنك إلى خير.

وفي هذه الآية دلالة على العصمة مع التأكيد بلفظ إنما، وبإدخال اللام في الخبر، والإختصاص في الخطاب بقوله: أهل البيت، والتكرير بقوله: يطهركم، والتأكيد بقوله: تطهيراً. وغيرهم ليس بمعصوم، فتكون الإمامة في علي عليه السلام.

ولأنه ادّعاها في عدّة من أقواله كقوله: والله لقد تقمّمها ابن أبي قحافة وهو يعلم أن محليّ منها محلّ القطب من الرحي.

وقد ثبت نفي الرجس عنه، فيكون صادقاً. فيكون هو الإمام.

أقول:

قد تكرر احتجاج العلامة بأية التطهير ثلاث مرّات:

فمرّة قال في أئمة أهل البيت عليهم السلام: نزل في حقّهم (هَلْ أَتَى) وآية الطهارة، وإيجاب

المودّة...

وقال ثانياً في الوجه السادس من الوجوه الدالّة على أن مذهب الإماميّة واجب الاتّباع، عند ذكر

بعض فضائل أمير المؤمنين عليه السلام: فمن ذلك ما رواه أبو الحسن الأندلسي... عن أمّ سلمة زوج

النبي صلّى الله عليه وآله أن قوله تعالى (أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ...)...

وهذه هي المرّة الثالثة، إذ أورد الآية المباركة في الأدلّة الدالّة على إمامة الإمام عليه السلام من

الكتاب العزيز.

وقد شرحنا كلام العلامة في المورد الثّاني وبيّنا مرامه، فلانعيد.

كلام ابن تيميّة:

أمّا ابن تيميّة، فقد اضطرب حاله واختلف كلامه تجاه هذا الاحتجاج.

فأول شيء يلاحظ في كلامه، اعترافه في موضع بصحّة حديث الكساء الوارد في ذيل الآية، إذ

قال: «وأما حديث الكساء، فهو صحيح...»^(١)، ولكنّه في الموضوع الآخر لم ينصّ على صحة الحديث

أصلاً.^(١) وأمّا في هذا الموضوع - وهو الثالث - فيقول: إنّ هذا الحديث صحيح في الجملة.^(٢)

(١) منهاج السنة ٥ / ١٣ - ١٥.

فما هو السبب في هذا الإضطراب؟

ثم إنه يعترف في موضع باختصاص الآية بأهل البيت عليهم السلام، فهي غير شاملة للأزواج،

فقال في مقام الجواب:

«وهذا الحديث قد شركه فيه فاطمة وحسن وحسين رضي الله عنهم، فليس هو من

خصائصه».^(٣)

وفي الموضع الآخر، صرح بدخول الأزواج في الآية مستدلاً بالسياق فقال:

«ويدل على أن أزواج النبي من أهل بيته، فإن السياق إنما هو في مخاطبتهم»^(٤)

وأما في هذا الموضع الأخير، فهذه عبارته:

«إن أزواج النبي صلى الله عليه [وأله] المذكورات في الآية... فالخطاب كله لأزواج النبي ومعهم

الأمر والنهي والوعد والوعيد، لكن لما تبين ما في هذا من المنفعة التي تعمهن وتعم غيرهن من أهل

البيت، جاء التطهير بهذا الخطاب وغيره، وليس مختصاً بأزواجه، بل هو متناول لأهل البيت كلهم،

وعلي وفاطمة والحسن والحسين أخص من غيرهم بذلك...»^(٥)

فما هو السبب في ذلك؟

هذا، ولكننا قد أوضحنا: أن الآية المباركة خاصة بأهل البيت عليهم السلام، والقول بشمولها

للأزواج باطل كالقول باختصاصها بهن.

(١) منهاج السنة ٤ / ٢١ - ٢٤.

(٢) منهاج السنة ٧ / ٧٠.

(٣) منهاج السنة ٥ / ١٣.

(٤) منهاج السنة ٤ / ٢٣.

(٥) منهاج السنة ٧ / ٧٣ - ٧٤.

كما أوضحنا أنّ الإرادة في الآية المباركة تكوينيّة وليست تشريعيّةً، وأنّ ذلك لا ينافي بطلان القول بالجبر، وأنّ كلّ ما ذكره ابن تيمية من هذه الناحية ساقط، والآية المباركة دالّة على عصمة أهل البيت عليهم السلام.

قال ابن تيمية:

هب أنّ القرآن دلّ على طهارتهم وإذهاب الرجس عنهم، كما أن الدعاء المستجاب لا بدّ أن يتحقق معه طهارة المدعوّ لهم وإذهاب الرجس عنهم، لكن ليس في ذلك ما يدلّ على العصمة من الخطأ، والدليل عليه: إن الله لم يرد بما أمر به أزواج النبي صلّى الله عليه [وأله] وسلم أن لا يصدر من واحدة منهنّ خطأ... وبالجملة، فالتطهير الذي أراه الله والذي دعا به النبي ليس هو العصمة بالاتفاق، فإن أهل السنّة عندهم لامعصوم إلاّ النبي صلّى الله عليه [وأله] وسلم، والشيعّة يقولون: لامعصوم غير النبي والإمام. فقد وقع الاتفاق على انتفاء العصمة المختصّة بالنبي والإمام عن أزواجه وبناته وغيرهن من النساء.^(١)

وهذا الكلام باطلٌ في باطل.

أمّا أوّلاً، فقد أدخل في البحث البنات وغيرهن من النساء، بالإضافة إلى الأزواج، وهذا ما لم يقل به أحدٌ ممّن يعتنى بقوله من أهل السنّة.

وأما ثانياً: فالآية مختصّة بأهل البيت، ولا علاقة لها بالأزواج فضلاً عن غيرهنّ، وهي دالّة على عصمتهم.

ثم إنه بعد أن زعم أن الإرادة تشريعيّة قال:

(١) منهاج السنة ٧ / ٧٩ و ٨٣.

«والدليل على ذلك: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ بعد نزول هذه الآية قال: اللَّهُمَّ هؤُلاءِ أَهْلَ بَيْتِي، فَأَذْهَبْ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً. فَطَلَبَ مِنْ اللَّهِ لَهُمْ إِذْهَابَ الرَّجْسِ وَالتَّطْهِيرَ. فَلَوْ كَانَتِ الْآيَةُ تَتَضَمَّنُ إِخْبَارَ اللَّهِ بِأَنَّهُ قَدْ أَذْهَبَ عَنْهُمْ الرَّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ، لَمْ يَحْتَجْ إِلَى الطَّلَبِ وَالدَّعَاءِ»^(١).

وهذا أيضاً جهل أو تجاهل.

أما أولاً: فَإِنَّ أَكْثَرَ الرِّوَايَاتِ وَرَدَتْ فِي تَقَدُّمِ الدَّعَاءِ عَلَى نَزُولِ الْآيَةِ. وَالصَّحِيحُ تَكَرَّرَ هَذِهِ الْوَاقِعَةُ. وَأما ثانياً: فَلَوْ سَلَّمْنَا، فَإِنَّ مَعْنَى الطَّلَبِ وَالدَّعَاءِ حِينَئِذٍ هُوَ بَقَاءُ طَهَارَتِهِمْ وَاسْتِمْرَارِهَا، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **(أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)**، حَيْثُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمُطَهَّرِينَ كَانُوا يَقْرَأُونَ سُورَةَ الْفَاتِحَةِ فِي صَلَوَاتِهِمْ وَيَطْلُبُونَ مِنَ اللَّهِ الْهَدَايَةَ. وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْ ذَلِكَ الثَّبَاتَ عَلَيْهَا وَالتَّقَدُّمَ وَالرَّقِيَّ فِي مَرَاتِبِهَا.

البرهان السادس

قوله تعالى: (في بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ

وَالْأَصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ)

قال الثعلبي: بإسناده عن أنس بن مالك وبريدة قالوا: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله هذه

الآية، فقام رجل فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ فقال: بيوت الأنبياء. فقام إليه أبوبكر فقال: يا

رسول الله، هذا البيت منها، يعني بيت علي وفاطمة؟ قال: نعم، من أفاضلها.

ووصف فيها الرجال بما يدل على أفضليتهم، فيكون علي هو الإمام، وإلا لزم تقديم المفضلون

على الفاضل.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بصحة هذا النقل، ومجرد عزو ذلك إلى الثعلبي ليس بحجة باتفاق أهل السنة

والشيعية. وليس كل خبر رواه واحد من الجمهور يكون حجة عند الجمهور، بل علماء الجمهور متفقون

على أن ما يرويه الثعلبي وأمثاله لا يحتجون به...

والثاني: إن هذا الحديث موضوع عند أهل المعرفة بالحديث...

والثالث: أن يقال: الآية باتفاق الناس هي في المساجد... وبيت علي وغيره ليس موصوفاً بهذه

الصفة.

والرابع: أن يقال: بيت النبي صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم أفضل من بيت علي باتفاق المسلمين، ومع هذا لم يدخل في هذه الآية...

والخامس: إن قوله: هي بيوت الأنبياء. كذب، فإنه لو كان كذلك لم يكن لسائر المؤمنين فيها نصيب، وقوله: (يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا) متناول لكل من كان بهذه الصفة.

والسادس: إن قوله: (فِي بُيُوتِ الَّذِينَ آمَنُوا) نكرة موصوفة ليس فيها تعيين...

والسابع: أن يقال: إن أريد ببيوت الأنبياء ماسكنه النبي، فليس في المدينة من بيوت الأنبياء إلا بيوت أزواج النبي صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم، فلا يدخل فيها بيت علي. وإن أريد ما دخله الأنبياء، فالنبي قد دخل في بيوت كثير من الصحابة.

والثامن: أن يقال: قوله: والرجال المذكورون موصوفون بأنهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، ليس في الآية ما يدل على أنهم أفضل من غيرهم...

والتاسع: أن يقال: هب أن هذا يدل على أنهم أفضل ممن ليس كذلك من هذا الوجه، لكن لم قلت: إن هذه الصفة مختصة بعلي؟...

والعاشر: إنه لو سلّم أن علياً أفضل من غيره في هذه الصفة، فلم قلت: إن ذلك يوجب الإمامة؟ وأما امتناع تقديم المفضل على الفاضل إذا سلّم، فإنما هو في مجموع الصفات التي تناسب الإمامة...

أقول:

روى هذا الحديث جماعة من الحفاظ الكبار والعلماء الأعلام من أهل السنّة، ومنهم:

أبو اسحاق الثعلبي^(١)

أبو بكر ابن مردويه

(١) تفسير الثعلبي ٧ / ١٠٧.

الحاكم الحسكاني^(١)

جلال الدين السيوطي^(٢)

شهاب الدين الآلوسي^(١)

وقد روه عن: أنس بن مالك وبريدة وأبي برزة.

وفي الأسانيد غير واحد من الأئمة الحفاظ، فالحسكاني مثلاً رواه عن أبي زرعة الرازي عن

الحافظ ابن عقدة بسنده عن أبان بن تغلب عن نفيح بن الحارث عن أنس ابن مالك وبريدة...

ورواية هؤلاء وتعدد الأسانيد واعتضاد الحديث بالأحاديث الأخرى يوجب الوثوق بصدوره، ويجوز

الاحتجاج به على الرواة له ومن يعتمد عليهم في سائر الموارد.

وأما تكلم ابن تيمية في أبي إسحاق الثعلبي، فمردود بكلمات كبار حفاظ أهل السنة في الثناء

عليه وتوثيقه والاستناد إليه في تفسير الآيات من القرآن الكريم، وهذه جملة من كلماتهم فيه وفي

تفسيره:

قال ابن خلكان: «أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، المفسر المشهور،

كان أوجد أهل زمانه في علم التفسير، وصنف التفسير الكبير الذي فاق غيره من التفاسير...، وقال

أبو القاسم القشيري: رأيت رب العزة عز وجل في المنام وهو يخاطبني وأخاطبه، فكان في أثناء ذلك أن

قال الرب تعالى اسمه: أقبل الرجل الصالح. فالتفت فإذا أحمد الثعلبي مقبل!

وذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في كتاب سياق تاريخ نيسابور وأثنى عليه، وقال: هو

صحيح النقل موثوق به، حدث عن أبي طاهر بن خزيمة والإمام أبي بكر ابن مهران المقري، وكان

(١) شواهد التنزيل ١ / ٥٣٢.

(٢) الدر المنثور ٦ / ٢٠٣.

كثير الحديث كثير الشيوخ، توفي سنة ٤٢٧، وقال غيره: توفي في محرّم سنة ٤٢٧، وقال غيره: توفي يوم الأربعاء لسبع بقين من المحرّم سنة ٤٣٧ رحمه الله تعالى»^(٢).

وقال الذهبي: «وفيهما توفي أبو إسحاق الثعلبي، وكان حافظاً، واعظاً، رأساً في التفسير والعربية، متين الديانة»^(٣).

وقال الصفدي: «كان حافظاً، عالماً، بارعاً في العربية، موثقاً»^(٤).

وقال الياضي: «المفسر المشهور، وكان حافظاً، واعظاً، رأساً في التفسير والعربية متين الديانة، فاق بتفسيره الكبير سائر أهل التفاسير»^(٥).

وقال ابن قاضي شهبة: «أخذ عنه أبو الحسن الواحدي. روى عن أبي القاسم القشيري. قال الذهبي: كان حافظاً، رأساً في التفسير والعربية، متين الديانة»^(٦).

وقال السيوطي: «كان إماماً كبيراً، حافظاً للغة، بارعاً في العربية»^(٧).

ولكن ابن تيمية يتبع هواه في مدحه وذمه للأشخاص والكتب، وقد يقع في التناقض، فمثلاً: يحتجّ بكتاب المستدرک للحاكم في مواضع كثيرة^(٨) بل يذكر الحاكم في جماعة من الحفاظ ويقول: هؤلاء... أعلم الناس بأحوال رسول الله صلى الله عليه وآله من غيرهم^(٩).

(١) روح المعاني ١٨ / ١٧٤.

(٢) وفيات الأعيان ١ / ٧٩.

(٣) العبر في خبر من عبر: حوادث سنة ٤٢٧.

(٤) الوافي بالوفيات ٧ / ٣٠٧.

(٥) مرآة الجنان: حوادث سنة ٤٢٧.

(٦) طبقات الشافعية ١ / ٢٠٣.

(٧) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ١ / ٣٥٦.

(٨) منهاج السنة ٥ / ١٠٥، ٧ / ٣٧٢، ٨ / ٣٥٠ و ٣٥٤.

(٩) منهاج السنة ٧ / ٤٢٦ - ٤٢٨.

ولكنّه عندما يحتجّ الإمامية بحديث في المستدرک صحّحه الحاكم ووافقه الذهبي في التلخيص

يقول: إسناده ضعيف.^(١)

ويكثر من الإحتجاج بكتاب البخاري، أمّا حيث ينقل عنه الإمامية ويحتجون بحديثه يقول: في

البخاري أغلاط.^(٢)

وهكذا كلامه في مسند أحمد، والسنن الأربعة، مع نقله عنها واعتماده عليها.

بل الثعلبي نفسه، اعتمد عليه في موضع قال: «كما نقل ذلك الثعلبي عنه بإسناده في تفسير قوله

(أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا)^(٣). أمّا حيث يروي الثعلبي ما لا يوافق هوى ابن تيميّة ويحتجّ به

الإماميّة، يطعن فيه وفي تفسيره كما رأيت.

ثم إنّ النقص بأفضليّة بيت النبي من بيت علي - عليهما الصلاة والسلام، باطلٌ جدًّا، إذ لا يقول

أحدٌ بذلك، وإنّما الكلام بين الأمير وسائر الصحابة، ولكن من دأب ابن تيميّة النقص بالباطل كما

لا يخفى. فمثلا: لمّا ذكر العلامة رحمه الله أنّ عليّاً عليه السلام كان أشجع الناس، نقض عليه بأنّ

النبيّ صلّى الله عليه وآله أشجع منه!!

وأما أنّ المقصود من «البيوت» هي «المساجد»، فقد عرفت أنّ الحديث صريح في بطلانه، ولذا

قال الآلوسي بعد ذكره: وهذا إنّ صحّ لا ينبغي العدول عنه^(٤)، وقد عرفت أنّه ممّا ينبغي الوثوق به، بل

إنّهم قد اختلفوا في المراد منه على أقوال، كما لا يخفى على من يراجع تفاسيرهم.

وبما ذكرنا تندفع شبهاته الأخرى في معنى الآية.

(١) منهاج السنة ٥ / ٣٩٦.

(٢) منهاج السنة ٥ / ١٠١ - ١٠٢، ٧ / ٢١٥.

(٣) منهاج السنة ٢ / ٢٤٧.

(٤) روح المعاني ١٨ / ١٧٤.

وأما دلالة الآية - بضمّ الحديث إليها - على الأفضليّة، فواضحة من نفس الآية، فقد قال تعالى:

(في بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ... لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) فليس كلام ابن تيميّة في قبال كلام الله إلاّ مكابرةً وعناداً.

وقد ناقض نفسه في مسألة قبح تقدّم المفضول على الفاضل، فهنا يشكك في هذا الحكم العقلي

فيقول: «إذا سلّم»، والحال أنه ينصّ في غيرموضع على هذه القاعدة، ويعزو القول بها إلى جمهور

العلماء.^(١)

البرهان السابع

قوله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى).

روى أحمد في مسنده عن ابن عباس قال: لما نزل: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ

فِي الْقُرْبَى)، قالوا: يا رسول الله من قرابتك الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما.

وكذا في تفسير الثعلبي، ونحوه في الصحيحين.

وغير علي عليه السلام من الصحابة الثلاثة لا تجب مودّته. فيكون علي عليه السلام أفضل

فيكون هو الإمام، لأن مخالفته تنافي المودّة وامتنال أوامره يكون مودّة، فيكون واجب الطّاعة، وهو

معنى الإمامة.

أقول:

وقد وقع الكلام في منهاج ابن تيميّة عن هذه الآية في مواضع:

قال:

«ثبت في الصحيح عن سعيد بن جبير: أنّ ابن عبّاس سئل عن قوله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ

عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قال: فقلت: إلّا أن تودّوا قربي محمّد. فقال ابن عبّاس:

عجلت! إنّه لم يكن بطن من قريش إلّا لرسول الله منهم قرابة فقال: قل لا أسألكم عليه أجرًا إلّا أن

تودّوني في القرابة التي بيني وبينكم. فابن عبّاس كان من كبار أهل البيت وأعلمهم بتفسير القرآن،

وهذا تفسيره الثابت عنه.

ويدلّ على ذلك أنه لم يقل: إلا المودّة لذوي القربى، ولكن قال: إلا المودّة في القربى. ألا ترى أنه لما أراد ذوي قربه قال: **(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى)**. ولا يقال: المودّة في ذوي القربى، وإنما يقال: المودّة لذوي القربى، فكيف وقد قال **(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)؟!!**

وبيّن ذلك: إنّ الرسول صلّى الله عليه وآله لا يسأل أجراً أصلاً، إنّما أجره على الله، وعلى المسلمين موالاة أهل البيت لكن بأدلة أخرى غير هذه الآية. وليست موالاة أهل البيت من أجر النبي في شيء.

وأيضاً، فإنّ هذه الآية مكّية، ولم يكن علي قد تزوّج بفاطمة، ولا وُلد له أولاد^(١).

«وأما قوله: وأنزل الله فيهم **(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)** فهذا كذب

ظاهر، فإنّ هذه الآية في سورة الشورى، وسورة الشورى مكّية بلا ريب، نزلت قبل أن يتزوّج عليّ بفاطمة... وقد تقدّم الكلام على الآية وأنّ المراد بها ما بيّنه ابن عباس... رواه البخاري وغيره...

وقد ذكر طائفة من المصنّفين من أهل السنّة والجماعة والشيعة، من أصحاب أحمد وغيرهم،

حديثاً عن النبي صلّى الله عليه وسلم أن هذه الآية لما نزلت قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء؟ قال: عليّ وفاطمة وابناهما.

وهذا كذب باتّفاق أهل المعرفة^(٢)!

وكرر ابن تيمية في الموضع الثالث:

(١) منهاج السنّة ٤ / ٢٥ - ٢٧.

(٢) منهاج السنّة ٤ / ٥٦٢ - ٥٦٣.

تكذيب الحديث المذكور. وأنّ الآية في سورة الشورى وهي مكّيّة، وأنّ عليّاً إنّما تزوّج فاطمة بالمدينة... وأنّ التفسير الذي في الصحيحين يناقض ذلك الحديث، قال: سئل ابن عبّاس... وأنه قال: (لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) ولم يقل: إِلَّا الْمَوَدَّةَ لِلْقُرْبَى، ولا المودّة لذوي القربى كما قال: (وَاعْلَمُوا...)... وأنّ النبيّ لا يسأل على تبليغ رسالة ربّه أجراً ألبتة، بل أجره على الله... وأنّ القربى معرّفة باللام، فلا بدّ أن تكون معروفةً عند المخاطبين.

وقد ذكرنا أنّها لما نزلت لم يكن قد خُلِقَ الحسن ولا الحسين، ولا تزوّج عليّ بفاطمة، فالقربى التي كان المخاطبون يعرفونها يمتنع أن تكون هذه، بخلاف القربى التي بينه وبينهم، فإنّها معروفة عندهم.^(١)

أقول:

وسيكون بحثنا في المقام في فصول:

الفصل الأول: في رواية الحديث وبعض نصوصه:

فاعلم: أن القوم قد رووا هذا الحديث بذيل الآية المباركة الصريح في أن المراد من «ذوي

القربى» هم: علي وفاطمة والحسن والحسين، عن عدّة من الصحابة، منهم:

أمير المؤمنين عليه السّلام

والامام الحسن السبط عليه السّلام

والامام الحسين الشهيد عليه السّلام

وعبدالله بن العباس

وعبدالله بن مسعود

(١) منهاج السنّة ٧ / ٩٥ - ١٠٣.

وجابر بن عبدالله

وأبو الطّفيّل.

ورواه عن أئمة أهل البيت عليهم السّلام:

الإمام علي بن الحسين السّجاد

والإمام محمد بن علي الباقر

والإمام جعفر بن محمد الصّادق.

ورواه عن جمع كبير من التابعين:

كسعيد بن جبير

ومجاهد

والسّديّ

وفضّال بن جبير

وزاذان الكندي

وزيّ بن جيش

وزيد بن وهب... وغيرهم.

ومن أعلام الأئمة الرواة للحديث:

سعيد بن منصور

وأحمد بن حنبل

والبخاري

ومسلم

والترمذي

والبزار

والطبري

وابن أبي حاتم

والطبراني

والحاكم

وابن مردويه

والبغوي

والزمخشري

وابن عساكر

والفخر الرازي

وأبو حيان الأندلسي

وابن كثير

وابن حجر العسقلاني

والشهاب الألوسي... وغيرهم من المحدثين والمفسرين.

من ألفاظ الحديث:

ونكتفي بإيراد بعض ألفاظ الحديث:

أخرج البخاري قائلا: قوله (إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى):

حدّثنا محمد بن بشار، حدّثنا محمد بن جعفر، حدّثنا شعبة، عن عبدالمك ابن ميسرة قال:
سمعت طاووساً عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه سئل عن قوله (إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)
فقال سعيد بن جبیر: قربي آل محمد صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم. فقال ابن عباس: عجلت. إن
النبي صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا
ما بيني وبينكم من القرابة». (١)

وأخرجه أحمد والترمذي. (٢)

وقال الحاكم بتفسير الآية: «إنما اتّفقا في تفسير هذه الآية على حديث عبدالمك بن ميسرة
الزّراد عن طاووس عن ابن عباس: أنه في قربي آل محمد، صَلَّى الله عليه وآله وسلّم» (٣)
وأخرج أبونعيم بإسناده عن زاذان عن علي قال:

قال رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم: عليكم بتعلّم القرآن وكثرة تلاوته، تنالون به الدرجات
وكثرة عجائبه في الجنّة. ثم قال علي: وفينا آل حم، إنه لا يحفظ مودّتنا إلا مؤمن. ثم قرأ (قُلْ لَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (٤)

وأخرج الطبري بإسناده عن أبي الديلم قال: لمّا جيء بعلي بن الحسين - رضي الله عنهما - أسيراً
فأقيم على درج دمشق. قام رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرني
الفتنة.

فقال له علي بن الحسين - رضي الله عنه - : أقرأت القرآن؟

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، المجلد الثالث / ٥٠٢.

(٢) مسند أحمد ١ / ٢٢٩؛ سنن الترمذي: كتاب التفسير ٥ / ٣٥١.

(٣) المستدرک علی الصحیحین ٢ / ٤٤٤.

(٤) أخبار أصبهان ٢ / ١٦٥.

قال: نعم.

قال: أفقرأت آل حم؟

قال: قرأت ولم أقرأ آل حم.

قال: قرأت (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)؟

قال: وإنكم لأنتم هم؟

قال: نعم^(١)

وأرسله أبوحيان إرسال المسلم. فإنه بعد أن ذكر نزول الآية في أهل البيت، قال:

«وقال بهذا المعنى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، واستشهد بالآية حين سيق إلى

الشام أسيراً»^(٢).

وأخرج أبو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي - صاحب المسند الكبير - في مسند عبد الله بن مسعود،

في ما رواه عنه زر بن حبيش، قال:

«حدثنا الحسن بن علي بن عفان، حدثنا محمد بن خالد، عن يحيى بن ثعلبة الأنصاري، عن

عاصم بن أبي النجود، عن زر، عن عبد الله، قال:

كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير، فهتف به أعرابي بصوت جهوري: يا محمد!

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا هناه! فقال: يا محمد! ما تقول في رجل يحبّ القوم ولم

يعمل بعملهم؟ قال: المرء مع من أحبّ. قال: يا محمد! إلى من تدعو؟ قال: إلى شهادة أن لا إله إلاّ

(١) تفسير الطبري ١٦ / ٢٥.

(٢) البحر المحيط ٥١٦ / ٧.

الله، وأنّي رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت. قال: فهل تطلب على هذا أجراً؟ قال: لا، إلاّ المودّة في القربى. قال: أقرّباي يا محمّد أم أقرّباك؟ قال: بل أقرّباي.

قال: هات يدك حتّى أبايعك، فلا خير في من يوّدك ولا يوّد قرباك». (١)

وأخرج الطبراني: «حدّثنا محمّد بن عبدالله، ثنا حرب بن الحسن الطحّان، ثنا حسين الأشقر، عن قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عبّاس رضي الله عنه، قال: لمّا نزلت (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قالوا: يا رسول الله، ومن قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: عليّ وفاطمة وابناهما». (٢)

وأخرج أيضاً: «حدّثنا محمّد بن عبدالله الحضرمي، ثنا محمّد بن مرزوق، ثنا حسين الأشقر، ثنا نصير بن زياد، عن عثمان أبي اليقظان، عن سعيد بن جبیر، عن ابن عبّاس، قال: قالت الأنصار فيما بينهم: لو جمعنا لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم مالاّ فنبسّط يده، لايحول بينه وبينه أحد، فأتوا رسول الله فقالوا: يا رسول الله! إنّنا أردنا أن نجتمع لك من أموالنا. فأنزل الله عزّ وجلّ (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) فخرجوا مختلفين، فقال بعضهم: ألم تروا إلى ما قال رسول الله؟! وقال بعضهم: إنّما قال هذا لنقاتل عن أهل بيته وننصرهم...». (١)

وروى الحافظ الهيثمي خطبة الإمام الحسن عليه السلام قائلا: «باب خطبة الحسن ابن عليّ رضي الله عنهما:

عن أبي الطفيل، قال: خطبنا الحسن بن عليّ بن أبي طالب، فحمد الله وأثنى عليه وذكر أمير المؤمنين عليّاً رضي الله عنه خاتم الأوصياء ووصيّ الأنبياء وأمين الصديقين والشهداء. ثمّ قال: يا

(١) مسند الصحابة ٢ / ١٢٧ ح ٦٦٤.

(٢) المعجم الكبير ٣ / ٤٧، رقم ٢٦٤١، و ١١ / ٣٥١ رقم ١٢٢٥٩.

أَيُّهَا النَّاسُ، لَقَدْ فَارَقَكُمْ رَجُلٌ مَا سَبَقَهُ الْأَوْلُونَ وَلَا يَدْرِكُهُ الْآخِرُونَ. لَقَدْ كَانَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَأَلِهِ يُعْطِيهِ الرِّيَاةَ فَيُقَاتِلُ جَبْرِيْلَ عَنِ يَمِينِهِ وَمِيكَائِيْلَ عَنِ يَسَارِهِ فَمَا يَرْجِعُ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ. وَلَقَدْ قَبِضَهُ
اللَّهُ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي قَبِضَ فِيهَا وَصِيَّ مُوسَى، وَعَرَجَ بِرُوحِهِ فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي...

ثُمَّ قَالَ: مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَنِي، فَأَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ]
وَسَلَّمَ. ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ قَوْلَ يُوسُفَ: (وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) ثُمَّ أَخَذَ فِي
كِتَابِ اللَّهِ.

ثُمَّ قَالَ: أَنَا ابْنُ الْبَشِيرِ، أَنَا ابْنُ النَّذِيرِ، وَأَنَا ابْنُ النَّبِيِّ، أَنَا ابْنُ الدَّاعِي إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَأَنَا ابْنُ السَّرَاجِ
الْمُنِيرِ، وَأَنَا ابْنُ الَّذِي أُرْسِلُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَأَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْهُمْ الرَّجْسَ
وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا، وَأَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ الَّذِينَ افْتَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَوَدَّتَهُمْ وَوَلَايَتَهُمْ، فَقَالَ فِي مَا أَنْزَلَ
عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] وَسَلَّمَ: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)». ^(٢)
قَالَ الْهَيْثَمِيُّ: «رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَالْكَبِيرِ بِإِخْتِصَارٍ... وَأَبُو يَعْلَى بِإِخْتِصَارٍ، وَالْبَزَّازُ بِنَحْوِهِ...
وَرَوَاهُ أَحْمَدُ بِإِخْتِصَارٍ كَثِيرًا!

وإِسْنَادُ أَحْمَدَ وَبَعْضُ طَرُقِ الْبَزَّازِ وَالطَّبْرَانِيِّ فِي الْكَبِيرِ حَسَانٌ».^(٢)

الفصل الثاني: في وجه الاستدلال بالآية:

أَوْلَا: إِنَّهُ لَا يَخْفَى فَضِيلَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَأَهْلِ الْبَيْتِ بِقُرَابَتِهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ،
وَاللَّيْلَةَ لَمَّا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا قَالَ، وَلَمَّا ذَكَرَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْآيَةَ فِي سِيَاقِ آيَةِ التَّطْهِيرِ وَغَيْرِهَا،

(١) المعجم الكبير ١٢ / ٢٦ رقم ١٢٣٨٤.

(٢) مجمع الزوائد ٩ / ١٤٦.

ولما استشهد بها الإمام زين العابدين عليه السلام في كلامه مع الرجل الشامي... إلى غير ذلك من الامور الواردة في الروايات الدالة على هذه الفضيلة.

بل لقد ورد الاحتجاج بذلك في السقيفة، حيث قال المهاجرون للأَنْصار: «نحن عشيرته وأقاربه وذوو رحمه ونحن أهل الخلافة...»^(١) فهم زعموا أحقيتهم بالخلافة عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله لكونهم أقربائه...

ومن هنا، احتج أمير المؤمنين بالقرابة - فيما احتج به - عندما قال يوم الشورى: «أنشدكم بالله، هل فيكم أحد أقرب إلى رسول الله مني، ومن جعله نفسه وأبناءه أبناءه ونساءه نساءه؟»

قالوا: اللهم لا»^(٢).

وبعد عثمان، قال له كلُّ من طلحة والزبير: «أنت أولى بذلك مني وأحق، لسابقتك وقرابتك»^(٣).
وثانياً: إن مقتضى المقابلة بين «الرسالة» و «مودّة القربى» حيث جعلت «أجراً» لها، هو أن يكون المراد المودّة المستتعبة للانقياد والطاعة، كما في قوله تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ)^(٤)

الفصل الثالث: في النظر في كلمات ابن تيمية وغيره:

لقد جهل ابن تيمية أو تجاهل ما قدّمناه في وجه الاحتجاج بالآية المباركة، فجعل يكابر وأتى بما لا طائل تحته، ولم يكن غيره مثله، ونحن نذكر أهم ما قاله وغيره وتكلّم عليه:

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٢١٩، ابن خلدون ٢ / ٨٥٤، الرياض النضرة ١ / ٢١٣.

(٢) الصّواعق المحرقة: ٩٣.

(٣) كنز العمال ٥ / ٧٤٧ - ٧٥٠.

(٤) سورة آل عمران: ٣١.

١. إن الآية في سورة الشورى وهي مكيّة، والحسان غير موجودين.

قال ابن تيمية: فإنّ هذه الآية مكيّة، ولم يكن عليّ قد تزوّج بفاطمة، ولا ولد له أولاد.

وتبعه ابن كثير قال: وذكر نزول الآية في المدينة بعيد، فإنها مكيّة، ولم يكن إذ ذاك

لفاطمة رضي الله عنها أولاد بالكلية، فإنها لم تزوّج بعلي رضي الله عنه إلاّ بعد بدر من السنة الثانية

من الهجرة. والحقّ تفسير هذه الآية بما فسرها حبر الامة...»^(١)

والقسطلاني، فقال بعين عبارة ابن كثير.^(٢)

أقول:

لم يذكر غير واحد من علماء القوم المحققين - في مقام الجواب عن الاستدلال بالآية - هذا

الوجه، كما سيظهر، وذلك، لأنّ السورة وإن كانت مكيّة إلاّ أن الآية مدنيّة، وقد نصّ على هذا جمع

من مشاهير المفسرين:

قال القرطبي: «سورة الشورى مكيّة في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. قال ابن عباس

وقتادة: إلاّ أربع آيات منها أنزلت بالمدينة: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) إلى

آخرها.^(٣)

وقال أبوحيان: «قال ابن عباس: مكيّة إلاّ أربع آيات من قوله (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا

الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) إلى آخر أربع آيات، فإنها نزلت بالمدينة»^(٤)

(١) تفسير القرآن العظيم ٤ / ١٠١.

(٢) إرشاد الساري ٧ / ٣٣١.

(٣) تفسير القرطبي ١٦ / ١.

(٤) البحر المحيط ٧ / ٥٠٧.

وقال الشوكاني: وروي عن ابن عباس وقتادة أنها مكيّة إلا أربع آيات منها أنزلت بالمدينة (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ...)^(١)

وقال الألوسي: وفي البحر: هي مكيّة إلا أربع آيات من قوله تعالى (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا) إلى آخر أربع آيات. وقال مقاتل: فيها مدني قوله تعالى: (ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهَ عِبَادَهُ) واستثنى بعضهم قوله تعالى (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى) وجوّز أن يكون الإطلاق باعتبار الأغلب...^(٢)

٢. تفسير ابن عباس، الذي رواه البخاري وغيره:

قال ابن تيميّة: ثبت في الصحيح عن سعيد بن جبير... فابن عباس كان من كبار أهل البيت وأعلمهم بتفسير القرآن...

وقال ابن حجر - في الجواب عن حديث أن المراد أهل البيت عليهم السلام: وقد عارضه ما هو أولى منه، ففي البخاري...^(٣)

وقال ابن كثير: والحق تفسير هذه الآية بما فسّرها حبر الأمة...^(٤)

وكذا قال القسطلاني^(٥)

والشوكاني^(٦)

(١) فتح القدير ٤ / ٥٢٤.

(٢) روح المعاني ٢٥ / ١٠.

(٣) تخريج أحاديث الكشاف - مع الكشاف ٤ / ٢٢٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم ٤ / ١٠١.

(٥) ارشاد السّاري ٧ / ٣٣١.

(٦) فتح القدير ٤ / ٥٣٧.

وقال العيني: وحاصل كلام ابن عباس: إن جميع قريش أقارب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وليس المراد من الآية بنوهاشم ونحوهم، كما يتبادر الذهن إلى قول سعيد بن جبير.^(١)

أقول:

أولاً: قد عرفت من رواية القوم وأقوالهم: أن ابن جبير كان يقول بنزول الآية في أهل البيت، وهذا قول أمير المؤمنين والأئمة الطاهرين عليهم السلام، كما روى ذلك علماء القوم مع الاعتراف بصحة السند، أو التلقي بالقبول له. ولاشك أن قولهم مقدّم على قول غيرهم كائناً من كان. وثانياً: قد عرفت من كلام العيني أن هذا هو المتبادر من الآية المباركة، وقد نصّ على هذا التبادر غيره أيضاً.

وثالثاً: كما روي عن ابن عباس هذا القول، فقد روي عنه القول بنزول الآية في أهل البيت عليهم السلام، رواه عنه سعيد بن جبير ومجاهد والكلبي وغيرهم، وهو في كتاب المناقب، وهذا نصّ ماجاء فيه:

«وفي ما كتب إلينا محمد بن عبدالله بن سليمان الحضرمي: يذكر أنّ حرب بن الحسن الطحّان حدّثهم قال: حدّثنا حسين الأشقر، عن قيس، عن الأعمش، عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال: لَمَّا نَزَلَتْ (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قالوا: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: علي وفاطمة وابناهما»^(٢)

(١) عمدة القاري في شرح البخاري ١٩ / ١٥٩.

(٢) مناقب علي، الحديث ٢٦٣. ورواه غير واحد من الحفاظ قائلين: «أحمد في المناقب» كالمحبّ الطبري في ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى / ٢٥؛ والسخاوي في استجلاب ارتقاء الغرف / ٣٦.

ورواه: الطبراني وابن أبي حاتم وابن المنذر والحاكم وابن مردويه. عن الأشقر عن قيس عن الأعمش عن سعيد.

وهذا السند معتبر على التحقيق، فإنه من زيادات القطيعي، وهو ثقة^(١) و «محمد ابن عبدالله بن سليمان الحضرمي» فهو «المطّين» وهو غني عن التوثيق.

وأما «حرب بن الحسن»، فقد ذكره ابن حبان في الثقات^(٢) وقول الأزدي «ليس حديثه بذلك» غير ضائر، لأن الأزدي نفسه ضعيف^(٣) مضافاً إلى قول الذهبي: لا يلتفت إلى قول الأزدي، فإن في لسانه في الجرح رهقاً^(٤)

وأما «حسين الأشقر»، فهو من رجال النسائي، وقد ذكروا أن للنسائي شرطاً في صحيحه أشد من شرط الشيخين.^(٥) وقال الذهبي: قال ابن الجنيد: سمعت ابن معين ذكر الأشقر فقال: كان من الشيعة الغالية. قلت: فكيف حديثه؟ قال: لأبأس به. قلت: صدوق؟ قال: نعم، كتبت عنه. وذكره ابن أبي حاتم، قال: سألت أبي عنه فقال: شيخ. وقال ابن حجر: «صدوق يهم ويغلو في التشيع»،^(٦) وعن أحمد بن حنبل أنه كان يحدث عنه، فلما سئل قال: «لم يكن عندي ممن يكذب»^(٧) فلما ذكر عنه التشيع تركه.

(١) فضائل الصحابة ٢ / ٦٦٩ ح: ١١٤١.

(٢) الثقات لابن حبان ٨ / ٢١٣، وانظر لسان الميزان ٢ / ١٨٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٦ / ٣٤٨.

(٤) ميزان الاعتدال ١ / ٦١.

(٥) تذكرة الحفاظ ٢ / ٧٠٠.

(٦) تقريب التهذيب ١ / ١٧٥.

(٧) تهذيب التهذيب ٢ / ٢٩١ - ٢٩٢.

لكنّ التشيع بل الرفض غير مضرّ بالوثاقة، كما نصّ عليه الحافظ ابن حجر حيث قال: «قد ذكرنا

مراراً أن الرفض غير مضرّ بالوثاقة».^(١)

وأما «قيس بن الربيع» فهو من رجال أبي داود والترمذي وابن ماجه، ووثقه عفان والثوري وشعبة، وقال ابن عدي: عامّة رواياته مستقيمة، والقول فيه ما قال شعبة،^(٢) وقال الذهبي: صدوق في نفسه سيئ الحفظ،^(٣) وقال ابن حجر: صدوق تعيّر لما كبر.^(٤)

ورابعاً: إنّ حديث البخاري متكلّم في غير واحد من رجاله، ومن ذلك أنّ «يحيى بن عباد الصّبي البصري» حكى ابن حجر تضعيفه عن السّاجي^(٥) وروى الخطيب بإسناده عن ابن المديني قال: سمعت أبي يقول: يحيى بن عباد ليس ممّن أحدث عنه وبشّار الخفاف أمثل منه، وعن يحيى بن معين: لم يكن بذاك، وعن بندار وابن المثنى أنّهما لم يحدثا عنه^(٦) وأورده الذهبي في الميزان مقتصرأً مقتصرأً على تضعيف السّاجي.^(٧)

وخامساً: قد تقدّم قول الحاكم في كتاب التفسير من المستدرک أن البخاري ومسلماً رويًا نزول الآية في أهل البيت عن طريق طاووس عن ابن عباس.^(٨) وقد أرسل ذلك أبوحيان عن ابن عباس ارسال المسلم، فإنه قال بعد أن ذكر نزولها في أهل البيت:

(١) مقدمة فتح الباري / ٣٩٨.

(٢) تهذيب الكمال ٢٤ / ٢٥ - ٣٧.

(٣) ميزان الاعتدال ٣ / ٣٩٣.

(٤) تقريب التهذيب ٢ / ١٢٨.

(٥) مقدمة فتح الباري / ٤٥٢.

(٦) تاريخ بغداد ١٤ / ١٤٤.

(٧) ميزان الاعتدال ٤ / ٣٨٧.

(٨) المستدرک على الصحيحين ٢ / ٤٨٢.

وقال بهذا المعنى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، واستشهد بالآية حين سيق إلى الشام أسيراً، وهو قول ابن جبير والسدي وعمرو بن شعيب. وعلى هذا التأويل قال ابن عباس: قيل يا رسول الله: من قرابتك الذين أمرنا بمودّتهم؟ فقال: علي وفاطمة وابناهما.^(١)

وكذا القرطبي، فقد أرسله ارسال المسلم بتفسير الآية إذ قال: وقيل: القربى قرابة الرسول صلى الله عليه [وآله] وسلّم... وهذا قول علي بن حسين وعمرو بن شعيب والسدي، وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين نودّهم؟ قال: علي وفاطمة وأبناؤهما.

ويدل عليه أيضاً: ما روي عن علي رضي الله عنه قال: شكوت إلى النبي حسد الناس لي فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة: أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيماننا وشمائنا، وذريتنا خلف أزواجنا.

وعن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم: حرّمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وأذاني في عترتي، ومن اصطنع إلى أحد من ولد عبدالمطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازه عليها غداً إذا لقيني يوم القيامة. وقد قال النبي: من مات على حب آل محمد مات شهيداً.^(٢)

وتلخص:

إن الحق نزول الآية في أهل البيت عليهم السلام، هو قول ابن عباس أيضاً، وما نقل عنه في كتاب البخاري باطل لا يصح للمعارضة. والحمد لله رب العالمين.

(١) البحر المحيط ٥١٦ / ٧.

(٢) تفسير القرطبي ٢٣ / ١٦.

٣. الرسول لا يسأل أجراً

قال ابن تيمية: وأن النبي لا يسأل على تبليغ رسالة ربه أجراً البتة بل أجره على الله.

أقول:

وهكذا كان الأنبياء السابقون:

قال نوح لقومه: (إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ

إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ)^(١).

ومن هنا أصر بعضهم على أن الإستثناء منقطع، وجوز بعضهم - كالزمخشري وجماعة - أن يكون

متصلاً وأن يكون منقطعاً.

أقول:

ونبينا أيضاً كذلك كما جاء في آيات عديدة، منها:

(... قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ إِنَّهُ هُوَ الَّذِي ذَكَرَ لِلْعَالَمِينَ)^(٢).

(قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

شَهِيدٌ)^(٣).

(قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا)^(٤).

وقد أجاب المفسرون من الفريقين عن هذه الشبهة بأكثر من وجه، وفي تفسيري الخازن

والخطيب الشرييني منها وجهان...

(١) سورة الشعراء ٢٦ / ١٠٧ - ١٠٩.

(٢) سورة الأنعام ٦: ٩٠.

(٣) سورة سبأ ٣٤: ٤٧.

(٤) سورة الفرقان ٢٥: ٥٧.

ولكن يظهر - بالدقة - أنّ الآيات في الباب بالنسبة إلى نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بالخصوص على أربعة أنحاء:

١. ما اشتمل على عدم سؤال الأجر.

٢. ما اشتمل على سؤال الأجر، لكنهم «لكم».

٣. ما اشتمل على عدم سؤال الأجر، وطلب «اتخاذ السبيل إلى الله» عن اختيار.

٤. ما اشتمل على سؤال الأجر، وهو «المودة في القربى».

وأبي تناف بين هذه الآيات؟! يا منصفون!

إنّهُ صلى الله عليه وآله وسلم لا يسأل الناس أجراً، إنّما يريد منهم أن يتخذوا سبيلاً إلى الله،

وهو ما لا يتحقق إلا بمودة أهل البيت، وهو لهم... ولذا ورد عنهم عليهم السلام: «نحن السبيل»^(١)

... نعم هم السبيل، وخاصّةً «إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً، وتظاهرات الفتن، وتقطعت السبل...»^(٢).

فإذن... هم... السبيل... وهذا معنى هذه الآية في محكم التنزيل، ولا يخفى لوازم هذا الدليل،

فافهم واغتنم، و(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ...) وحسبنا الله ونعم الوكيل.

٤. لماذا لم يقل: إلا المودة للقربى؟

وطرْحُ هذه الشبهة من مثل الدهلوي غير بعيد، لكنّه من مثل ابن تيميّة الذي يدّعي العربيّة

عجيب!! وليته راجع كلام أهل الفنّ:

(١) فرائد السمطين، عنه في ينابيع المودة / ٢٢.

(٢) مجمع الزوائد ٩ / ١٦٥.

قال الزمخشري: «يجوز أن يكون استثناءً متّصلاً، أي: لا أسألكم أجراً إلاّ هذا، وهو أن تودّوا أهل قرابتي، ولم يكن هذا أجراً في الحقيقة، لأنّ قرابته قرابتهم، فكانت صلتهم لازمة لهم في المروءة.

ويجوز أن يكون منقطعاً، أي: لا أسألكم أجراً قطّ، ولكنني أسألكم أن تودّوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم.

فإن قلت: هلاً قيل: إلاّ مودّة القربى، أو: إلاّ المودّة للقربى؟ وما معنى قوله: (إلاّ المودّة في القربى)؟

قلت: جعلوا مكاناً للمودّة ومقرّاً لها، كقولك: لي في آل فلان مودّة، ولي فيهم هوى وحبّ شديد. تريد: أحبّهم وهم مكان حبي ومحله. وليست «في» بصلة للمودّة كاللام إذا قلت: إلاّ المودّة للقربى، إنّما هي متعلّقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك: المال في الكيس. وتقديره: إلاّ المودّة ثابتة في القربى وتممّكنة فيها. والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى قرابة، والمراد: في أهل القربى. وروي أنّها لما نزلت قيل: يا رسول الله، من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم؟ قال: عليّ وفاطمة وابناهما.

ويدلّ عليه ما روي عن عليّ رضي الله عنه: شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلّم حسد الناس لي، فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة: أوّل من يدخل الجنّة أنا وأنت والحسن والحسين، وأزواجنا عن أيماننا وشمائنا، وذريّتنا خلف أزواجنا!». (١)

وقرّره الفخر الرازي حيث قال: «أورد صاحب الكشّاف على نفسه سؤالاً فقال: هلاً قيل: إلاّ مودّة

القربى، أو: إلاّ المودّة للقربى، وما معنى قوله: (إلاّ المودّة في القربى)؟

(١) الكشّاف في تفسير القرآن ٤ / ٢١٩ - ٢٢٠.

وأجاب بأن قال: جُعلوا مكاناً للمودّة ومقرّاً لها كقولك: لي في آل فلان مودّة، ولي فيهم هوىً وحبّ شديد. تريد أحبّهم وهم مكان حبّي ومحلّه»^(١).

وكذا أبو حيّان واستحسنه.^(٢)

وقال النيسابوري: «ثمّ أمر رسوله بأن يقول: (لا أسئلكم) على هذا التبليغ (أجرًا إلاّ المودّة) الكائنة (في القربى) جُعلوا مكاناً للمودّة ومقرّاً لها، ولهذا لم يقل: مودّة القربى، أو: المودّة للقربى، وهي مصدر بمعنى القرابة، أي: في أهل القربى وفي حقّهم»^(٣).

وقال أبو السعود بعد أن جعل الاستثناء متّصلاً: «وقيل: الاستثناء منقطع والمعنى: لا أسألكم أجرًا قطّ ولكن أسألكم المودّة.

و(في القربى) حال منها. أي: المودّة ثابتة في القربى متمكّنة في أهلها أو في حقّ القرابة. والقربى مصدر كالزلفى، بمعنى القرابة. روي: أنّها لما نزلت قيل: يا رسول الله، من قرابتك...»^(٤).
وراجع أيضاً تفاسير: البيضاوي والنسفي والشربيني، وغيرهم.

(١) التفسير الكبير ٢٧ / ١٦٧.

(٢) البحر المحيط ٧ / ٥١٦.

(٣) تفسير النيسابوري - هامش الطبري - ٢٥ / ٣٣.

(٤) تفسير أبي السعود ٨ / ٣٠.

البرهان الثامن

قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ).

قال الثعلبي: إن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله لما أراد الهجرة، خَلَفَ علي بن أبي طالب عليه السلام لقضاء ديونه وردّ الودائع التي كانت عنده، وأمره ليلة خرج إلى الغار - وقد أحاط المشركون بالدار - أن ينام على فراشه. فقال له: يا علي، ائْتِشِحْ ببردِي الحضرمي الأخضر ونم على فراشي، فإنه لا يخلص إليك منهم مكروه إن شاء الله عزَّ وجلَّ، ففعل ذلك.

فأوحى الله عزَّ وجلَّ إلى جبرئيل وميكائيل: إني قد آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر، فأَيُّكما يُوَثِّرُ صاحبه بالحياة؟ فاختر كلاهما الحياة، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليهما: ألا كنتما مثل علي بن أبي طالب، آخيت بينه وبين محمد، فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، إهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوّه، فنزلا فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، فقال جبرئيل: بخ بخ! من مثلك يا ابن أبي طالب، يباهي الله بك الملائكة! فأَنْزَلَ اللهُ علي رسوله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلّم وهو متوجّه إلى المدينة في شأن علي بن أبي طالب: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ).

وقال ابن عباس: إنها نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام لما هرب النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله من المشركين إلى الغار.

وهذه فضيلة لم تحصل لغيره، وتدلّ على أفضليّته على جميع الصحابة، فيكون هو الإمام.

قال ابن تيمية:

الجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بصحة هذا النقل، ومجرد نقل الثعلبي وأمثاله لذلك بل روايتهم ليس بحجة... وفي نقله من هذا الجنس للإسرائيليات والإسلاميات أمور يعلم أنها باطلة.

وثانيها: إن هذا الذي نقله من هذا الوجه كذب باتفاق أهل العلم بالحديث والسير، والمرجع إليهم في هذا الباب.

الثالث: إن النبي صلى الله عليه وآله لما هاجر هو وأبو بكر إلى المدينة لم يكن للقوم غرض في طلب علي... وترك علياً في فراشه ليظنوا أن النبي في البيت فلا يطلبوه، فلما أصبحوا وجدوا علياً، فظهرت خيبتهم ولم يؤذوا علياً... ولو كان لهم في علي غرض لتعرضوا له لما وجدوه... فأبي فداء هنا بالنفس؟

والذي كان يفديه بنفسه بلا ريب، ويقصد أن يدفع بنفسه عنه، ويكون الضرر به دونه، هو أبو بكر. كان يذكر الطلبة فيكون خلفه، ويذكر الرصد فيكون أمامه، وكان يذهب فيكشف له الخبر. وإذا [كان] هناك ما يخاف أحب أن يكون به لا بالنبي صلى الله عليه وسلم.

وغير واحد من الصحابة قد فداه بنفسه في مواطن الحروب، فمنهم من قُتل بين يديه، ومنهم من سُت يده، كطلحة بن عبيدالله. وهذا واجب على المؤمنين كلهم. فلو قُدر أنه كان هناك فداء بالنفس، لكان هذا من الفضائل المشتركة بينه وبين غيره من الصحابة، فكيف إذا لم يكن هناك خوف على علي؟

وأيضاً، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد قال: «أتشح ببردي هذا الأخضر، فم فيه، فإنه لن يخلص إليك منهم رجل بشيء تكرهه» فوعده، وهو الصادق، أنه لا يخلص إليه مكروه، وكان طمأنينته بوعد الرسول.

الرابع: أن هذا الحديث فيه من الدلائل على كذبه ما لا يخفى، فإن الملائكة لا يقال فيهم مثل هذا الباطل الذي لا يليق بهم، وليس أحدهما جائعاً فيؤثره الآخر بالطعام، ولا هناك خوف فيؤثر أحدهما صاحبه بالأمن، فكيف يقول الله لهما: أيكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ ولا للمؤاخاة بين الملائكة أصل، بل جبريل له عمل يختص به دون ميكائيل، وميكائيل له عمل يختص به دون جبريل، كما جاء في الآثار أن الوحي والنصر لجبريل، وأن الرزق والمطر لميكائيل.

الخامس: أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤاخ علياً ولا غيره، بل كل ما رُوي في هذا فهو كذب. وحديث المؤاخاة الذي يُروى في ذلك - مع ضعفه وبطلانه - إنها فيه مؤاخاته له في المدينة، هكذا رواه الترمذي. فأما بمكة فمؤاخاته له باطلة على التقديرين.

وأيضاً، فقد عرف أنه لم يكن فداءً بالنفس ولا إيثار بالحياة باتفاق علماء النقل.

السادس: أن هبوط جبريل وميكائيل لحفظ واحد من الناس من أعظم المنكرات؛ فإن الله يحفظ من شاء من خلقه بدون هذا. وإنما رُوي هبوطهما يوم بدر للقتال، وفي مثل تلك الأمور العظام، ولو نزلا لحفظ واحد من الناس لنزلا لحفظ النبي صلى الله عليه وسلم وصديقه، اللذين كان الأعداء يطلبونهما من كل وجه، وقد بذلوا في كل واحد منهما ديتة، وهم عليهما غلاظ شداد سود الأكباد.

السابع: أن هذه الآية في سورة البقرة، وهي مدية بلا خلاف، وإنما نزلت بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، لم تنزل وقت هجرته. وقد قيل: إنها نزلت لما هاجر صهيب وطلبه المشركون، فأعطاهم ماله، وأتى المدينة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ريح البيع أبا يحيى». وهذه القصة مشهورة في التفسير، نقلها غير واحد.

وهذا ممكن؛ فإن صهيباً هاجر من مكة إلى المدينة. قال ابن جرير...

الثامن: أن لفظ الآية مطلق، ليس فيه تخصيص. فكل من باع نفسه ابتغاء مرضات الله فقد دخل فيها. وأحق من دخل فيها النبي صلى الله عليه وسلم وصديقه، فإنهما شريا نفسيهما ابتغاء مرضات الله، وهاجرا في سبيل الله، والعدو يطلبهما من كل وجه.

التاسع: أن قوله: «هذه فضيلة لم تحصل لغيره [فدل على أفضليته] فيكون هو الإمام».

فيقال: لا ريب أن الفضيلة التي حصلت لأبي بكر في الهجرة لم تحصل لغيره من الصحابة بالكتاب والسنة والإجماع، فتكون هذه الأفضلية ثابتة له دون عمر وعثمان وعلي وغيرهم من الصحابة، فيكون هو الإمام.

فهذا هو الدليل الصدق الذي لا كذب فيه. يقول الله: (إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ

الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)^(١)

ومثل هذه الفضيلة لم تحصل لغير أبي بكر قطعاً، بخلاف الوقاية بالنفس، فإنها لو كانت صحيحة، فغير واحد من الصحابة وقى النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه. وهذا واجب على كل مؤمن، ليس من الفضائل المختصة بالأكابر من الصحابة.

والأفضلية إنما تثبت بالخصائص لا بالمشتركات. يبين ذلك أنه لم ينقل أحد أن علياً أودي في ميته على فراش النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أودي غيره في وقايتهم النبي صلى الله عليه وسلم: تارة بالضرب، وتارة بالجرح، وتارة بالقتل. فمن فداه وأودي أعظم ممن فداه ولم يؤذ.

وقد قال العلماء: ما صح لعلي من الفضائل فهي مشتركة، شاركه فيها غيره، بخلاف الصديق،

فإن كثيراً من فضائله - وأكثرها - خصائص له، لا يشركه فيها غيره. وهذا مبسوط في موضعه.

(١) سورة التوبة ٩: ٤٠.

أقول:

أمّا مبيت أميرالمؤمنين عليه السلام على فراش رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ليلة الهجرة، فمن ضروريات تاريخ الإسلام.

وأما نزول الآية (مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ...) فيه بهذه المناسبة، فقد نصّ عليه جمع من كبار المفسرين وحفاظ الحديث، وقد رووا ذلك بسند صحيح جداً عن ابن عباس في حديث يشتمل على عشر فضائل لأميرالمؤمنين عليه السلام، فعَدَّ منها مبيته معبراً عنه: «شَرى علي نفسه» كما في لفظ القرآن، فقال:

«وشرى علي نفسه، لبس ثوب النبي صَلَّى الله عليه وسلم ثم نام مكانه. قال: وكان المشركون يرمون رسول الله، فجاء أبوبكر وعلي نائم - قال: وأبوبكر يحسب أنه نبي الله - فقال: يا نبي الله. قال فقال له علي: إن نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه. قال: فانطلق أبوبكر فدخل معه الغار. قال: وجعل علي يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله وهو يتضوّر قد لفّ رأسه في الثوب لايخرجه حتى أصبح، ثم كشف عن رأسه. فقالوا: إنك للثيم، كان صاحبك نراميه فلايتضوّر وأنت تتضوّر، وقد استنكرنا ذلك»^(١).

وممّن نصّ على صحّته:

الحاكم النيسابوري

ابن عبد البرّ القرطبي

(١) مسند أحمد ١ / ٣٣١؛ الطبقات الكبرى ٣ / ٢١؛ صحيح الترمذي ٥ / ٥٩٩؛ كتاب السنّة لابن أبي عاصم: ٥٨٨ - ٥٨٩؛ خصائص علي: ٦١؛ المعجم الكبير ١٢ / ٧٧؛ المستدرک ٣ / ١٣٢؛ الاستيعاب ٣ / ٢٧؛ اسدالغابة ٤ / ٨٩؛ تهذيب الكمال ٢٠ / ٤٨١؛ البداية والنهاية ٧ / ٣٣٥؛ مجمع الزوائد ٩ / ١١٩؛ الاصابة ٤ / ٤٦٦ وغيرها.

جمال الدين المزي

شمس الدين الذهبي

أبوبكر الهيثمي

ابن حجر العسقلاني

وأخرج الحاكم وصححه ووافقه الذهبي:

حدثنا أبوبكر أحمد بن إسحاق، ثنا زياد بن الخليل التستري، ناكثير بن يحيى، ثنا أبو عوانة، عن أبي بلج، عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: شرى علي نفسه ولبس ثوب النبي صلى الله عليه وسلم وآله ثم نام مكانه، وكان المشركون يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ألبسه بردة وكانت قريش تريد أن تقتل النبي صلى الله عليه وسلم وآله فجعلوا يرمون علياً ويرونه النبي صلى الله عليه وسلم وآله ولبس بردة، وجعل علي رضي الله عنه يتضور، فإذا هو علي، فقالوا إنك للئيم، إنك لتتضور وكان صاحبك لا يتضور، ولقد استنكرناه منك.

هذا حديث صحيح الأسناد ولم يخرجاه، وقد رواه أبو داود الطيالسي وغيره عن أبي عوانة بزيادة ألفاظ.

وقد حدثنا بكر بن محمد الصيرفي بمرو، ثنا عبيد بن قنفذ البزار، ثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني، ثنا قيس بن الربيع، ثنا حكيم بن جبير، عن علي بن الحسين قال إن أول من شرى نفسه ابتغاء رضوان الله، علي بن أبي طالب، وقال علي عند مبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقيت بنفسي خير من وطئ الحصا*** و من طاف بالبيت العتيق وبالحجر

رسول إله خاف أن يمكروا به *** فنجّاه ذو الطول إله من المكر

وبات رسول الله في الغار آمناً *** موقى وفي حفظ الإله وفي ستر

وبتّ اراعيهم ولم يتهموني *** وقد وُطنت نفسي على القتل والأسر^(١)

نعم، لقد فدى نفسه وجعلها وقاءً لرسول الله صلى الله عليه وآله، وقد جاء في الحديث عن ابن

عباس:

شرى علي نفسه...

وعن علي بن الحسين: إنَّ أوَّل من شرى نفسه ابتغاء رضوان الله علي بن أبي طالب.

وفي الشعر المروي عن أمير المؤمنين بسند صحيح:

وقيت بنفسي...

وقد وُطنت نفسي على القتل والأسر

وقد أشار عليه السلام بقوله: «رسول آله خاف أن يمكروا به» إلى الآية المباركة: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ

الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ...)، وقد أخرج أحمد عن ابن عباس في هذه الآية المباركة، قال:

تشاورت قريش ليلة بمكة، فقال بعضهم: إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق - يريدون النبي

صلى الله عليه [وآله] وسلّم - وقال بعضهم: بل اقتلوه، وقال بعضهم: بل أخرجوه. فأطلع الله عزّ وجلّ

نبيّه على ذلك. فبات علي على فراش النبي تلك الليلة، وخرج النبي حتى لحق بالغار، فقالوا: أين

صاحبك هذا؟ قال: لا أدري. فاقتفوا أثره، فلما بلغوا الجبل خلط عليهم، فصعدوا في الجبل فمروا بالغار

فأروا على بابه نسج العنكبوت...^(٢)

(١) المستدرک علی الصحیحین ٣ / ٤ کتاب الهجرة.

(٢) مسند أحمد ١ / ٣٤٨.

وقد روى هذا الحديث جماعة من أئمة القوم:

كعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن سعد، وابن مردويه، والطبراني، والخطيب،
والهيثمي، وأبي نعيم، وابن الأثير، والسيوطي... وغيرهم.

ثم إن أمير المؤمنين احتج بهذه القضية - فيما احتج - على أهل الشورى، فقد روى المتقي في
كنز العمال عن أبي الطفيل الصحابي قال:

وكنت على الباب يوم الشورى، فارتفعت الأصوات بينهم، فسمعت علياً يقول:

بايع الناس لأبي بكر وأنا والله أولى بالأمر منه وأحق به منه (إلى أن قال) إن عمر جعلني في
خمسة نفر أنا سادسهم، لا يعرف لي فضلاً عليهم في الصلاح ولا يعرفونه لي، كلنا فيه شرع سواء، وأيم
الله، لو أشاء أن أتكلم ثم لا يستطيع عربيهم ولا عجميهم ولا المعاهد منهم ولا المشرك ردّ خصلة منها
لفعلت (إلى أن قال) أفيكم أحد كان أعظم غنى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين
اضطجعت على فراشه ووقيته بنفسي وبذلت له مهجة دمي؟ قالوا: اللهم لا...^(١)

ثم إن جماعةً ذكروا نزول الآية في أمير المؤمنين، ومنهم من روى خبر نزول جبرئيل وميكائيل
عن الثعلبي أو أرسله إرسال المسلم:

قال الرازي: نزلت في علي بن أبي طالب، بات علي فراش رسول الله صلى الله عليه وآله ليلة
خروجه إلى الغار.

ويروى أنه لما نام على فراشه قام جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه وجبرئيل ينادي: بخ، بخ،

من مثلك يا ابن أبي طالب. يباهي الله بك الملائكة، ونزلت الآية.^(٢)

(١) كنز العمال ٥ / ٧٢٥.

(٢) تفسير الرازي ٥ / ٢٢٣.

وكذا في تفسير النيسابوري.^(١)

وقال أبوحيان: نزلت في علي حين خلفه رسول الله بمكة لقضاء ديونه وردّ الودائع، وأمره بمبئته

على فراشه ليلة خرج مهاجراً صلى الله عليه وآله.^(٢)

وقال القرطبي:

نقل نزولها في علي رضي الله عنه حين تركه النبي صلى الله عليه وآله على فراشه ليلة خرج

إلى الغار.^(٣)

وقال الألوسي:

قال الإمامية وبعض منّا: أنها نزلت في علي كرم الله وجهه حين استخلفه النبي

صلى الله عليه وآله على فراشه بمكة لما خرج إلى الغار.^(٤)

وروى أبو حامد الغزالي الخبر بعين ما رواه الثعلبي.^(٥)

وكذا الحلبي في سيرته.^(٦)

كما رواه ابن الأثير عن الثعلبي مسنداً^(٧)

وكذا الحافظ الكنجي الشافعي^(٨)

وابن الصبّاغ المالكي^(٩)

(١) تفسير النيسابوري - على هامش الطبري - ٢ / ٢٠٨.

(٢) البحر المحيط ٢ / ١١٨.

(٣) تفسير القرطبي ٣ / ٢١.

(٤) تفسير الألوسي (روح المعاني) ٢ / ٨٣.

(٥) إحياء علوم الدين ٣ / ٢٥٨.

(٦) إنسان العيون ٢ / ٣٦.

(٧) اسد الغاية ٣ / ٦٠١.

(٨) كفاية الطالب ٢٣٩.

ونقل الديار بكري كلام الغزالي^(٢)

وتجده في إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزيدي صاحب تاج العروس.^(١)

وبعد:

فقد عرفت صحة القول بنزول الآية في علي عليه السلام، وأن الحديث الذي رواه الحافظ أبو إسحاق الثعلبي مشهور بين القوم، وليس مجرد نقل الثعلبي وأمثاله، وليس من الإسرائيليات، على أنه قد تقدم أن الثعلبي من كبار الحفاظ المعتمدين عندهم في الحديث والتفسير. وأما أن في كتابه أخباراً ضعيفة بل موضوعة، فهذا مما لا يختص به، بل كل كتب القوم حتى كتابي البخاري ومسلم فيها موضوعات كما لا يخفى.

وقد عرفت أن علياً عليه السلام قد فدى رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه ووقاه في تلك الليلة ووطن نفسه على الأذى والأسر بل القتل، وقد اعترف له بهذا المعنى كبار علماء القوم في التفسير والحديث والسيرة، ونقلوه عن عدة من الصحابة وعلى رأسهم عبدالله بن العباس. بل جاء في رواية أن النبي صلى الله عليه وآله سأل أصحابه من بييت؟ فما أجاب إلا الإمام عليه السلام، قال نورالدين الحلبي الشافعي في سيرته:

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله [وآله] مكانهم، أي علم ما يكون منهم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: نم على فراشي واتشح بردائي الحضرمي.

وفي السبعيات أنه صلى الله عليه وآله [وآله] نظر إلى أصحابه وقال: أيكم بييت على فراشي وأنا

أضمن له الجنة؟ فقال علي: أنا أبيت وأجعل نفسي فداءك^(٢)

(١) الفصول المهمة ١ / ٢٩٤.

(٢) الخميس ١ / ٣٢٥.

وتعزّض ابن تيميّة للمؤاخاة، فكذب المؤاخاة بين النبي وعلي عليهما السلام. وهذا من أبين موارد بغضه للإمام وعناده له، وقد أثبتنا المؤاخاة وصححنا الخبر في ماتقدّم من الكتاب ولانعيد. وأمّا رواية نزول الآية في صهيب، فلاتعارض الرواية بنزولها في أميرالمؤمنين عليه السلام، لأنّها متفقٌ عليها بين الطرفين، وتلك منفرد بها بعض المخالفين، على أن صهيباً بالنظر إلى أحواله ليس مؤهلاً لأنّ يشمله رضوان الله.

وقد زعم ابن روزبهان قول أكثر المفسّرين بنزولها في الزبير والمقداد. وكيف يكون قول أكثرهم وهو غير مذكور في الدرالمنثور بذيل الآية وهو جامع لجميع الأقوال في الآيات، وهذا ممّا يشهد بتعمّد بعض القوم الكذب لغرض إنكار مناقب الإمام عليه السلام أو التقليل من شأنها.

وبقي الكلام في دلالة الآية على الإمامة والولاية. قال العلامة: وهذه فضيلة لم تحصل لغيره، وتدلّ على أفضليّته على جميع الصّحابة، فيكون هو الإمام. فقال ابن تيميّة:

لاريب أنّ الفضيلة التي حصلت لأبي بكر في الهجرة لم تحصل لغيره... فيكون هو الإمام... ومثل هذه الفضيلة لم تحصل لغير أبي بكر قطعاً، بخلاف الوقاية بالنفس، فإنّها لو كانت صحيحةً فغير واحد من الصّحابة وقى النبي بنفسه... والأفضليّة إنّما تثبت بالخصائص لا المشتركة... وقد قال العلماء: ما صحّ لعلي من الفضائل فهي مشتركة...

أقول:

(١) إتحاف السادة المتّقين ٨ / ٢٠٢.

(٢) إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون ٢ / ٢٦.

أولاً: من من الصحابة وقى رسول الله بنفسه كما فعل الأمير ونزلت فيه الآية؟ وأما أبوبكر وعمر
وعثمان، فقد ثبت فرارهم في الوقائع، كما لا يخفى على المطلع.

وثانياً: من هؤلاء العلماء الذين قالوا بأن ما صحّ لعلي من الفضائل فهي مشتركة؟ أظنه يعني نفسه
والملتفتين حوله من الطلبة!

ولقد قرأنا حديث المناقب العشر التي اختصّ بها أميرالمؤمنين عليه السلام عن ابن عباس
بالأسانيد الصحيحة.

لقد تمنى غيرواحد من الصحابة كسعد بن أبيوقاص وعبدالله بن عمر أن يكون لهم فضل من
فضائل علي، فيكون خيراً ممّا طلعت عليه الشمس أو خيراً من حمر النعم، والسند بذلك صحيح
عندهم قطعاً.

ولقد نقل غيرواحد من الحفاظ عن أحمد بن حنبل وغيره من الأئمة ما هو صريح في اختصاصه
بفضائل:

روى أبوالفرج ابن الجوزي - الذي طالما اعتمد عليه ابن تيمية - عن عبدالله بن أحمد قال:
سمعت أبي يقول: ما لأحد من الصحابة من الفضائل بالأسانيد الصحاح مثل ما
لعلي رضي الله عنه»^(١).

وثالثاً: لقد وردت آيتان في ليلة الهجرة في رجلين:

إحداهما في علي وفيها: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ)

والاخرى في أبي بكر وفيها: (يَقُولُ لِرَبِّهِ لَئِنْ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْنَا لَأُنْذِرَنَّكَ مِنَ النَّاسِ)

(١) مناقب أحمد بن حنبل، الباب العشرون في ذكر اعتقاده في الاصول / ١٦٣ وللتفصيل انظر: المدخل: ٢٦٦ -

ومن قارن بينهما علم أن الاولى مدح والثانية ذم.

ولعلّه من هنا لم تذكر آية الغار في فضل أبي بكر في الكتب الكلامية كشرح المواقف وشرح

المقاصد، مع إيرادهم بعض الأحاديث المكذوبة وقولهم بما لا طائل تحته، وهذا مبسوط في موضعه.

البرهان التاسع

قوله تعالى: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا
وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى
الْكَاذِبِينَ).

نقل الجمهور كافة أن (أبناءنا) إشارة إلى الحسن والحسين، و(نساءنا) إشارة إلى فاطمة و(أنفسنا)
إشارة إلى علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وهذه الآية أدل دليل على ثبوت الإمامة لعلي عليه السلام، لأنه تعالى قد جعله نفس رسول الله
صلى الله عليه وآله والاتحاد محال، فيبقى المراد المساوي. وله صلى الله عليه وآله الولاية العامة،
فكذا لمساويه. وأيضاً، لو كان غير هؤلاء مساوياً لهم أو أفضل منهم في استجابة الدعاء، لأمره الله
تعالى بأخذهم معه، لأنه في موضع الحاجة، وإذا كانوا هم الأفضل تعيّن الإمامة فيهم.

وهل تخفى دلالة هذه الآية على المطلوب إلا على من استحوذ الشيطان عليه وأخذ بمجامع
قلبه، وُحِيلَ له حبّ الدنيا التي لا ينالها إلا بمنع أهل الحق عن حقهم؟

قال ابن تيمية:

أما أخذه علياً وفاطمة والحسن والحسين في المباهلة، فحديث صحيح...

ولكن لا دلالة في ذلك على الإمامة ولا على الأفضلية.

وقوله: قد جعله الله نفس رسول الله...

قلنا: لانسلم أنه لم يبق إلا المساواة ولا دليل على ذلك، بل حملة على ذلك ممتنع، لأنّ أحداً لايساوي رسول الله... وهذا اللفظ في لغة العرب لا يقتضي المساواة...

بل هذا اللفظ يدلّ على المجانسة والمشابهة، والتجانس والمشابهة يكون بالإشتراك في بعض الامور... قوله تعالى: (تَعَالَوْا نَدْعُ) أي رجالنا ورجالكم، أي: الرجال الذين هم من جنسنا في الدين والنسب، والرجال الذين هم من جنسكم. والمراد التجانس في القرابة... والمباهلة إنما تحصل بالأقربين إليه... فطلب منهم المباهلة بالأبناء والنساء والرجال والأقربين من الجانبين، فلهذا دعا هؤلاء.

وأية المباهلة نزلت سنة عشر، لما قدم وفد نجران، ولم يكن النبي صلى الله عليه [وآله] قد بقي من أعمامه إلا العباس، والعباس لم يكن من السابقين الأولين، ولا كان له به اختصاص كعلي. وأمّا بنوعمه، فلم يكن فيهم مثل علي... فتعيّن علي. وكونه تعيّن للمباهلة - إذ ليس في الأقارب من يقوم مقامه - لا يوجب أن يكون مساوياً للنبي في شيء من الأشياء، بل ولا أن يكون أفضل من سائر الصحابة مطلقاً، بل له بالمباهلة نوع فضيلة، وهي مشتركة بينه وبين فاطمة وحسن وحسين، ليست من خصائص الإمامة.

وأما قول الرافضي: لو كان غير هؤلاء مساوياً...

فيقال في الجواب: لم يكن المقصود إجابة الدعاء، فإن دعاء النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم وحده كاف، ولو كان المراد بمن يدعو معه أن يستجاب دعاؤه، لدعا المؤمنين كلهم ودعابهم، كما كان يستسقي بهم، وكما كان يستفتح بصعاليك المهاجرين، وكان يقول: وهل تُنصرون أو تُرزقون إلاّ بضعفائكم؟! بدعائهم وصلاتهم وإخلاصهم!

ومن المعلوم أنّ هؤلاء وإن كانوا مجابين، فكثرة الدعاء أبلغ في الإجابة، لكن لم يكن المقصود دعوة من دعاه لإجابة دعائه، بل لأجل المقابلة بين الأهل والأهل!

والناس عند المقابلة تقول كلّ طائفة للأخرى: ارهنوا عندنا أبناءكم ونساءكم، فلو رهنت إحدى الطائفتين أجنبيّاً لم يرض أولئك، كما أنّه لو دعا النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم الأجنبي لم يرض أولئك المقابلون له، ولا يلزم أن يكون أهل الرجل أفضل عند الله إذا قابل بهم لمن يقابله بأهله.

فقد تبين أنّ الآية لا دلالة فيها أصلاً على مطلوب الرافضي.

لكنه - وأمثاله ممن في قلبه زيغ - كالنصارى الذين يتعلّقون بالألفاظ المجملة ويدعون النصوص الصريحة، ثمّ قدحه في خيار الأمة بزعمه الكاذب، حيث زعم أنّ المراد بالأنفس المساوون، وهو خلاف المستعمل في لغة العرب.

ومما يبيّن ذلك أنّ قوله: (نِسَاءَنَا) لا يختصّ بفاطمة، بل من دعاه من بناته كانت بمنزلتها في ذلك، لكن لم يكن عنده إذ ذاك إلاّ فاطمة، فإنّ رقية وأمّ كلثوم وزينب كنّ قد توفّين قبل ذلك. فكذلك (أَنْفُسَنَا) ليس مختصّاً بعليّ، بل هذه صيغة جمع، كما أنّ (نِسَاءَنَا) صيغة جمع، وكذلك (أَبْنَاءَنَا) صيغة جمع، وإنّما دعا حسناً وحسيناً، لأنّه لم يكن ممن يُنسب إليه بالبنوة سواهما، فإنّ إبراهيم إن كان موجوداً إذ ذاك فهو طفل لا يدعى...»^(١)

أقول:

كان هذا نص كلام ابن تيميّة في مسألة المباهلة، وهو يشتمل على تعصّبات وأباطيل، ولكن في

هذا الكلام:

١. الاعتراف بصحّة الحديث.

(١) منهاج السنة ٧ / ١٢٢ - ١٣٠.

وفيه ردُّ على المشكِّكين في صحَّته وثبوتَه عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

٢. الاعتراف باختصاص القضية بالأربعة الأطهار.

وفيه ردُّ على المنحرفين عن أهل البيت عليهم السلام، المحرِّفين للحديث بنقص «عليٍّ» منهم

أو زيادة غيرهم عليهم!! كما سيأتي.

٣. الاعتراف بأنَّهم هم الذين أدار عليهم الكساء.

وفيه ردُّ على من زعم دخول غيرهم في آية التطهير، بل فيه دلالة على تناقض ابن تيميَّة، لزمه

- في موضع من منهجه - دخول الأزواج أخذاً بالسياق.

٤. الاعتراف بأنَّ في المباهلة نوع فضيلة لعليٍّ، فإنَّ هذا التعبير وإنَّ كان يكشف عن مرض في

قلبه، لأنَّ هذا القضية تدلُّ على فضيلة عظيمة لم ينلها أحدٌ من الصحابة غيره، وسيأتي طرف من

تصريحات علماء القوم بذلك، ولكنَّ إقراره بهذا المقدار أيضاً غنيمة، وفيه ردُّ على من يحاول إنكار

ذلك.

ثمَّ إنَّ ابن تيميَّة ينكر دلالة الحديث على الإمامة والأفضليَّة مطلقاً، بكلام مضطرب مشتمل على

التهافت، وعلى جواب - قال الدهلوي عنه: - هو من كلام النواصب!!

فأول شيء قاله هو: إنَّ أحداً لا يساوي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ونحن أيضاً نقول: إنَّ أحداً لا يساويه لولا الآية والأحاديث القطعية الواردة عنه في خصوص

الإمام: كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «عليٌّ منِّي وأنا من عليٍّ، وهو وليكم بعدي»^(١) وقوله - في

قصة سورة البراءة - : «لا يؤدِّي عني إلا أنا أو رجل مني»^(١).

(١) هذا حديث الولاية، وهو من أصحِّ الأحاديث وأثبتها، وقد بحثنا عنه سنداً ودلالةً في الجزء الخامس عشر من

أجزاء كتابنا الكبير «نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار».

وقوله صَلَّى الله عليه وآله: خلقت أنا وعلي من نور واحد...^(٢)

وقوله صَلَّى الله عليه وآله: خلقت أنا وعلي من شجرة واحدة...^(٣)

وقوله صَلَّى الله عليه وآله وسلم - لوفد ثقيف - : «لَتُسَلِمَنَّ أَوْ لِأَبْعَثَنَّ عَلَيْكُمْ رَجُلًا مِنِّي - أَوْ قَالَ:

مثل نفسي - لِيضْرِبَنَّ أَعْنَاقَكُمْ وَلِيَسْبِيَنَّ ذُرَارِيَكُمْ، وَلِيَأْخُذَنَّ أَمْوَالَكُمْ» قال عمر: فوالله ما تمنيت الإمارة

إِلَّا يَوْمَئِذٍ، فَجَعَلْتُ أَنْصَبُ صَدْرِي رَجَاءً أَنْ يَقُولَ: هُوَ هَذَا. فَالْتَفَتْتُ إِلَى عَلِيٍّ فَأَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: «هُوَ هَذَا

هُوَ هَذَا».^(٤)

وقوله صَلَّى الله عليه وآله وسلم منزلاً إِيَّاهُ مِنْزَلَةً نَفْسِهِ: «إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يِقَاتِلُ عَلِيَّ تَأْوِيلَ الْقُرْآنِ

كَمَا قَاتَلَتْ عَلِيَّ تَنْزِيلَهُ» فَاسْتَشْرَفَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ وَغَيْرُهُمَا، كُلٌّ يَقُولُ: أَنَا هُوَ؟ قَالَ: لَا؛ ثُمَّ قَالَ:

«وَلَكِنْ خَاصَفَ النَّعْلَ» وَكَانَ قَدْ أُعْطِيَ عَلِيًّا نَعْلَهُ يَخْصِفُهَا.^(١)

إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحَادِيثِ.

فَإِذَا كَانَ هَذَا قَوْلَ اللَّهِ وَكَلَامَ الرَّسُولِ، فَمَاذَا نَفْعَلُ نَحْنُ؟!

ثُمَّ إِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ لَفْظَ «الْأَنْفُسِ» لَا يَدُلُّ عَلَيَّ «الْمَسَاوَاةِ» فِي لُغَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ ادَّعَى:

بَلْ هَذَا اللَّفْظُ يَدُلُّ عَلَى الْمَجَانَسَةِ وَالْمَشَابَهَةِ، وَالتَّجَانُسِ وَالْمَشَابَهَةِ يَكُونُ بِالِإِشْتِرَاكِ فِي بَعْضِ

الْأُمُورِ... وَالْمَرَادُ التَّجَانُسُ فِي الْقَرَابَةِ.

أقول:

(١) وهذا أيضاً من أصح الأحاديث وأثبتها، راجع: مسند أحمد ١ / ٣ / ١٥١، وصحيح الترمذي، والخصائص

للنسائي، والمستدرک علی الصحیحین، وراجع التفاسیر فی سورة البراءة.

(٢) فضائل الصحابة ٢ / ٦٦٢، الفردوس بمأثور الخطاب ٣ / ٢٨٣، تاريخ ابن عساکر ٤٢ / ٦٧.

(٣) المستدرک ٢ / ٢٦٣، المعجم الاوسط ٤ / ٢٦٣، كنز العمال ١١ / ٦٠٨.

(٤) راجع: الاستيعاب ٣ / ١١٠٩، ترجمة أمير المؤمنين.

إنَّ الوجه في الاستدلال بـ «أنفسنا» في الآية على «المساواة» هو: «أن الله تعالى جعل علياً نفس الرسول، والاتحاد محال، فيبقى المراد المساوي» وهذا نصّ كلام العلامة، ومثله كلام غيره من علمائنا المستدلين بالآية، وإذا كان مساوياً للنبي كان أفضل من غيره مطلقاً، لأن النبي صلى الله عليه وآله أفضل الخلائق مطلقاً.

ولكن ابن تيمية لم يجب عن هذا الاستدلال، وإنما قال: هذا اللفظ في لغة العرب لا يقتضي المساواة!!

وقد فسّر غير واحد من علماء القوم الآية بما نذهب إليه أو اعترف به كما سيأتي.

وأما قوله: بل هذا اللفظ يدل على المجانسة والمشابهة...

فلو سلّمنا كلامه، فلماذا «في بعض الأمور»؟ إنَّ الآية تدلّ على المجانسة والمشابهة مطلقاً. هذا أولاً.

وثانياً: لماذا التخصيص بـ «التجانس في القرابة»؟ إنه تحكّم وزور وتعصّب.

وإذا كان المراد هو «التجانس في القرابة»، فلماذا التقييد بعد ذلك بـ «الأقربيّة»؟

وإذا كان المراد هو «التجانس في القرابة»، فلماذا التقييد بعد ذلك بقوله: «والعباس لم يكن من

السابقين الأولين» كما سيأتي؟

ومن هنا يظهر أنّ المراد ليس التجانس في القرابة، بل لو كان المراد هو التجانس والمشابهة

فهي مطلقة، أي في جميع الكمالات والصفات التي أوجبت أفضليّة رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم، فثبت المطلوب كذلك.

(١) أخرجه أحمد ٣ / ٣٣، والحاكم ٣ / ١٢٢، والنسائي في الخصائص، وابن عبد البر وابن حجر وابن الأثير بترجمته. وكذا غيرهم.

ثم إنه أكدّ كون أخذ الأربعة الأطهار عليهم السلام لمجرّد القرابة، بإنكار الإستعانة بهم في

الدعاء، فقال: «لم يكن المقصود إجابة الدعاء، فإنّ دعاء النبيّ وحده كاف!»!

لكنّه اجتهاد في مقابلة النصّ، فقد روى القوم أنّه صلّى الله عليه وآله وسلّم قال لهم: «إذا أنا

دعوت فأمنوا»،^(١) وأنّه قد عرف أسقف نجران ذلك حيث قال: «إنّي لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزِيل

جبلا من مكانه لأزاله بها» أو: «لو سألوا الله أن يزِيل جبلا من مكانه لأزاله بها».^(٢)

ثمّ قال ابن تيميّة: «لم يكن المقصود دعوة من دعاه لإجابة دعائه، بل لأجل المقابلة بين الأهل

والأهل... فإنّ المقصود أنّ أولئك يأتون بمن يشفقون عليه طبعاً كأبنائهم ونسائهم ورجالهم...».

وهذا كلام النواصب... كما نصّ عليه المولوي عبدالعزيز الدهلوي.^(٣)

وحاصل كلامه: أنّه إنّما دعاهم لكونهم أقرباءه فقط، على ما كان عليه المتعارف في المباهلة،

فلا مزيّة لمن دعاه أبداً، فلا دلالة في الآية على مطلوب الشيعة أصلاً، لكنّهم كالنصارى...!!

لكنّه يعلم بوجود الكثيرين من أقرباء النبيّ صلّى الله عليه وآله - من الرجال والنساء - وعلى

رأسهم عمّه العباس، فلو كان التعبير بالنفس لمجرّد القرابة، لدعا العباس وأولاده وغيرهم من بني

هاشم!

فيناقض نفسه ويرجع إلى الاعتراف بمزيّة لمن دعاهم، وأنّ المقام ليس مقام مجرّد القرابة...!!

انظر إلى كلامه:

(١) سننقل بعض نصوص العلماء المشتملة على ذلك.

(٢) الكشاف، الرازي، البيضاوي وغيرهم، بتفسير الآية.

(٣) التحفة الاثنا عشرية: ٢٠٦.

«ولم يكن النبي صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم قد بقي من أعمامه إلاّ العباس، والعبّاس لم يكن من السابقين الأوّلين، ولا كان له به اختصاص كعليّ. وأما بنو عمّه، فلم يكن فيهم مثل عليّ... فتعيّن عليّ رضي الله عنه.

وكونه تعيّن للمباهلة إذ ليس في الأقارب ممن يقوم مقامه لايوجب... بل له بالمباهلة نوع فضيلة...».

إذن!! لا بدّ في المباهلة من أن يكون المباهل به صاحب مقام يمتاز به عن غيره، ويقدمه على من سواه، وقد ثبت ذلك لعلّيّ عليه السلام بحيث ناسب أن يأمر الله رسوله بأن يعبر عنه بأنّه نفسه، وهذا هو المقصود من الاستدلال بالآية المباركة، وبه يثبت المطلوب لأهل الحق.

فانظر كيف اضطربت كلمات الرجل وناقض نفسه!!

غير أنّه بعد الإعراف بالفضيلة تأبى نفسه السكوت عليها، وإذ لا يمكنه دعوى مشاركة زيد وعمر وبكر...!! معه فيها، كما زعم ذلك في غير موضع من كتابه فيقول:

«وهي مشتركة بينه وبين فاطمة وحسن وحسين...».

وهكذا قال - في موضع من كتابه - حول آية التطهير، لمّا لم يجد بُدّاً من الإعراف باختصاصها بأهل البيت... .

لكنّه غفل أو تغافل أنّ هذه المشاركة لا تُضّر باستدلال الشيعة بل تنفع، إذ تكون الآية من جملة الدلائل القطعيّة على أفضليّة بضعة النبيّ فاطمة وولديه الحسنين عليهم السلام من سائر الصحابة عدا أمير المؤمنين عليه السلام - كما دلّ على ذلك حديث: «فاطمة بضعة منّي...» وقد بيّنا ذلك سابقاً - فعليّ هو الإمام بعد رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم بالآية المباركة والحديث القطعي الوارد في شأن نزولها.

وأما دعواه أن المباهلة لا توجب أن يكون الإمام مساوياً للتبصليّ الله عليه وآله في شيء من الأشياء، بل ولا أن يكون أفضل من سائر الصحابة مطلقاً، بل له بالمباهلة نوع فضيلة، فإنكار للحقيقة.

أما المساواة مع النبيّ، فالمباهلة دالة على مساواته له في العصمة والأفضليّة...

وأما أن يكون بالمباهلة أفضل من سائر الصحابة، فقد اعترف بذلك الفخر الرازي وغيره، بل إن من علمائنا من يستدلُّ بها على أفضليّته من سائر الأنبياء السابقين كما أن النبيّ كذلك، لكن القوم لا يوافقون على هذا القسم من الاستدلال. وهذا نصّ كلام الرازي بتمامه في هذا المقام:

المسألة الثانية: روي أنه عليه السلام لما أورد الدلائل على نصارى نجران، ثم إنهم أصرّوا على جهلهم فقال عليه السلام «إن الله أمرني إن لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم».

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط من شعر أسود، وكان قد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي رضي الله عنه خلفها، وهو يقول: إذا دعوت فأمتوا.

فقال أسقف نجران: يا معشر النصارى: إني لأرى وجوهاً لو سألو الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها، فلاتبأهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة. ثم قالوا: يا أبا القاسم، رأينا أن لا نباهلك وأن نقوّك على دينك. فقال صلوات الله عليه: فإذا أبيتم المباهلة فأسلموا، يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين، فأبوا، فقال: فإني أناجزكم القتال، فقالوا: مالنا بحرب العرب طاقة، ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا، على أن نوّدي إليك في كلّ عام ألفي حلّة: ألفاً في صفر، وألفاً في رجب، وثلاثين درعاً عادية من حديد.

فصالحهم على ذلك وقال: والذي نفسي بيده، إن الهلاك قد تدلّى على أهل نجران، ولو لاعتنوا لمسخوا قردهً وخنزير، ولاضطرم عليهم الوادي ناراً، ولاستأصل الله نجران وأهله، حتى الطير على رؤس الشجر، ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا.

وروي أنه عليه السلام لما خرج في المرط الأسود، فجاء الحسن رضي الله عنه فأدخله، ثم جاء الحسين رضي الله عنه فأدخله ثم فاطمة ثم علي رضي الله عنهما، ثم قال **(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)**

واعلم أن هذه الرواية كالمتمفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث...

المسألة الرابعة: هذه الآية دالة على أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا إني رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم، وعد أن يدعو أبناءه، فدعا الحسن والحسين، فوجب أن يكونا ابنيه، ومما يؤكد هذا قوله تعالى في سورة الأنعام **(مِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ)** إلى قوله **(وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى)**. ومعلوم أن عيسى عليه السلام إنما انتسب إلى إبراهيم عليه السلام بالأم لابالآب، فثبت أن ابن البنت قد يسمى ابناً. والله أعلم.

المسألة الخامسة: كان في الري رجل يقال له: محمود بن الحسن الحمصي، وكان معلّم الاثني عشرية، وكان يزعم أن علياً رضي الله عنه أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد عليه السلام، قال: والذي يدلّ عليه قوله تعالى **(وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ)** وليس المراد بقوله **(وَأَنْفُسَنَا)** نفس محمد صَلَّى الله عليه وسلم، لأن الإنسان لا يدعو نفسه، بل المراد به غيره. وأجمعوا على أن ذلك الغير كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فدلت الآية على أن نفس علي هي نفس محمد، ولا يمكن أن يكون المراد منه أن هذه النفس هي عين تلك النفس، فالمراد أن هذه النفس مثل تلك النفس، وذلك يقتضي الاستواء في جميع الوجوه، ترك العمل بهذا العموم في حق النبوة، وفي حق الفضل، لقيام الدلائل على أن محمداً عليه السلام كان نبياً وما كان علي كذلك، ولانعقاد الإجماع على أن محمداً عليه السلام كان أفضل من علي رضي الله عنه، فيبقي فيما وراءه معمولاً به، ثم الإجماع دلّ

على أن محمداً عليه السلام كان أفضل من سائر الأنبياء عليهم السلام، فيلزم أن يكون علي أفضل من سائر الأنبياء. فهذا وجه الاستدلال بظاهر هذه الآية.

ثم قال: ويؤيد الاستدلال بهذه الآية، الحديث المقبول عند الموافق والمخالف، وهو قوله عليه السلام «من أراد أن يرى آدم في علمه، ونوحاً في طاعته، وإبراهيم في خلته، وموسى في هيبته، وعيسى في صفوته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. فالحديث دلّ على أنه اجتمع فيه ما كان متفرقاً فيهم، وذلك يدلّ على أن علياً رضي الله عنه أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم،

وأما سائر الشيعة، فقد كانوا قديماً وحديثاً يستدلّون بهذه الآية على أن علياً رضي الله عنه مثل نفس محمد عليه السلام إلا فيما خصّه الدليل، وكان نفس محمد أفضل من الصحابة رضوان الله عليهم، فوجب أن يكون نفس علي أفضل أيضاً من سائر الصحابة.

هذا تقرير كلام الشيعة.

والجواب: أنه كما انعقد الإجماع بين المسلمين على أن محمداً عليه السلام أفضل من علي، فكذلك انعقد الإجماع بينهم - قبل ظهور هذا الإنسان - على أن النبي أفضل ممن ليس بنبي، وأجمعوا على أن علياً رضي الله عنه ما كان نبياً، فلزم القطع بأن ظاهر الآية كما أنه مخصوص في حق محمد صلى الله عليه وسلم، فكذلك مخصوص في حق سائر الأنبياء عليهم السلام»^(١).

فانظر، كيف يسكت على تقرير الشيعة لدلالة الآية والحديث على الأفضلية من سائر الصحابة، ويرد - بزعمه - على القول بالدلالة على الأفضلية من الأنبياء السابقين، بدعوى قيام الإجماع من المسلمين على خلاف ذلك. لكن الإجماع غير منعقد، لأن الشيعة قائلون بأفضلية علي والمعصومين

(١) تفسير الرازي ٨ / ٨٠ - ٨١.

من أهل البيت من سائر الأنبياء، ولهم على ذلك الأدلة المتقنة، كالحديث الذي ذكره الشيخ الحمصي وغيره، ممّا هو مبسوط في موضعه.

وقال النيسابوري بتفسير الآية المباركة:

«أي: يدعُ كلُّ منّا ومنكم أبناءه ونساءه، ويأت هو بنفسه وبمن هو كنفه إلى المباهلة. وإنّما يعلم إتيانه بنفسه من قرينة ذكر النفس ومن إحضار من هم أعزّ من النفس، ويعلم إتيان من هو بمنزلة النفس من قرينة أن الإنسان لا يدعو نفسه. (ثُمَّ تَبْتَهَلُ): ثمّ نتباهل...» .

وفي الآية دلالة على أنّ الحسن والحسين - وهما ابنا البنت - يصحّ أن يقال: إنّهما ابنا رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم، لأنّه صلّى الله عليه [وآله] وسلّم وعد أن يدعو أبناءه ثمّ جاء بهما. وقد تمسك الشيعة قديماً وحديثاً بها في أنّ عليّاً أفضل من سائر الصحابة؛ لأنّها دلّت على أنّ نفس عليّ مثل نفس محمّد إلاّ في ما خصّه الدليل.

وكان في الرىّ رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي - وكان متكلم الاثني عشرية - يزعم أنّ عليّاً أفضل من سائر الأنبياء سوى محمّد. قال: وذلك أنّه ليس المراد بقوله: (أَنْفُسَنَا) نفس محمّد، لأنّ الإنسان لا يدعو نفسه، فالمراد غيره، وأجمعوا على أنّ الغير كان عليّ بن أبي طالب... .

وأجيب: بأنّه كما انعقد الإجماع بين المسلمين على أنّ محمّداً أفضل من سائر الأنبياء، فكذا انعقد الإجماع بينهم - قبل ظهور هذا الإنسان - على أنّ النبيّ أفضل ممّن ليس بنبيّ، وأجمعوا على أنّ عليّاً عليه السلام ما كان نبياً... .

وأما فضل أصحاب الكساء، فلاشكّ في دلالة الآية على ذلك، ولهذا ضمّهم إلى نفسه، بل

قدّمهم في الذكر...»^(١).

(١) تفسير النيسابوري - هامش الطبري ٣ / ٢١٤ - ٣١٥.

وذكر الزمخشري حديث المباهلة وخروج النبي بأهل بيته الأطهار وهو يقول لهم: إذا أنا دعوت فأمنوا، ثم قال:

فإن قلت: ما كان دعاؤه إلى المباهلة إلا لتبيين الكاذب منه ومن خصمه، وذلك أمر يختص به وبمن يكاذبه، فما معنى ضمّ الأبناء والنساء؟

قلت: ذلك أكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه، حيث استجراً على تعريض أعزّته وأفلاذ كبده وأحبّ الناس إليه لذلك، ولم يقتصر على تعريض نفسه له؛ وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبّته وأعزّته هلاك الاستئصال إن تمت المباهلة.

وخصّ الأبناء والنساء، لأنّهم أعزّ الأهل وأصدقهم بالقلوب، وربّما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل، ومن ثمّة كانوا يسوقون مع أنفسهم الطعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب، ويسمّون الذادة عنها بأرواحهم: حماة الطعائن.

وقدّمهم في الذكر على الأنفس لينبّه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم، وليؤذّن بأنّهم مقدّمون على الأنفس مفدون بها.

وفيه دليل لاشيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء.

وفيه برهان واضح على نبوة النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، لأنّه لم يرو أحد من موافق ولا مخالف أنّهم أجابوا إلى ذلك»^(١).

فانظر كيف يصرّحون بعظمة هذه القضية وجلالة هذه الفضيلة.

ثم إن في هذه القضية دلالةً على الأفضلية من جهة أخرى، وهي كون علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام أحبّ الخلق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد نصّ على ذلك الزمخشري وغيره، ولا شكّ أن الأحيية إليه تستلزم الأفضلية:

قال البيضاوي: «أي يدع كلّ منّا ومنكم نفسه وأعزّة أهله وألصقهم بقلبه إلى المباهلة...».

فقال الشهاب الخفاجي في حاشيته: «ألصقهم بقلبه، أي: أحبهم وأقربهم إليه».

وقال: «قوله: وإنما قدمهم...، يعني: أنهم أعزّ من نفسه، ولذا يجعلها فداءً لهم، فلذا قدّم ذكرهم

اهتماماً به. وأمّا فضل آل الله والرسول فالنهار لا يحتاج إلى دليل»^(١).

وكذا قال الخطيب الشربيني^(٢)، والشيخ سليمان الجمل^(٣)، وغيرهما.

وقال القاري: «فنزّله بمنزلة نفسه لما بينهما من القرابة والأخوة»^(٤).

هذا، ولولا دلالة الآية والحديث على الإمامة والأفضلية، لما عمدوا إلى تحريف الخبر وجعل

الحديث للآخرين:

فقد روى ابن شبة في تاريخه بإسناده عن الشعبي قال:

قدم وفد نجران، فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أخبرنا عن عيسى... قال:

فأصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغدا حسن وحسين وفاطمة وناس من أصحابه. وغدوا

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: ٣ / ٣٢.

(٢) السراج المنير في تفسير القرآن ١ / ٢٢٢.

(٣) الجمل على الجلالين ١ / ٢٨٢.

(٤) المرقاة في شرح المشكاة ٥ / ٥٨٩.

إلى رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم فقالوا: ماللملاعنة جئناك، ولكن جئناك لتفرض علينا شيئاً
نؤدّيه إليك...»^(١).

فانظر، كيف زاد: «وناسٌ من أصحابه»!؟

وروى الحلبي في سيرته قال:

«وفي لفظ: أنّهم وادعوه على الغد، فلمّا أصبح صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم أقبل ومعه حسن
وحسين وفاطمة وعليّ رضي الله عنهم وقال: اللهم هؤلاء أهلي...» .

وعن عمر رضي الله عنه، أنّه قال للنبي صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم: لو لاعنتهم يا رسول الله
بيد من كنت تأخذ؟ قال صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم: أخذ بيد عليّ وفاطمة والحسن والحسين
وعائشة وحفصة.

وهذا - أي زيادة عائشة وحفصة - دلّ عليه قوله تعالى: (وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ) وصالحوه...»^(٢).

فانظر، كيف زاد: «عائشة وحفصة»!؟

وروى ابن عساكر بإسناده بترجمة عثمان بن عفّان، عن الهيثم بن عدي، قال: سمعت جعفر بن
محمّد، عن أبيه في هذه الآية (تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا
وَأَنْفُسَكُمْ). قال: فجاء بأبي بكر وولده، وبعمر وولده، وبعثمان وولده، وبعليّ وولده»^(٣).

ورواه عنه: السيوطي^(٤) والشوكاني^(١) والالوسي^(٢) والمراعي^(٣) ساكتين عنه!! نعم قال الالوسي:

«وهذا خلاف ما رواه الجمهور».

(١) تاريخ المدينة المنورة ١ / ٥٨١ - ٥٨٢.

(٢) إنسان العيون ٣ / ٢٣٦.

(٣) تاريخ دمشق ٣٩ / ١٧٧.

(٤) الدر المنثور ٢ / ٤٠.

ولولا دلالة الحديث والآية على الإمامة والأفضلية لما حَزَفَ البخاري^(٤) الخبر وكذا ابن سعد^(٥) لَمَّا روى خبر «وفد نجران»، إذ لم ينقل خبر المباهلة، والبلاذري إذ روى الخبر تحت عنوان «صلح نجران» فذكر فاطمة والحسن والحسين، وحذف اسم علي عليه السلام^(٦) وقال القاضي عبدالجبار المعتزلي: «وفي شيوخنا من ذكر عن أصحاب الآثار أنَّ علياً لم يكن في المباهلة».^(٧)

(١) فتح القدير ١ / ٣٤٨.

(٢) روح المعاني ٣ / ١٩٠.

(٣) تفسير المراغي ٤ / ١٧٥.

(٤) صحيح البخاري ٥ / ٢١٧.

(٥) الطبقات الكبرى ١ / ٣٥٧.

(٦) فتوح البلدان / ٧٥-٧٦.

(٧) المغني في الامامة ٢٠ القسم ١ / ١٤٢.

البرهان العاشر

قوله تعالى: (فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ).

روى الفقيه ابن المغازلي الشافعي بإسناده عن ابن عباس قال: «سئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه. قال: سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت عليّ، فتاب عليه!»!

وهذه فضيلة لم يلحقه أحد من الصحابة فيها، فيكون هو الإمام، لمساواته النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في التوسل به إلى الله تعالى.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بصحة هذا النقل، فقد عرف أن مجرد رواية ابن المغازلي لايسوغ الاحتجاج بها باتفاق أهل العلم.

الثاني: إن هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل العلم. وذكره أبو الفرج ابن الجوزي في الموضوعات من طريق الدارقطني، فإن له كتباً في الأفراد والغرائب. قال الدارقطني: تفرد به عمرو بن ثابت عن أبيه عن أبي المقدام. لم يروه عنه غير حسين الأشقر. قال يحيى بن معين: عمرو بن ثابت ليس ثقةً ولا مأموناً. وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات.

الثالث: إنَّ الكلمات التي تلقَّها آدمٌ قد جاءت مفسَّرةً في قوله تعالى (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ

تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ). وقد روي عن السلف هذا وما يشبهه، وليس في شيء

من النقل الثابت عنهم ما ذكره من القسم.

الرابع: أنه معلوم بالاضطرار أن من هو دون آدم من الكفَّار والفساق إذا تاب أحدهم إلى الله تاب

الله عليه، وإن لم يقسم عليه بأحد. فكيف يحتاج آدم في توبته إلى ما لا يحتاج إليه أحد من المذنبين،

لا مؤمن ولا كافر؟

وطائفة قد رووا أنه توسَّل بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى قَبِلَ توبته، وهذا كذب. وروى عن

مالك في ذلك حكاية في خطابه للمنصور، وهو كذب على مالك، وإن كان ذكرها القاضي عياض في

«الشفاء».

الخامس: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يأمر أحداً بالتوبة بمثل هذا الدعاء، بل ولا أمر أحداً

بمثل هذا الدعاء في توبة ولا غيرها، بل ولا شرَّع لأُمَّته أن يقسموا على الله بمخلوق، ولو كان هذا

الدعاء مشروعاً لشرَّعه لأُمَّته.

السادس: أن الإقسام على الله بالملائكة والأنبياء أمر لم يرد به كتاب ولا سنَّة، بل قد نصَّ

غير واحد من أهل العلم - كأبي حنيفة وأبي يوسف وغيرهما - على أنه لا يجوز أن يقسم على الله

بمخلوق. وقد بسطنا الكلام على ذلك.

السابع: أن هذا لو كان مشروعاً فأدم نبيٌّ كريم، كيف يقسم على الله بمن هو أكرم عليه منه؟ ولا

ريب أن نبيِّنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل من آدم، لكن آدم أفضل من عليٍّ وفاطمة وحسن وحسين.

الثامن: أن يُقال: هذه ليست من خصائص الأئمة، فإنها قد ثبتت لفاطمة. وخصائص الأئمة

لا تثبت للنساء. وما لم يكن من خصائصهم لم يستلزم الإمامة، فإن دليل الإمامة لا بدُّ أن يكون ملزوماً

لها، يلزم من وجوده استحقاقها، فلو كان هذا دليلاً على الإمامة لكان من يتصف به يستحقها، والمرأة لا تكون إماماً بالنص والإجماع.

أقول:

لقد أخرج الحاكم، والبيهقي، والطبراني، وأبو نعيم، وابن عساكر، والقاضي عياض، وغيرهم، بأسانيدهم المعتبرة، حديث توصل آدم عليه السلام بنبينا صلى الله عليه وآله وسلم :

قال الحاكم: «حدثنا أبو سعيد عمرو بن محمد بن منصور العدل، ثنا أبو الحسن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، ثنا أبو الحارث عبد الله بن مسلم الفهري، ثنا إسماعيل بن مسلمة، أنبأ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر ابن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب، أسألك بحق محمد لما غفرت لي. فقال الله: يا آدم! وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب! لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك، رفعت رأسي، فرأيت على قوائم العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله. فعلمت أنك لم تضيف إلي اسمك إلا أحب الخلق إليك. فقال الله: صدقت يا آدم! إنّه لأحب الخلق إليّ، ادعني بحقه، فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك.

هذا حديث صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبد الرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب»^(١).

وقال الطبراني: «حدثنا محمد بن داود بن أسلم الصدفي المصري، حدثنا أحمد ابن سعيد المدني الفهري، حدثنا عبد الله بن إسماعيل المدني، عن عبد الرحمن بن زيد ابن أسلم عن أبيه، عن جده، عن ابن الخطاب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لما أذنب آدم عليه السلام الذنب

(١) المستدرک على الصحيحين ٢ / ٦١٥.

الذي أذنبه، رفع رأسه إلى العرش فقال: أسألك بحق محمدٍ إلا غفرت لي، فأوحى الله إليه: وما محمدٌ؟ ومن محمدٌ؟ فقال: تبارك اسمك، لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك، فإذا فيه مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنه ليس أحد أعظم عندك قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله عز وجل إليه: يا آدم! إنه آخر النبيين من ذريتك، وإن أمته آخر الأمم من ذريتك»^(١).

وقد استدلل الحافظ السبكي بهذه الأحاديث على جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في كل حال، قبل خلقه وبعد خلقه، في مدة حياته في الدنيا وبعد موته، في مدة البرزخ وبعد البعث في عرصات القيامة والجنة... وقال بعد ذكر حديث الحاكم وغيره: «والحديث المذكور لم يقف ابن تيمية عليه بهذا الإسناد، ولا بلغه أن الحاكم صححه... وكيف يحل لمسلم أن يتجاسر على منع هذا الأمر العظيم الذي لا يردّه عقل ولا شرع؟...»^(٢).

هذا، واسم أمير المؤمنين عليه السلام مقرون باسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على العرش، فليس أحد أعظم عند الله قدراً ممن جعل اسمه مع اسمه كما قال آدم عليه السلام، والقوم يحاولون أن يكتسبوا هذه الفضيلة كغيرها من الفضائل، ولكن الله شاء أن تروى وتبقى:

أخرج القاضي عياض عن أبي الحمراء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال: «لما أُسري بي إلى السماء، إذا على العرش مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله أيّدته بعلي»^(٣).
وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لما عرج بي، رأيت على ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله أيّدته بعلي»^(٤).

(١) المعجم الصغير ٢ / ٨٢ .

(٢) شفاء الأسقام في زيارة خير الأنام / ٢٩٤ - ٢٩٧.

(٣) الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ١ / ٣٤٠.

(٤) الخصائص الكبرى ١ / ٧، الدر المنثور ٥ / ٢١٩.

وأخرج ابن عدي وابن عساكر عن أنس قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم: «لَمَّا عَرَجَ بِي، رَأَيْتَ عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ أَيَّدْتَهُ بَعْلِي».^(١)

وعقد الحافظ محب الدين الطبري: «ذكر اختصاصه بتأييد الله نبيّه به وكتبه ذلك على ساق العرش وعلى بعض الحيوان» فأخرج الحديث عن أبي الحمراء برواية الملائ في سيرته.

وأخرج عن ابن عباس: «كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - إِذَا بَطَّأَتْ فِيهِ لَوْزَةٌ خَضْرَاءَ، فَالْقَاهَا فِي حَجَرِ النَّبِيِّ، فَقبَّلَهَا ثُمَّ كسَرَهَا، فَإِذَا فِي جَوْفِهَا دُودَةٌ خَضْرَاءَ مَكْتُوبٌ فِيهَا بِالْأَصْفَرِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ نصرته بعلي. خرّجه أبو الخير القزويني الحاكمي».^(٢)

فسواء صحّ الحديث الذي أخرجه ابن المغازلي المحدث الفقيه الشافعي في الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه، أو لم يصحّ، ففي الأحاديث المذكورة كفاية، لمن طلب الحقّ والهداية.

وأما الحديث المذكور، فهذا نصّه بسنده: «أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب - إجازة - أخبرنا أبو أحمد عمر بن عبيد الله بن شوذب، حدّثنا محمد بن عثمان قال: حدّثني محمد بن سليمان بن الحارث، حدّثنا محمد بن علي بن خلف العطار، حدّثنا حسين الأشقر، حدّثنا عمرو بن أبي المقدم، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن عبد الله ابن عباس، قال: سئل النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم عن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه، قال: سأله بحقّ محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلّا تبّت عليّ. فتاب عليه».^(٣)

(١) الخصائص الكبرى ١ / ٧؛ الدر المنثور ٥ / ٢١٩.

(٢) الرياض النضرة في مناقب العشرة ٣ / ١٣١.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب ٦٣ / ٨٩.

فهذه رواية ابن المغازلي.^(١)

وقال شيخ الإسلام الحموي: ^(٢) «أخبرني الشيخ الصالح جمال الدين أحمد بن محمد بن محمد بن معروف بمذكوبه القزويني وغيره أجازة، بروايتهم عن الشيخ الإمام إمام الدين أبي القاسم عبدالكريم بن محمد بن عبدالكريم الرافعي القزويني إجازة، أنبأنا الشيخ العالم عبدالقادر بن أبي صالح الجيلي، قال: أنبأنا أبو البركات هبة الله بن موسى الثقفي قال: أنبأنا القاضي أبو المظفر هناد بن إبراهيم النسفي قال: أنبأنا الحسن ابن محمد بن موسى - بتكرير - قال: أنبأنا محمد بن فرحان، حدثنا محمد بن يزيد القاضي، حدثنا قتيبة، حدثنا الليث بن سعد، عن العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى آدَمَ أَبَا الْبَشَرِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ التَّفْتَ آدَمَ يَمْنَةَ الْعَرْشِ، فَإِذَا فِي النُّورِ خَمْسَةَ أَشْبَاحٍ سَجْدًا وَرُكْعًا. قَالَ آدَمُ: يَا رَبِّ، هَلْ خَلَقْتَ أَحَدًا مِنْ طِينٍ قَبْلِي؟ قَالَ: لَا يَا آدَمُ. قَالَ: فَمَنْ هَؤُلَاءِ الْخَمْسَةُ الْأَشْبَاحُ الَّذِينَ أَرَاهُمْ فِي هَيْئَتِي وَصُورَتِي؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خَمْسَةٌ مِنْ وَلَدِكَ، لَوْلَاهُمْ مَا خَلَقْتُكَ، هَؤُلَاءِ خَمْسَةٌ شَقِقْتَ لَهُمْ خَمْسَةَ أَسْمَاءٍ مِنْ أَسْمَائِي، لَوْلَاهُمْ مَا خَلَقْتَ الْجَنَّةَ وَلَا النَّارَ وَلَا الْعَرْشَ وَلَا الْكُرْسِيَّ وَلَا السَّمَاءَ وَلَا الْأَرْضَ وَلَا الْمَلَائِكَةَ وَلَا الْإِنْسَ

(١) توجد ترجمته في: الأنساب - الجلابي، قال: «والمشهور بهذه النسبة: أبو الحسن علي بن محمد بن الطيب الجلابي، المعروف بابن المغازلي، من أهل واسط العراق - كان فاضلاً عارفاً برجال واسط وحديثهم، وكان حريصاً علي سماع الحديث وطلبه، رأيت له ذيل التاريخ بواسط، وطالعت وانتخبت منه... روى لنا عنه ابنه بواسط».

قلت:

وتاريخه المذكور اعتمده الأكابر ونقلوا عنه، كالذهبي في تذكرة الحفاظ، كما أنّ كتابه في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام اعتمده كبار الحفاظ، كالسهمودي في جواهر العقدين، وابن حجر المكي في الصواعق المحرقة.

(٢) توجد ترجمته في غير واحد من المصادر، من أهمها: المعجم المختص للحافظ الذهبي، فقد ترجم له فيه لكونه من مشايخه في الحديث.

ولا الجنّ، فأنا المحمود وهذا محمّد، وأنا العالي وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الإحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين.

آليت بعزّتي أنّه لا يأتيني أحد بمثقال حبة من خردل من بغض أحدهم إلّا أدخلته ناري ولا أبالي. يا آدم! هؤلاء صفوتي من خلقي، بهم أنجيهم وبهم أهلّكهم، فإذا كان لك إليّ حاجة فهؤلاء توّسل. فقال النبيّ: نحن سفينة النجاة، من تعلّق بها نجا ومن حاد عنها هلك، فمن كان له إلى الله حاجة فليسأل بنا أهل البيت»^(١).

ورواه أبو الفتح النطنزي^(٢) في كتاب الخصائص العلوية.

وقال الحافظ السيوطي: «وأخرج الديلمي في مسند الفردوس بسند واه عن علي، قال: سألت النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم عن قول الله: (فَتَلَقَى آدَمُ) - فذكر الحديث إلى قول الله عزّ وجلّ لآدم - : «فعليك بهؤلاء الكلمات، فإنّ الله قابل توبتك وغافر ذنبك. قل: اللهمّ إني أسألك بحق محمّد وآل محمّد... فهؤلاء الكلمات التي تلقى آدم».

قال السيوطي: «وأخرج ابن النجّار، عن ابن عبّاس، قال: سألت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم عن الكلمات التي تلقّاها آدم من ربّه فتاب عليه. قال: سألت بحقّ محمّد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلّا ثبت عليّ. فتاب عليه»^(٣).

أقول:

(١) فرائد السمطين ١ / ٣٦.

(٢) توجد ترجمته في: الأنساب - النطنزي، ونصّ السمعاني على قراءته عليه واستفادته منه قال: «قدم علينا بمرور سنة إحدى وعشرين، وقرأت عليه طرفاً صالحاً من الأدب واستفدت منه واغترفت من بحره، ثم لقيته بهمدان، ثم قدم علينا بغداد غير مرة في مدّة مقامي بها، وما لقيته إلّا وكتب عنه واقتبست منه... سمعت منه أخيراً بمرور الحديث».

(٣) الدر المنثور في التفسير المأثور ١ / ١٤٧.

فهذا هو الحديث، وقد رواه من أئمة أهل السُّنة: الرافعي، وابن النجّار، والديلمي، والنطنزي،
والحموي، وابن المغازلي، والسيوطي، وغيرهم.

وهو أيضاً في كتب أصحابنا بطرقهم، عن أئمة العترة الطاهرة.

فهو حديث متفق عليه بين الطائفتين.

مضافاً، إلى أنه في كتب القوم بأسانيد متعدّدة، فيتقوى بعضها على فرض ضعفه بالبعض الآخر.

وأما الكلام في خصوص سند الرواية عند ابن المغازلي:

فإنّ «محمد بن علي بن خلف العطار» قد ترجم له الحافظ الخطيب البغدادي وقال: «سمعت

محمد بن منصور يقول: كان محمد بن علي بن خلف ثقة مأموناً حسن العقل».^(١)

فقد ذكر توثيقه ولم يذكر جرحاً فيه أبداً.

وبما ذكرنا يندفع ما عن ابن عدي أنه قال فيه: «عنده عجائب»، إن كان مثل هذا القول جرحاً.

على أنّ ابن عدي إنّما قال هذا عقيب حديث رواه وفيه: «أنّ عمار بن ياسر - رضي الله تعالى عنه

- قال لأبي موسى الأشعري: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم يلعنك. فقال أبو

موسى: إنه قد استغفر لي. قال عمار: قد شهدت اللّعن ولم أشهد الإستغفار!!^(٢). فكان من الطبيعي

الطعن في مثل هذا.

ولكنّه - مع ذلك - لم يطعن في «محمد بن علي العطار» إلا أن قال «عنده عجائب».

(١) تاريخ بغداد ٣ / ٥٧.

(٢) الكامل في الضعفاء ٣ / ٢٣٦.

ويؤكّد ذلك أن ابن عدي لم يورد الرجل في كتابه (الكامل) وإنما قال هذا بترجمة «الأشقر»، وقد
تبه الحافظ ابن حجر على ذلك^(١) أيضاً، مع أن ابن عدي يُدخل فيه من تُكلم فيه بأدنى شيء كما قال
الحافظ الذهبي.^(٢)

وأما «حسين بن حسن الأشقر» فهو من رجال سنن النسائي، وقد ذكروا بترجمة النسائي أن له في
الصحيح شرطاً أشد من شرط البخاري ومسلم.^(٣)

وكلّ من تكلم فيه، فإنما تكلم لأجل تشييعه، وقد تقرّر عندهم: أن الجرح المفسّر ليس بمانع من
قبول الرواية،^(٤) هذا بصورة عامّة. وفي خصوص التشييع، فقد تقرّر عندهم أنه لا يضر بالوثاقة.^(٥)

و من هنا، فقد ذكر الحافظ ابن حجر عن ابن الجنيد: سمعت ابن معين ذكر الأشقر فقال: كان
من الشيعة الغالية. قلت: فكيف حديثه؟ قال: لا بأس به. قلت: صدوق؟ قال: نعم، كتبت عنه.^(٦)

ومن هنا نصّ الحافظ على أنه صدوق، مع ذكره أنه يغلو في التشييع.^(١)

هذا، وقد ترجمنا للأشقر في كتبنا، فليراجع.

وأما «عمرو بن ثابت أبي المقدم» فهو من رجال أبي داود وابن ماجّة في التفسير، والكلام فيه
كالكلام في سابقه، فعن ابن المبارك: «لاتحدّثوا عن عمرو بن ثابت، فإنه كان يسبّ السلف» وعن
أبي داود قال: «رافضي خبيث» وقال في موضع آخر: «رجل سوء قال: لمّا مات النبيّ كفر الناس إلّا
خمسة. وجعل أبو داود يذمّه ويقول: قد روى عنه سفيان وهو المشوم، ليس يشبه حديثه أحاديث

(١) لسان الميزان ٥ / ٢٨٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٦ / ١٥٥.

(٣) تذكرة الحفّاظ - ترجمة النسائي المجلد ١ / ٧٠٠.

(٤) انظر مثلاً: مقدمة فتح الباري: ٤٣٠.

(٥) مقدمة فتح الباري / ٣٨٢، ٣٩٨، ٤١٠.

(٦) تهذيب التهذيب ٢ / ٢٩٢.

الشيعة وجعل يقول ويعني: أن أحاديثه مستقيمة» وعنه أيضاً: «رافضي خبيث وكان رجل سوء ولكنه كان صدوقاً في الحديث» وعن البزار: «كان يتشيع ولم يُترك».

فالرجل كان يشتم عثمان، وكان يقدم علياً على الشيخين.^(٢)

إلا أن ذلك لا يضرُّ بوثاقته، ولذا نرى أن أبا داود يراه صدوقاً في الحديث ويروي عنه ومع ذلك

يقول: «كان رجل سوء» وكذا البزار يقول: «يتشيع» ثم يقول: «لم يترك»!!

وأبوحاتم وإن قال: «كان ردئ الرأي شديد التشيع» فقد نصَّ على أنه «يكتب حديثه».

ثم إن ابن تيمية زعم أن أبا الفرج ابن الجوزي ذكر هذا الحديث في كتاب الموضوعات، ونقل

عنه كلاماً في سنده فنقول:

أولاً: ليس هذا الحديث في كتاب الموضوعات، فكان ابن تيمية كاذباً وواضعاً على أبي الفرج ابن

الجوزي.

وثانياً: قد ثبت اشتهار هذا الحديث ورواية أعلام الحفاظ له بالأسانيد، فهو حديث معتبر

والاستدلال به صحيح، فلو كان ابن الجوزي قد ذكره في كتابه المذكور لكان صنيعه باطلاً مردوداً.

وثالثاً: قد ثبت عند المحققين تسرّع ابن الجوزي في كتاب الموضوعات في إبطال الأحاديث

ومجازفته بالحكم عليها بالوضع.

وأما الوجوه الأخرى التي أوردها ابن تيمية للردِّ على الحديث بزعمه، فلا تستحقُّ الردَّ، لاسيما

الوجهين الأخيرين، فإن أمير المؤمنين والصديقة الطاهرة بضعة الرسول والحسنين سيدي شباب أهل

(١) تقريب التهذيب ١ / ١٧٥.

(٢) تهذيب التهذيب ٨ / ٩.

الجنة أفضل من آدم قطعاً. كما أن مشاركتها وإبنيها لأمير المؤمنين لا يضرب بالاستدلال، فإن المقصود

أفضليته عليه السلام من سائر الصحابة.

البرهان الحادي عشر

قوله تعالى: (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي).

روى الفقيه ابن المغازلي الشافعي عن ابن مسعود قال قال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم:

انتهت الدعوة إلى وإلى علي، لم يسجد أحدنا لصنم قط. فاتخذني نبياً واتخذ علياً وصياً.

وهذا نص في الباب.

قال ابن تيمية:

الجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بصحة هذا كما تقدم.

الثاني: إن هذا الحديث كذب موضوع بإجماع أهل العلم بالحديث.

الثالث: إن قوله: انتهت الدعوة إلينا. كلام لا يجوز أن ينسب إلى النبي، فإنه إن أريد: أنها لم

تصب من قبلنا، كان ممتنعاً، لأن الأنبياء من ذرية إبراهيم دخلوا في الدعوة...

وإن أريد: أنه لا إمام بعدنا، لزم أن لا يكون الحسن والحسين ولاغيرهما أئمة. وهو باطل

بالإجماع.

ثم التعليل بكونه لم يسجد لصنم هو علة موجودة في سائر المسلمين بعدهم.

الوجه الرابع: إن كون الشخص لم يسجد لصنم فضيلة يشاركه فيها جميع من ولد على الإسلام،

مع أن السابقين الأولين أفضل منه، فكيف يجعل المفضول مستحقاً لهذه المرتبة دون الفاضل؟

ثم تكلم في الوجه الخامس في إسلام أميرالمومنين عليه السلام.

أقول:

هذا نص الحديث:

أخبرنا أبو أحمد الحسن بن أحمد بن موسى الغندجاني، أخبرنا أبو الفتح هلال ابن محمد الحفّار، حدّثنا إسماعيل بن علي بن رزين قال: حدّثني أبي وإسحاق بن إبراهيم الدبريّ قالا: حدّثنا عبدالرزاق. قال: حدّثني أبي عن مينا مولى عبدالرحمن بن عوف

عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا دعوة أبي إبراهيم، قلنا: يا رسول الله، وكيف صرت دعوة أبيك إبراهيم؟ قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى إبراهيم: (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) فاستخفّ إبراهيم الفرح قال: يا ربّ! ومن ذريّتي أئمة مثلي! فأوحى الله إليه أن يا إبراهيم، إنّي لا أعطيك عهداً لا أفي لك به، قال: يا ربّ ما العهد الذي لا تنقي لي به؟ قال: لا أعطيك لظالم من ذريّتك، قال إبراهيم عندها: (وَاجْتُنِبِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ) قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم: فانتهت الدّعوة إليّ وإلى عليّ، لم يسجد أحد منّا لصنم قط. فاتّخذني الله نبياً واتّخذ عليّاً وصياً. (١)

وفي هذا الحديث مطالب:

المطلب الأوّل: في معنى قوله عليه وآله الصّلاة والسّلام: انتهت الدّعوة...

إن المراد بانتهاء الدّعوة إلى النبيّ والإمام عليهما السلام: وصول الدّعوة إليهما، يقال: «انتهى إليّ الكتاب» أي: وصل إليّ. فقول ابن تيميّة: إن اريد: انتهت الدّعوة إلينا: إنه لا إمام بعدنا... جهل أو تجاهل.

(١) مناقب علي بن أبي طالب / ٢٧٦.

المطلب الثاني: في معنى أنّ النبي والإمام لم يسجدا لصنم قط في هذا الحديث:

إنّ من الضروريّات التي لايمتري فيها مسلم عدم سجودهما لصنم قطعاً، والمقصود أنّه يعتبر في الدعوة الخلوّ عن الموانع، والسجود للصنم مانعٌ لأنّه ظلم، وقد قال تعالى: (لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)، وليس المقصود أنّ عدم السجود للصنم علةٌ لانتهاء الدعوة إليهما، ولا أنّ هذه الفضيلة مختصةٌ بهما، أو أنّها سببٌ لكونهما عليهما السّلام أفضل من غيرهما.

فهذا هو المعنى المقصود، وبذلك يظهر بطلان ما قاله ابن تيميّة عن الجهل أو التجاهل للمراد. وأمّا كلامه في إسلام أميرالمومنين، فعناد واضح ونصب بيّن، وليس هذا موضع بسط البحث عن ذلك.

المطلب الثالث في أنّ الله اتّخذه نبياً واتّخذ عليّاً وصياً:

وهذا غيرمختصّ بهذا الحديث، فقد ورد في أحاديث اخرى.

ثم إن الوصاية هي الامامة والولاية العامّة... فالآية والحديث في ذيله من أدلّة إمامة الإمام بعد رسول الله عليهما السلام، إذ دلّ على استجابة دعوة إبراهيم في بعض ذريّته وصيرورتهم أئمةً للناس لكونهم أنبياء أو أوصياء، وعلى أنّ عليّاً هو الوصيّ لرسول الله صلّى الله عليه وآله بنصب من الله عزّ وجلّ.

البرهان الثاني عشر

قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا)

روى الحافظ أبو نعيم الأصبهاني بإسناده إلى ابن عباس، قال: نزلت في عليّ.

والوُدُّ محبة في القلوب المؤمنة.

وفي تفسير الثعلبي عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليّ: يا عليّ

قل: اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي في صدور المؤمنين مودة. فأنزل الله: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) ولم يثبت لغيره ذلك، فيكون هو الإمام».

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: أنه لا بدّ من إقامة الدليل على صحة المنقول، وإلا فالاستدلال بما لا تثبت مقدماته باطل

بالاتفاق، وهو من القول بلا علم، ومن قفو الإنسان ما ليس له به علم، ومن المحاجة بغير علم. والعزو

المذكور لا يفيد الثبوت باتفاق أهل السنة والشيعة.

الوجه الثاني: أن هذين الحديثين من الكذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث.

الثالث: أن قوله: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) عامّ في جميع المؤمنين، فلا يجوز

تخصيصها بعليّ، بل هي متناولة لعليّ وغيره. والدليل عليه أن الحسن والحسين وغيرهما من

المؤمنين الذين تعظمهم الشيعة داخلون في الآية، فعلم بذلك الإجماع على عدم اختصاصها بعليّ.

وأما قوله: «ولم يثبت مثل ذلك لغيره من الصحابة» فممنوع كما تقدّم، فإنهم خير القرون، فالذين آمنوا وعملوا الصالحات فيهم أفضل منهم في سائر القرون، وهم بالنسبة إليهم أكثر منهم في كل قرن بالنسبة إليه.

الرابع: أن الله قد أخبر أنه سيجعل للذين آمنوا وعملوا الصالحات وداً. وهذا وعد منه صادق. ومعلوم أن الله قد جعل للصحابة مودة في قلب كل مسلم، لاسيما الخلفاء رضي الله عنهم، لاسيما أبوبكر وعمر، فإن عامة الصحابة والتابعين كانوا يودونهما، وكانوا خير القرون.

ولم يكن كذلك عليّ، فإن كثيراً من الصحابة والتابعين كانوا يبغضونه ويسبونه ويقاتلونه. وأبوبكر وعمر رضي الله عنهما قد أبغضهما وسبهما الرافضة والنصيرية والغالية والإسماعيلية. لكن معلوم أن الذين أحبوا دينك أفضل وأكثر، وأن الذين أبغضوهما أبعد عن الإسلام وأقل. بخلاف عليّ، فإن الذين أبغضوه وقتلوه هم خير من الذين أبغضوا أبابكر وعمر، بل شيعة عثمان الذين يحبونه ويبغضون عليّاً، وإن كانوا مبتدعين ظالمين، فشيعة عليّ الذين يحبونه ويبغضون عثمان أنقص منهم علماً وديناً، وأكثر جهلاً وظلماً.

فعلم أن المودة التي جعلت للثلاثة أعظم.

وإذا قيل: علىّ قد ادّعت فيه الإلهية والنبوة.

قيل: قد كفرته الخوارج كلّها، وأبغضته المروانية. وهؤلاء خير من الرافضة الذين يسبون أبابكر

وعمر رضي الله عنهما، فضلاً عن الغالية.

أقول:

إنّ هذا الحديث رواه جمع من كبار الحفاظ وأعلام المفسرين، واليك أسماء بعضهم:

الحافظ المطيّن

والحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة

والحافظ السلفي

والحافظ أبو نعيم الإصفهاني

والحافظ الطبراني

والحافظ ابن مردويه

والحافظ الديلمي

والحافظ الثعلبي

والحافظ أبو محمد الجوهري

والحافظ الحاكم الحسكاني

والحافظ الطبري

والحافظ الزرندي

والحافظ السيوطي

والحافظ السمهودي

والحافظ الكنجي الشافعي

والفقيه ابن المغازلي الشافعي

وابن الصباغ المالكي

وسبط ابن الجوزي

والخطيب الخوارزمي

وابن حجر المكي

ورواه من المفسرين:

الواحي

وابن الجوزي

والزمخشري

والنيسابوري

والقرطبي

وأبوحيان الأندلسي

والشوكاني

والألوسي

فانظر إلى كثرة رواة هذا الحديث واشتهاره في الكتب، ومن جملة أسانيده:

ما أخرجه الطبراني قال:

حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال: ثنا عون بن سلام قال: ثنا بشر بن عمار الخثعمي،

عن أبي روق، عن الضحّاك بن مزاحم، عن ابن عباس قال: «نزلت في علي: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا)^(١). قال: محبة في قلوب المؤمنين»

لم يرو هذا الحديث عن أبي روق إلا بشر بن عمار، وتقرّد به عون بن سلام.^(٢)

(١) سورة مريم ١٩: ٩٦.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١٢ / ١٢٢.

حدّثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، ثعالب بن سلام، ثنا بشر بن عمار، عن أبي روق، عن الضحّاك، عن ابن عباس في قوله: (سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا)^(١) قال: «المحبة في صدور المؤمنين، نزلت في علي بن أبي طالب كرم الله وجهه».^(٢)

وروى الهيثمي:

عن ابن عباس قال: نزلت في علي بن أبي طالب: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا)^(٣) قال: محبة في قلوب المؤمنين.

رواه الطبراني في الأوسط، وفيه بشر بن عمار وقد وثق وضعفه جماعة، وبقية رجاله وثقوا. ولكن الضحّاك قيل: إنه لم يسمع من ابن عباس.^(٤)

قال ابن عدي:

ولبشر بن عمار أحاديث غير ما ذكرت، ولم أر في أحاديثه حديثاً منكراً، وهو عندي حديثه إلى الاستقامة أقرب.^(٥)

وقال الذهبي:

ضعفه النسائي، ومشاه غيره.

وقال البخاري: يعرف وينكر.

قال ابن عدي: حديث بشر عندي إلى الاستقامة أقرب.^(٦)

(١) سورة مريم ١٩: ٩٦.

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩ / ١٢٥.

(٣) سورة مريم ١٩: ٩٦.

(٤) الكامل في ضعفاء الرجال ٢ / ١٦١.

(٥) ميزان الاعتدال ١ / ٣٢١.

(٦) ميزان الاعتدال ١ / ٣٢١.

وقال السيوطي في «الدر المنثور»: أخرج الطبراني وابن مردويه، عن ابن عباس، قال: نزلت في علي بن أبي طالب: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا)، قال: محبة في قلوب المؤمنين.^(١)

وقال السيوطي أيضاً: أخرج ابن مردويه والديلمي، عن البراء، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ: قل: اللهم اجعل لي عندك عهداً، واجعل لي عندك وُدّاً، واجعل لي في صدور المؤمنين مودّةً.»

فأنزل الله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا)، قال: نزلت في عليّ.^(٢)

وروى الزمخشري هذا في «الكشاف».^(٣)

وقال ابن حجر في المقصد الثاني من المقاصد المتعلقة بالآية:

السلفي عن محمد بن الحنفية، أنه قال في تفسير هذه الآية: لا يبقى مؤمن إلا وفي قلبه وُدٌّ لعليّ وأهل بيته».^(٤)

وأما دلالة الآية على إمامة أمير المؤمنين دون غيره، فمحتاجة إلى بيان معناها أولاً.

قال في «الكشاف»: «المعنى: سيحدث لهم في القلوب مودّةً، ويزرعها لهم فيها من غير تودّد منهم، ولا تعرّض للأسباب التي توجب الودّ ويكتسب بها الناس مودّات القلوب، من قرابة، أو صداقة، أو

(١) الدر المنثور ٥ / ٥٤٤.

(٢) الدر المنثور ٥ / ٥٤٤.

(٣) تفسير الكشاف ٢ / ٥٢٧.

(٤) الصواعق المحرقة / ٢٦١.

اصطناع بمبرّة، أو غيرذلك... وإنّما هو اختراع منه ابتداءً، اختصاصاً منه لأوليائه بكرامة خاصّة، كما قذف في قلوب أعدائهم الرعب والهيبة إعظماً لهم وإجلالاً لمكانهم»^(١).

ومثله في «تفسير الرازي»^(٢)

ولا يخفى أنّ هذه العناية الإلهيّة، والبشارة الربّانيّة التي استحقت الذكر في الكتاب المجيد، ناشئة من أهليّة من به العناية، وامتيازه بالقرب إلى الله تعالى، وارتقائه على كلّ المؤمنين بالفضل والطاعة، وهي مختصّة بأمر المؤمنين؛ ولذا نزلت الآية به دون غيره من الصحابة.

فيكون أفضل الأمة وإمامها بشهادة تعظيم الله سبحانه له، حيث عبّر عنه: ب (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ)، كنايةً عن أنّه بمنزلتهم جميعاً في الإيمان والعمل الصالح، لكونه إمامهم، وسبب إيمانهم وعملهم الصالحات؛ ولذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حقّه يوم الخندق: «برز الإيمان كلّهُ إلى الشرك كلّهُ»^(٣)... وقال: «ضربة علىّ تعدل عبادة الثقلين»^(٤).

وعلى الجملة، فإنّ إيجاب المودّة على الإطلاق مستلزم لوجوب الطاعة مطلقاً، المستلزم للإمامة وللعصمة التي هي شرط الإمامة، فإذا فُقد هذا الشرط عن غيره بالإجماع والضرورة، تعيّنت إمامته عليه السلام.

ثمّ إنّّه بمقتضى رواية «الصواعق»، تكون العناية ثابتة أيضاً لأبناء أمير المؤمنين الطاهرين، فتثبت لهم الإمامة أيضاً.

فاقرأ واحكم على ابن تيميّة بما يقتضيه الدين والعقل.

(١) تفسير الكشاف ٢ / ٥٢٧.

(٢) تفسير الفخر الرازي ٢١ / ٢٥٦.

(٣) حياة الحيوان الكبرى ١ / ٢٧٥، السيرة المحمدية ١١ / ٣.

(٤) المستدرک على الصحيحين ٣ / ٣٤، السيرة الحلبية ٢ / ٦٤٢.

البرهان الثالث عشر

قوله تعالى: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)

من كتاب الفردوس عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا المنذر وعلي

الهادي. وبك - يا علي - يهتدي المهتدون.

ونحوه رواه أبو نعيم.

وهو صريح في ثبوت الولاية والإمامة.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: أن هذا لم يقم دليل على صحته، فلا يجوز الاحتجاج به. وكتاب «الفردوس» للدليمي

فيه موضوعات كثيرة، أجمع أهل العلم على أن مجرد كونه رواه لا يدل على صحة الحديث. وكذلك

رواية أبي نعيم لا تدل على الصحة.

الثاني: أن هذا كذب باتفاق أهل العلم بالحديث، فيجب تكذيبه وردّه.

الثالث: أن هذا الكلام لا يجوز نسبه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإن قوله: أنا المنذر وبك

يا علي يهتدي المهتدون، ظاهره أنهم بك يهتدون دوني، وهذا لا يقوله مسلم؛ فإن ظاهره أن النذارة

والهداية مقسومة بينهما، فهذا نذير لا يهتدى به، وهذا هاد، وهذا لا يقوله مسلم.

الرابع: أن الله تعالى قد جعل محمداً هادياً فقال: (وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ *
صِرَاطِ اللَّهِ) فكيف يجعل الهادي من لم يوصف بذلك دون من وصف به؟!*

الخامس: أن قوله: «بك يهتدي المهتدون» ظاهره أن كل من اهتدى من أمة محمد فيه اهتدى، وهذا كذب بين؛ فإنه قد آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم خلق كثير، واهتدوا به، ودخلوا الجنة، ولم يسمعوا من عليّ كلمة واحدة، وأكثر الذين آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم واهتدوا به لم يهتدوا بعليّ في شيء. وكذلك لما فتحت الأمصار وآمن واهتدى الناس بمن سكنها من الصحابة وغيرهم، كان جماهير المؤمنين لم يسمعوا من عليّ شيئاً، فكيف يجوز أن يُقال: بك يهتدي المهتدون؟!!

السادس: أنه قد قيل معناه: إنما أنت نذير ولكل قوم هاد، وهو الله تعالى، وهو قول ضعيف. وكذلك قول من قال: أنت نذير وهاد لكل قوم، قول ضعيف. والصحيح أن معناها: إنما أنت نذير، كما أرسل من قبلك نذيرٌ، ولكل أمة نذير يهديهم أي يدعوهم، كما في قوله (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) وهذا قول جماعة من المفسرين، مثل قتادة وعكرمة وأبي الضحى وعبدالرحمن بن زيد. قال ابن جرير الطبري: «حدثنا بشر، حدثنا يزيد، حدثنا سعيد، عن قتادة، وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع، حدثنا سفيان عن السدي، عن عكرمة، ومنصور عن أبي الضحى: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) قالوا: محمد هو المنذر وهو الهادي».

«حدثنا يونس، حدثنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: لكل قوم نبي. «الهادي»: النبي و«المنذر» النبي أيضاً. وقرأ: (وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ) وقرأ: (نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى) قال: نبي من الأنبياء. «حدثنا بشر، حدثنا أبو عاصم، حدثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد قال: «المنذر»: محمد، «ولكل قوم هاد» قال: نبي».

وقوله: (يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) إذ الإمام هو الذي يؤتم به، أي يُقتدي به. وقد قيل: إن المراد به هو الله الذي يهديهم، والأول أصح.

وأما تفسيره بعليّ فإنه باطل، لأنّه قال: (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)، وهذا يقتضي أن يكون هادي هؤلاء

غير هادي هؤلاء، فيتعدد الهداة، فكيف يُجعل عليّ هادياً لكلّ قوم من الأولين والآخرين؟!

السابع: أن الاهتداء بالشخص قد يكون بغير تأميره عليهم، كما يهتدى بالعالم. وكما جاء في

الحديث الذي فيه: «أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم» فليس هذا صريحاً في أن الإمامة كما زعمه هذا المفتري.

الثامن: أن قوله: (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) نكرة في سياق الإثبات، وهذا لا يدلّ على معيّن، فدعوى

دلالة القرآن على عليّ باطل، والاحتجاج بالحديث ليس احتجاجاً بالقرآن، مع أنه باطل.

التاسع: أن قوله: كلّ قوم، صيغة عموم. ولو أريد أن هادياً واحداً للجميع ل قيل: لجميع الناس

هاد. لا يُقال: (لكلّ قوم)، فإن هؤلاء القوم غير هؤلاء القوم، وهو لم يقل: لجميع القوم، ولا يُقال ذلك،

بل أضاف «كلاً» إلى نكرة، لم يضيفه إلى معرفة. كما في قولك: «كلّ الناس يعلم أن هنا قوماً وقوماً

متعددين، وأن كلّ قوم لهم هاد ليس هو هادي الآخرين». وهذا يبطل قول من يقول: إن الهادي هو

الله تعالى، ودلالته على بطلان قول من يقول «هو عليّ» أظهر.

أقول:

صحيحٌ أنّ العلامة نقل الحديث عن فردوس الأخبار للدليمي، وفي الكتاب ومؤلفه ما فيهما،

وكأنّ السبب قلّة الكتب عنده، وكان عليّ ابن تيميّة - لو كان عنده شيء من الديانة والإنصاف - أن

يعترف بوجود الحديث في الكتب الاخرى، ولكنّ البغض والعناد شأن هذا الرجل ودينه، وبمنعانه من

قول الحق.

إنّ رواة هذا الحديث من أشهر أئمة الحديث وأصحاب التفاسير ومنهم:

عبدالله بن أحمد بن حنبل

أبو جعفر الطبري
ابن أبي حاتم الرازي
أبو القاسم الطبراني
الحاكم النيسابوري
ابن مردويه الإصبهاني
أبو إسحاق الثعلبي
أبو نعيم الإصبهاني
الخطيب البغدادي
ابن عساكر الدمشقي
الفخر الرازي
الضياء المقدسي
ابن كثير الدمشقي
نور الدين الهيثمي
جلال الدين السيوطي
المتقي الهندي
عبد الرؤف المناوي
الشوكاني

قال الهيثمي في مجمع الزوائد بعد أن رواه:

رواه عبدالله بن أحمد والطبراني في الصغير والأوسط. ورجال المسند ثقة.^(١)

وقد صحّ الحاكم هذا الحديث بعد أن أخرجه.^(٢)

وكتاب الضياء المقدسي - وهو المختارة - صحيح حتى عند ابن تيمية كما نصّ عليه الحافظ ابن

حجر في حديث المؤاخاة عند الردّ على كلام ابن تيمية فيه.^(٣)

وبعض أسانيد ابن عساكر صحيح قطعاً، فقد أخرجه عن ابن الحصين عن ابن المذهب عن

القطيعي عن عبدالله بن أحمد بالإسناد المذكور في مسند أحمد^(٤)

وبما ذكرنا ظهر سقوط كلام من ردّ الحديث من ناحية السند.

فكيف بما زعمه ابن تيمية من أنه كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث، فيجب تكذيبه وردّه.

هذا ما يتعلّق بالسند بنحو الإجمال.

وأما الدلالة، فهذا شرح معنى الآية والحديث:

يقول تعالى: **(إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ).**

أما كلمة «إنّما» فتدلُّ على الحصر، ولا كلام في هذا، و«الإنذار» إخبارٌ فيه تخويف كما أنّ

التبشير إخبار فيه سرور.^(٥)

وقال القاضي البيضاوي بتفسيرها: **(إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ)** مرسلٌ للإنذار كغيرك من الرسل، وما

عليك إلاّ الإتيان بما تتّضح به نبوّتك.^(٦)

(١) مجمع الزوائد ٧ / ٤١.

(٢) المستدرک ٣ / ١٢٩.

(٣) فتح الباري ٧ / ٢٧٠.

(٤) مسند أحمد ١ / ١٢٦.

(٥) المفردات في غريب القرآن: ٥٠٨ «نذر».

(٦) تفسير البيضاوي ١ / ٥١٢.

والآيات الواردة في هذا المعنى كثيرة، ففي بعضها الحصر بالألفاظ المختلفة الدالة عليه، كقوله

تعالى: (إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ).^(١)

و(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ).^(٢)

و(قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنِ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ).^(٣)

و(إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَن يَخْشَاهَا).^(٤)

و(إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ).^(٥)

و(إِن أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ).^(٦)

و(إِن هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ).^(٧)

وفي بعضها كون «الإنذار» العلة الغائية من إرساله بالكتاب ونزول الوحي عليه، كقوله تعالى:

(وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ).^(٨)

و(كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ... لِتُنذِرَ بِهِ).^(٩)

و(مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا).^(١٠)

و(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا).^(١)

(١) سورة هود ١١ : ١٢ .

(٢) سورة الحج ٢٢ : ٤٩ .

(٣) سورة ص ٣٨ : ٦٥ .

(٤) سورة النازعات ٧٩ : ٤٥ .

(٥) سورة الأعراف ٧ : ١٨٨ .

(٦) سورة فاطر ٣٥ : ٢٣ .

(٧) سورة سبأ ٣٤ : ٤٦ .

(٨) سورة الأنعام ٦ : ١٩ .

(٩) سورة الأعراف ٧ : ٢ .

(١٠) سورة الفرقان ٢٥ : ٥٦ .

وحتى في أول البعثة خاطبه تعالى بقوله: (يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ)^(٢) ... (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ

الْأَقْرَبِينَ).^(٣)

لقد دلّت الآيات الكثيرة على أنّ وظيفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ليس إلاّ «الإنذار» و«التبشير»، وكلاهما «إخبار» غير أنّ الأوّل «فيه تخويف» والثاني «فيه سرور»، وكانت وظيفته «الإخبار» فقط، أي: «الإبلاغ»، وهذا اللفظ جاءت به الآيات الكثيرة أيضاً، مع الدلالة على الحصر

كذلك، كقوله تعالى: (ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ).^(٤)

و(فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ).^(٥)

و(فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ).^(٦)

وهكذا غيرها من الآيات.

وأما قوله تعالى: (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)، فمن جعل «الهادي» هو «رسول الله»

صلى الله عليه وآله وسلم، فقد جعل «الواو» عاطفةً، فيكون (هادٍ) عطفاً على (منذر) و (لكلّ قوم) متعلّق بـ (هادٍ).

أو يكون (هادٍ) خبراً لمبتدأ مقدر، أي: وأنت هاد.

لكن يردّ الأوّل: بأنّه يستلزم الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالجّار والمجرور، وهو غير جائز

عند المحقّقين من النحويّين.

(١) سورة الأحزاب ٣٣: ٤٥.

(٢) سورة المدثر ٧٤: ١ و ٢.

(٣) سورة الشعراء ٢٦: ٢١٦.

(٤) سورة المائدة ٥: ٩٩.

(٥) سورة النحل ١٦: ٣٥.

(٦) سورة المائدة ٥: ٩٢.

ويردّ الثاني: بأنّه مستلزم للتقدير، ومن الواضح أنّه خلاف الأصل.

على أنّ القول بأنّ «الهادي» في الآية هو «رسول الله» نفسه، إغفالٌ للحديث الصحيح الوارد بتفسيرها، الصريح في أنّه عليٌّ عليه السلام، وبه يجاب عن قول من فسّر الآية برأيه، فجعل «الهادي» هو «الله» أو «العمل» أو غير ذلك، وهي تفاسير باطلة لم يوافق عليها حتّى ابن تيميّة والألوسي. وعلى ما ذكرنا تكون «الواو» استثنائيةً.

فيكون معنى الآية: كون النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم منذراً، ولكلّ قوم هادٍ إلى ما جاء به النبيّ، وهو «عليٌّ» عليه السلام، الذي حفظ ونشر ما جاء به النبيّ، وعلمه الأُمَّة ودعا إلى الأخذ والعمل به، فكان مولانا أميرالمؤمنين عليه السلام الهادي بقوله وفعله إلى الله والإسلام بعد الرسول عليه وآله الصّلاة والسّلام.

و«الهداية» هي: «إراءة الطريق» و«الدلالة» عليه،^(١) وقال ابن فارس: «هدي - الهاء والذال والحرف المعتلّ - : أصلان: أحدهما: التقدّم للإرشاد، والآخر: بعثة لطف، فالأوّل قولهم: هديتهُ الطريق هدايةً، أي: تقدّمته لأرشدّه، وكلّ متقدّم لذلك هادٍ، قال:

إذا كان هادي الفتى في البلاد صدرّ القناة أطاع الأميرا

وينشعب هذا فيقال: الهدى خلاف الضلالة...

والأصل الآخر: الهدية...»^(٢).

أقول:

هذا معنى الآية المباركة، وإذا رجعنا إلى الأحادث الواردة في تفسيرها وجدنا فيها:

(١) المفردات في غريب القرآن: ٥٣٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة ١٠٦٦.

١. المقابلة بين النبي وبين أمير المؤمنين، بأنه منذرٌ وعليّ الهادي.

٢. والحصر المستفاد من كلمة «أنت الهادي» و «الهادي عليّ».

٣. والحصر المستفاد من تقديم الظرف في «بك يهتدي المهتدون».

٤. والحصر المستفاد من الإيماء إلى صدره أو الضرب على منكبه.

٥. وكلمة «بعدي» الظاهرة في المباشرة.

فالأية - بمعونة الأحاديث المشتملة على ما ذكرنا - دالة على أن الله سبحانه جعل وظيفة النبي

صلى الله عليه وآله وسلم «الإنذار»، وكان وظيفة عليّ عليه السلام من بعده: إرشاد الأمة ودلائلها

على الطريق الصحيح المؤدي إلى ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيكون عليه السلام

الإمام المرشد للأمة، القائم مقام النبي، والمقتدى من بعده.

وهذه هي حقيقة الإمامة والخلافة.

هذا، وقد فهم غير واحد من علماء القوم كابن تيمية وابن روزبهان والألوسي، دلالة الحديث على

وجوب الاقتداء بأمر المؤمنين عليه السلام بعد الرسول، وذلك قول الله عزّ وجلّ: (أَفَمَنْ يَهْدِي

إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ).^(١)

نعم، فهموا ذلك، وإلاّ لما عارضوه بحديث: «أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم»

وحديث: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»

لكنهما باطلان، فلو كانا صحيحين سنداً ودلالةً لكان لذلك وجه.

كما تمسك بعض المتقولين بما في منهاج السنة عن عليّ عليه السلام أنه قال: «لا أُتِينُ بأحد

يفضّلني على أبي بكر إلاّ جلدته حدّ المفترى»!!

(١) سورة يونس ١٠: ٣٥.

وبعد:

فالجواب عن الوجهين الأول والثاني في كلام ابن تيمية: إنَّ هذا الحديث صحيح كما عرفت، وأنَّ رواته من كبار أئمة الحديث كثيرون، وفيهم من ينصُّ على صحَّته، فما ذكره هو الكذب.

وعن الثالث والرابع: إنَّه سوء فهم، فإنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم هو الهادي لعليِّ عليه السلام وللأمة كلِّها، لكنَّ عليّاً عليه السلام هو الهادي للأمة من بعده، وهذا صريح قول النبيِّ: «بك يهتدي المهتدون من بعدي».

وعن الثامن: إنَّ الآية الكريمة تدلُّ على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بالنظر إلى الحديث الوارد في تفسيرها، فإذا فسّر الحديث الصحيح الآية، كانت الآية من جملة الأدلّة من الكتاب على الإمامة.

وعن السابع: بما سيجيء من أنَّ حديث النجوم باطل حتّى عند ابن تيمية، فقد ناقض نفسه باستدلّاله به هنا!

وأما نفي الملازمة بين «الهداية» و «الإمامة» في هذا الوجه - السابع - وفي كلام الدهلوي وغيره، فلا يجدي، لما سنذكره في معنى الحديث والمراد من كون أمير المؤمنين عليه السلام هادياً... وذلك هو الجواب عن سؤاله - في الوجه السادس - : «كيف يُجعل عليّ هادياً لكلِّ قوم من الأوّلين والآخرين؟!».

وعن تكذيبه - في الوجه الخامس - «أنَّ كلَّ من اهتدى من أمة محمّد فيه اهتدى».

وعمّا ذكره - في الوجه التاسع - من «أن قوله: «كلّ قوم» صيغة عموم.

ومن العجب معارضة ابن تيمية الحديث، بما روي عندهم عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله أنه

قال: أصحابي كالنجوم... !!

فهذا الرجل الذي طالما حاول إبطال الأحاديث المعتبرة، كيف يستدل بحديث باطل موضوع
باعتراف كبار أئمة قومه، وغير مخرّج في شيء من الكتب المعتبرة عندهم الموصوفة بالصحة وما تليها
من المسانيد والمعاجم... !!

وأما أن يقتدي به ابن روزبهان في هذه المعارضة، فلا عجب.

وإليك كلام الحافظ ابن حجر في هذا الحديث:

«حديث: أصحابي كالنجوم فبأيهم اقتديتم اهتديتم.

الدارقطني في المؤلف من رواية سلام بن سليم، عن الحارث بن غصين، عن الأعمش، عن أبي

سفيان، عن جابر، مرفوعاً.

وسلام ضعيف.

وأخرجه في غرائب مالك من طريق حميد بن زيد، عن مالك، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن

جابر - في أثناء حديث - وفيه: فبأي قول أصحابي أخذتم اهتديتم، إنّما مثل أصحابي مثل النجوم، من

أخذ بنجم منها اهتدى.

قال: لا يثبت عن مالك، رواه دون مالك مجهولون.

ورواه عبد بن حميد، والدارقطني في الفضائل من حديث حمزة الجزري، عن نافع، عن ابن عمر.

وحمزة اتهموه بالوضع.

ورواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث أبي هريرة.

وفيه جعفر بن عبدالواحد الهاشمي، وقد كذّبوه.

ورواه ابن طاهر من رواية بشر بن الحسن، عن الزبير، عن أنس. وبشر كان متّهماً أيضاً.

وأخرجه البيهقي في المدخل من رواية جويبر، عن الضحّاك، عن ابن عبّاس.

وجويبر متروك.

ومن رواية جويبر عن جؤاب بن عبيدالله، مرفوعاً.

وهو مرسل.

قال البيهقي: هذا المتن مشهور، وأسانيده كلها ضعيفة.

ورواه في المدخل أيضاً عن ابن عمر...

وفي إسناده: عبدالرحيم بن زيد العمي، وهو متروك^(١).

وقال المناوي في فيض القدير بشرحه:

«السجزي في الإبانة عن أصول الديانة، وابن عساكر في التاريخ عن عمر بن الخطاب.

قال ابن الجوزي في العلل: هذا لا يصح.

وفي الميزان: هذا الحديث باطل.

وقال ابن حجر في تخريج المختصر: حديث غريب، سئل عنه البزار فقال: لا يصح هذا الكلام

عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال الكمال ابن أبي شريف: كلام شيخنا - يعني ابن حجر - يقتضي أنه مضطرب.

وأقول: ظاهر صنيع المصنّف أنّ ابن عساكر خرّجه ساكتاً عليه، والأمر بخلافه؛ فإنّه تعقّب بقوله:

قال ابن سعد: زيد العمي أبو الحواري، كان ضعيفاً في الحديث، وقال ابن عدي: عامّة ما يرويه ومن

يرويه عنه ضعفاء.

ورواه عن عمر أيضاً البيهقي، قال الذهبي: وإسناده واه^(٢).

(١) الكاف الشاف في تخريج الكشاف - المطبوع مع الكشاف - ٢ / ٦٢٨.

(٢) فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٤ / ٧٦.

كلمات الأئمة في بطلانه:

ولمّا كانت طرق هذا الحديث كلّها ساقطة، فقد اتّفق الأئمة على بطلانه، ومنهم من نصّ على

كونه موضوعاً، فبالإضافة إلى الأئمة الأعلام المنقولة أراؤهم فيه:

فقد نصّ أحمد بن حنبل على أنّه حديث غير صحيح.^(١)

وقال ابن حزم الأندلسي: «هذا خبر مكذوب موضوع باطل لم يصحّ قط».^(٢)

وقال ابن عبد البرّ بعد أن رواه ببعض الطرق: «هذا إسناد لا يصحّ».^(٣)

وقال ابن قيمّ الجوزيّة - بعد أن رواه بطرق - : «لا يثبت شيء منها».^(٤)

وقال ابن الهمّام الحنفي: «حديث لم يعرف».^(٥)

ونصّ الشهاب الخفاجي والقاضي البهاري على ضعفه.^(٦)

وقال الشوكاني: «فيه مقال معروف».^(٧)

وأورده الألباني المعاصر في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة.^(٨)

ومن أراد المزيد فليرجع إلى موضعه من كتبنا.^(٩)

(١) التقرير والتحبير في شرح التحرير، وكذلك التيسير في شرح التحرير ٣ / ٢٤٣.

(٢) ذكره أبوحيان في البحر المحيط ٥ / ٥٢٨ عن رسالة ابن حزم في إبطال القياس.

(٣) جامع بيان العلم ٢ / ٩٦.

(٤) إعلام الموقعين ٢ / ٢٤٢.

(٥) التحرير في أصول الفقه - لابن الهمّام - بشرح أمير بادشاه - ٣ / ٢٤٣.

(٦) نسيم الرياض ٤ / ٤٢٣ - ٤٢٤، مسلمّ الثبوت - بشرح الأنصاري - ٢ / ٢٤١.

(٧) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول: ١٢٧.

(٨) منهاج السنّة ١ / ٣٠٨.

(٩) راجع الرسائل العشر في الأحاديث الموضوعة في كتب السنّة، الرسالة الأولى.

وكما وضعوا على رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم حديث: «اقتدوا باللذين من بعدي...»
وحديث: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي» وحديث: «أصحابي كالنجوم...» وأمثالها،
فقد وضعوا على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أشياء في حقِّ الأصحاب وفي خصوص الشيخين،
منها الكلام الذي استند إليه ابن تيمية في غير موضع من (منهاج السنة) من غير سند ولا نقل عن
كتاب معتبر عندهم، وإنما قال:

«فروي عنه أنه قال: لا أُوتى بأحد يفضّلني على أبي بكر وعمر إلاّ ضربته حدّ المفتري»^(١).

«وعنه: أنه كان يقول: لا أُوتى بأحد يفضّلني على أبي بكر وعمر إلاّ جلدته حدّ المفتري»^(٢).

«وعنه: أنه كان يقول: لا أُوتى بأحد يفضّلني عليّ أبي بكر وعمر إلاّ جلدته حدّ المفتري»^(٣).

وقد أضاف هذه المرّة: «كان يقول» الظاهر في تكرّر هذا القول من الإمام عليه السلام واستمراره
عليه.

التحقيق في سنده ومدلوله:

ولكنّا لم نسمع أنّه جلد أحداً لتفضيله عليهما، بالرغم من وجود كثير من الصحابة والتابعين كانوا
يجاهرون بذلك، حتّى اعترف به غير واحد من أئمة القوم، ففي الإستيعاب:

«وروي عن سلمان، وأبي ذرّ، والمقداد، وخبّاب، وجابر، وأبي سعيد الخدري، وزيد بن أرقم: أنّ

عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - أوّل من أسلم، وفضّله هؤلاء على غيره»^(٤).

(١) منهاج السنة ١ / ٣٠٨.

(٢) منهاج السنة ٦ / ١٣٨.

(٣) منهاج السنة ٦ / ١٣٨.

(٤) الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٣ / ١٠٩٠.

وفي الفصل:

«اختلف المسلمون في من هو أفضل الناس بعد الأنبياء، فذهب بعض أهل السنّة وبعض المعتزلة وبعض المرجئة وجميع الشيعة: إلى أنّ أفضل الأُمّة بعد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم عليّ بن أبي طالب والزبير بن العوّام»^(١).

وقال الذهبي:

«ليس تفضيل عليّ برفض ولاهو ببدعة، بل ذهب إليه خلق من الصحابة والتابعين»^(٢).

هذا، وقد جاء في هامش منهاج السنّة ما نصّه: «وجاء الأثر - مع اختلاف في اللفظ - في فضائل

الصحابة ١/ ٨٣ رقم ٤٩، وضعّف المحقّق إسناده»^(٣).

أقول:

وهذا نصّ ما جاء في الكتاب المذكور:

«حدّثنا عبد الله، قال: حدّثني هديّة بن عبد الوهّاب، قال: ثنا أحمد بن إدريس، قال: ثنا محمّد بن

طلحة، عن أبي عبيدة بن الحكم، عن الحكم بن جحل، قال: سمعت عليّاً يقول: لا يفضّلني أحد على

أبي بكر وعمر إلاّ جلدته حدّ المفترى»^(٤).

وهو من زيادات عبد الله بن أحمد.

قال محقّقه في الهامش «إسناده ضعيف لأجل أبي عبيدة بن الحكم».

قال: «ومحمّد بن طلحة لم يتبيّن لي من هو؟...».

(١) الفصل في الملل والنحل ٣ / ٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٦ / ٤٥٧.

(٣) منهاج السنّة ٦ / ١٣٨.

(٤) فضائل الصحابة ١ / ٩٩.

قلت:

وما ذكرناه حول سنده ومعناه كاف في سقوطه، وأنه موضوع قطعاً.

وبهذا يتم الكلام على آية الإنذار.

البرهان الرابع عشر

قوله تعالى: (وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ).

من طريق الحافظ أبي نعيم عن الشعبي عن ابن عباس قال في قوله تعالى: وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ

مَسْئُولُونَ، قال: عن ولاية علي بن أبي طالب.

وكذا في كتاب الفردوس عن أبي سعيد الخدري عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وإذا سئلوا عن الولاية وجب أن تكون ثابتة له، ولم يثبت لغيره من الصحابة ذلك فيكون أفضل،

فيكون هو الإمام.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بصحة النقل، والعزو إلى «الفردوس» وإلى أبي نعيم لا تقوم به حجة باتفاق أهل

العلم.

الثاني: أن هذا كذب موضوع بالاتفاق.

الثالث: أن الله تعالى قال: (بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ * وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ * وَإِذَا رَأَوْا

آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ * وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ * ... (إلى قوله) بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ

الْمُرْسَلِينَ).

فهذا خطاب عن المشركين المكذّبين بيوم الدين، وهؤلاء يسألون عن توحيد الله والإيمان برسله واليوم الآخر. وأي مدخل لحبّ عليّ في سؤال هؤلاء؟ تراهم لو أحبّوه مع هذا الكفر والشرك أكان ذلك ينفعهم؟ أو تراهم لو أبغضوه أين كان بغضهم له في بغضهم لأنبياء الله ولكتابه ودينه؟

وما يفسر القرآن بهذا ويقول: النبي صلّى الله عليه وسلّم فسّره بمثل هذا، إلا زنديق يراجع ملحد، متلاعب بالدين، قادح في دين الإسلام، أو مفرط في الجهل، لا يدري ما يقول. وأي فرق بين حبّ عليّ وطلحة والزبير وسعد وأبي بكر وعمر وعثمان؟!

ولو قال قائل: إنهم مسؤلون عن حبّ أبي بكر، لم يكن قوله أبعد من قول من قال: عن حبّ عليّ، ولا في الآية ما يدلّ على أن ذلك القول أرجح، بل دلالتها على ثبوتها وانتفاءها سواء، والأدلة الدالة على وجوب حبّ أبي بكر أقوى.

الرابع: أن قوله: «مسؤلون» لفظ مطلق لم يُوصل به ضمير يخصّه بشيء، وليس في السياق ما يقتضي ذكر حبّ عليّ، فدعوى المدّعي دلالة اللفظ على سؤالهم عن حبّ عليّ من أعظم الكذب والبهتان.

الخامس: إنه لو ادّعى مدّع أنهم مسؤلون عن حبّ أبي بكر، لم يمكن إبطال ذلك بوجه إلاّ وإبطال السؤال عن حبّ عليّ أقوى وأظهر.

أقول:

ليس الراوي لهذا الحديث الديلمي وأبونعيم فقط، بل رواه الحاكم الحسكاني وابن شاهين البغدادي وابن مردويه الإصفهاني، وجمال الدين الزرندي، ونورالدين السمهودي، وشهاب الدين الخفاجي، وشهاب الدين الألوسي، وغيرهم.

ورواه من المفسّرين: الحبري، والواحدي، والماوردي، والألوسي، والخفاجي بتفسير آية المودّة.

ومن الرواة له من أرسله إرسال المسلم وأيده بشواهد من الأحاديث المعتبرة:

قال الحافظ الخفاجي: «قال الحافظ جمال الدين الزرندي عقب حديث: من كنت مولاه فعليّ

مولاه: قال الإمام الواحدي رحمه الله تعالى: هذه الولاية التي أثبتها النبي صلى الله عليه وسلم لعليّ مسؤول عنها يوم القيامة.

وروي في قوله تعالى: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ) أي: عن ولاية عليّ وأهل البيت: لأنّ الله تعالى أمر نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يعرّف الخلق أنّه لا يسألهم على تبليغ الرسالة أجراً إلا المودّة في القربى. والمعنى: إنهم يُسألون هل والوهم حقّ الموالاة كما أوصاهم النبيّ، أم أضاعوها وأهملوها، فيكون عليهم المطالبة والتبعة؟! انتهى.

وأخرج أبو الحسن ابن المغازلي، عن ثمامة بن عبدالله بن أنس، عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيامة ونصب على شفير جهنّم، لم يجز عليه إلا من كان معه كتاب ولاية عليّ بن أبي طالب.

وفي حديث: والذي نفسي بيده، لا يزول قدم عن قدم يوم القيامة حتّى يسأل الله تعالى الرجل عن أربع: عن عمره فيمّ أفناه، وعن جسده فيمّ أبلاه، وعن ماله ممّن كسبه وفيمّ أنفقه، وعن حبنا أهل البيت. فقال له عمر: يا نبيّ الله! وما آية حبّكم؟ فوضع يده على رأس عليّ وهو جالس إلى جانبه وقال: آية حبّي حبّ هذا من بعدي»^(١).

فهذا هو التفسير المرويّ في كتب القوم بأسانيدهم عن أبي سعيد الخدري وابن عبّاس وغيرهما، فإن كان هؤلاء كلّهم زنادقة ملحدّين متلاعبين بالدين قادحين في الإسلام أو مفرطين في الجهل... كما يقول ابن تيميّة!! فما ذنبنا؟!

(١) تفسير آية المودّة - للحافظ شهاب الدين الخفاجي - : ٨٢، وانظر: نظم درر السمطين - للحافظ الزرندي - : ١٠٩.

ثم أقول:

إنَّ الحديث: «إذا كان يوم القيامة ونصب على شفير جهنم...» قد رواه من كبار الحفاظ: أبوالخير الحاکمي الطالقاني في أربعينه، والحموي الجويني بالإسناد عن الحاكم النيسابوري، وأبونعيم في تاريخ اصبهان، وابن عساكر عن الخطيب عن أبي نعيم بإسناده، والمحَبَّ الطبري في ذخائره تحت عنوان «ذكر اختصاصه بأنه لايجوز أحدُ الصراطِ إلا من كتب له على الجواز» عن الحافظ ابن السَّمان في الموافقة، وغيرهم.^(١)

وإنَّ الحديث: «لايزول قدم عن قدم...» رواه من الحفاظ:

الطبراني، وابن عساكر، والهيثمي... وجماعة غيرهم.^(٢)

ثم إنَّ هذه القضية تتعلَّق بالمؤمنين، وإن كانت الآية في سياق الآيات المرتبطة بالمشركين. هذا، ولو كان عندهم حديثٌ بذيل هذه الآية أو غيرها بسند معتبر في السؤال عن حبِّ الشيخين في يوم القيامة لأتوا به، ولكنَّ أتى لهم ذلك! وبما ذكرنا يظهر وجه الاستدلال بالآية المباركة.

(١) كتاب الأربعين، الحديث رقم ٤، فرائد السمطين ١ / ٢٨٩، أخبار اصبهان ١ / ٤٠٠، تاريخ دمشق ٤٢ / ٢٤٤،

ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ٣٢.

(٢) تاريخ دمشق ٤٢ / ٢٥٩، المعجم الكبير ١١ / ٨٣، المعجم الاوسط ٩ / ٢٦٤، مجمع الزوائد ١٠ / ٣٤٦.

البرهان الخامس عشر

قوله تعالى: (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ...).

روى أبو نعيم الحافظ بإسناده عن أبي سعيد الخدري في قوله تعالى (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ...) قال:

بعضهم علياً.

ولم يثبت لغيره من الصحابة ذلك، فيكون أفضل منهم، فيكون هو الإمام.

قال ابن تيمية:

والجواب: المطالبة بصحة النقل أولاً.

والثاني: إن هذا من الكذب على أبي سعيد عند أهل المعرفة بالحديث.

والثالث: أن يقال: لو ثبت أنه قاله، فمجرد قول أبي سعيد قول واحد من الصحابة، وقول صاحب

إذا خالفه صاحب آخر ليس بحجة باتفاق أهل العلم. وقد علم قبح كثير من الصحابة في علي، وإنما

احتج عليهم بالكتاب والسنة، لا بقول آخر من الصحابة.

الرابع: أنا نعلم بالاضطرار أن عامة المنافقين لم يكن ما يعرفون به من لحن القول هو بغض علي،

فتفسير القرآن بهذا فرية ظاهرة.

الخامس: أن علياً لم يكن أعظم معاداة للكفار والمنافقين من عمر، بل ولا نعرف أنهم كانوا

يتأذون منه كما يتأذون من عمر، بل ولا نعرف أنهم كانوا يتأذون منه إلا وكان بغضهم لعمر أشد.

السادس: أن في الصحيح عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «آيَةُ الْإِيمَانِ حُبُّ الْأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بَغْضُ الْأَنْصَارِ». وَقَالَ: «لَا يَبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ». فَكَانَ مَعْرِفَةُ الْمُنَافِقِينَ فِي لِحْنِهِمْ بِبَغْضِ الْأَنْصَارِ أَوْلَى.

فَإِنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ أَصَحُّ مِمَّا يَرَوِي عَنْ عَلِيٍّ، أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الْأَمِيِّ إِلَيَّ أَنَّهُ لَا يُحِبُّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغِضُنِي إِلَّا مُنَافِقٌ». فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَفْرَادِ مُسْلِمٍ، وَهُوَ مِنْ رِوَايَةِ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ، عَنْ زُرِّ بْنِ حُبَيْشٍ عَنْ عَلِيٍّ. وَالْبُخَارِيُّ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، بِخِلَافِ أَحَادِيثِ الْأَنْصَارِ، فَإِنَّهَا مِمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِ أَهْلُ الصَّحِيحِ كُلِّهِمْ: الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ. وَأَهْلُ الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ يَقِينًا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَه، وَحَدِيثَ عَلِيٍّ قَدْ شَكَّ فِيهِ بَعْضُهُمْ.

السابع: أن علامات النفاق كثيرة، كما ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أئتمن خان» فهذه علامات ظاهرة. فعلم أن علامات النفاق لا تختص بحب شخص أو طائفة ولا بغضهم، إن كان ذلك من العلامات. ولا ريب أن من أحب عليًا لله بما يستحقه من المحبة لله، فذلك من الدليل على إيمانه، وكذلك من أحب الأنصار، لأنهم نصروا الله ورسوله، فذلك من علامات إيمانه. ومن أبغض عليًا والأنصار لما فيهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله، فهو منافق.

وأما من أحب الأنصار أو عليًا أو غيرهم لأمر طبيعي، مثل قرابة بينهما، فهو كمحبة أبي طالب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك لا ينفعه عند الله. ومن غلا في الأنصار، أو في عليٍّ، أو في المسيح، أو في نبيٍّ، فأحبّه واعتقد فيه فوق مرتبته، فإنه لم يحبه في الحقيقة، إنما أحب ما لا وجود له، كحبّ النصارى للمسيح، فإن المسيح أفضل من عليٍّ.

وهذه المحبة لا تنفعهم، فإنه إنما ينفع الحب لله، لا الحب مع الله.

قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ).

ومن قَدَّر أنه سمع عن بعض الأنصار أمراً يوجب بغضه فأبغضه لذلك، كان ضالاً مخطئاً، ولم يكن منافقاً بذلك. وكذلك من اعتقد في بعض الصحابة اعتقاداً غير مطابق، وظن فيه أنه كان كافراً أو فاسقاً فأبغضه لذلك، كان جاهلاً ظالماً، ولم يكن منافقاً.

وهذا مما يُبين به كذب ما يُروى عن بعض الصحابة كجابر، أنه قال: «ما كنّا نعرف المنافقين على عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا بِبَغْضِهِمْ عَلَيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ» فإن هذا النفي من أظهر الأمور كذباً، لا يخفى بطلان هذا النفي على آحاد الناس، فضلاً عن أن يخفى مثل ذلك على جابر أو نحوه. فإن الله قد ذكر في سورة التوبة وغيرها من علامات المنافقين وصفاتهم أموراً متعددة، ليس في شيء منها بغض عليّ.

كقوله: (وَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا).

وقوله: (وَمِنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ)

وقوله: (وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ)

وقوله: (وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ

الصَّالِحِينَ) إلى قوله (وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ).

إلى أمثال ذلك من الصفات التي يصف بها المنافقين، وذكر علاماتهم، وذكر الأسباب الموجبة

للفنق...

وعامةً علامات النفاق وأسبابه ليست في أحد من أصناف الأمة أظهر منها في الرفض، حتى يوجد فيهم من النفاق الغليظ الظاهر ما لا يوجد في غيرهم...

والمقصود هنا أنه يمتنع أن يقال: لا علامة للنفاق إلا بغض علي، ولا يقول هذا أحد من الصحابة، لكن الذي قد يقال: إن بغضه من علامات النفاق كما في الحديث المرفوع: لا يبغضني إلا منافق. فهذا يمكن توجيهه... ونفاق من يبغض الأنصار أظهر... وأن النفاق في بغض عمر أظهر منه في بغض علي...

أقول:

إن من عادة ابن تيمية في هذا الكتاب:

١. تكثير الوجوه بلا جدوى.

٢. الإطناب في الكلام بلا طائل.

٣. الدفاع عن المنافقين.

٤. شتم الشيعة.

فأقول:

لقد روى تفسير أبي سعيد الخدري قوله تعالى (وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ

وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ) جماعة من الحفاظ. منهم:

الحاكم الحسكاني.

وأبونعيم الإصفهاني

وابن عساكر الدمشقي

وابن مردويه الإصفهاني

وابن المغازلي الشافعي

رواه هؤلاء بأسانيد لهم عن طريق بعض كبار الحفاظ.

فما الذي يغيظ ابن تيميّة؟

وكيف يكون بغض عمر من علائم النفاق - فضلاً عن أن يكون أظهر - ولا دليل عليه في شيء

من الأحاديث في الكتب المعتمدة عندهم؟

وكيف يكون بغض الأنصار من علائم النفاق - فضلاً عن أن يكون أظهر - والأنصار أنفسهم كانوا

يعرفون المنافقين ببغضهم عليّاً عليه السلام:

أخرج أحمد قال: حدّثنا أسود بن عامر قال: حدّثنا إسرائيل عن الأعمش عن أبي صالح عن

أبي سعيد الخدري قال: إنما كنّا نعرف منافقي الأنصار ببغضهم عليّاً.^(١)

وإسناد هذا الحديث صحيح بلا كلام، وقد أشار إليه الترمذي، ورواه بسند آخر عن أبي هارون

العبدي عن أبي سعيد، ثم نقل عن شعبة التكلّم في أبي هارون، وهذا نصّ كلامه:

حدّثنا قتيبة، حدّثنا جعفر بن سليمان، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري قال: إنّنا كنّا

لنعرف المنافقين نحن معشر الأنصار ببغضهم علي بن أبي طالب.

قال: هذا حديث غريب، إنما نعرفه من حديث أبي هارون، وقد تكلّم شعبة في أبي هارون العبدي.

وقد روي هذا عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد.^(٢)

أقول: أمّا السند الثاني فقد عرفت صحته، وإنما أشار إليه الترمذي ليزيل الإشكال في الأول،

لاشتماله على أبي هارون وهو «عمارة بن جوين العبدي».

(١) فضائل الصحابة، فضائل علي ٢ / ٧١٥، الترجمة: ٩٧٩.

(٢) صحيح الترمذي: كتاب المناقب، مناقب علي بن أبي طالب، الحديث ٣٧٢٦: ٩٧٩.

لكن يظهر السبب في تكلمهم في أبي هارون العبدي من العبارة التالية:

«قال ابن عبد البر: أجمعوا على أنه ضعيف الحديث، وقد تحامل بعضهم فنسبه إلى الكذب، روي ذلك عن حماد بن زيد، وكان فيه تشييع، وأهل البصرة يفرطون فيمن يتشييع بين أظهرهم لأنهم عثمانيون».

قال ابن حجر: «قلت: كيف لا ينسبونه إلى الكذب؟ وقد روى ابن عدي في الكامل عن الحسن بن سفيان، عن عبدالعزيز بن سلام، عن علي بن مهران، عن بهز بن أسد قال: أتيت إلى أبي هارون العبدي فقلت: أخرج إلي ما سمعت من أبي سعيد، فأخرج لي كتاباً فإذا فيه: حدثنا أبو سعيد: أن عثمان أدخل حفرة وإنه لكافر بالله. قال قلت: تُقرّ بهذا؟ قال: هو كما ترى. قال: فدفعت الكتاب في يده وقمت. فهذا كذب ظاهر على أبي سعيد».^(١)

أقول:

إعتماد ابن حجر على نقل «بهز بن أسد» مثل هذا عجيب جداً، فإن هذا الرجل من النواصب، وقد ذكره ابن حجر في عداد من تكلم فيه من رجال البخاري لأجل مذهبه^(٢) وهو من أهل البصرة أيضاً!!

وأخرج الحافظ ابن عبد البر قال: «وروى عمّار الدهني، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ ببغض علي بن أبي طالب رضي الله عنه».^(٣)

وهذا سند صحيح.

(١) تهذيب التهذيب - الترجمة ٥٠١٨، عمارة بن جوين ٣٤٩/٧.

(٢) مقدمة فتح الباري - الفصل التاسع في تمييز أسباب الطعن في المذكورين: ٤٦٠.

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب - باب علي، الترجمة ١٨٥٥، علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١١١٠/٣.

وقد روي ذلك عن المهاجرين أيضاً، فقد أخرج الحاكم بإسناده «عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: ما كنّا نعرف المنافقين إلاّ بتكذيبهم الله ورسوله، والتخلّف عن الصلوات، والبغض لعلّي بن أبي طالب رضي الله عنه. هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».^(١)

(١) المستدرک علی الصحیحین - کتاب معرفة الصحابة، الحديث ٤٦٤٣، ١٣٩/٣.

البرهان السادس عشر

قوله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ).

روى أبو نعيم الحافظ عن ابن عباس قال في هذه الآية: سبق هذه الأمة علي ابن أبي طالب. وروى الفقيه ابن المغازلي الشافعي عن مجاهد عن ابن عباس في قوله: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ)، قال: سبق يوشع بن نون إلى موسى وصاحب يس إلى عيسى، وسبق علي إلى محمد صَلَّى الله عليه وآله.

وهذه الفضيلة لم تثبت لغيره من الصحابة، فيكون هو الإمام.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بصحة النقل، فإن الكذب كثير فيما يرويه هذا وهذا.

الثاني: إن هذا باطل عن ابن عباس، ولو صح عنه لم يكن حجة إذا خالفه من هو أقوى منه.

الثالث: إن الله يقول: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ

اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ)

والسابقون الأولون هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا، الذين هم أفضل ممن أنفق من بعد

الفتح وقاتل. ودخل فيهم أهل بيعة الرضوان، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة، فكيف يُقال: إن سابق

هذه الأمة واحد؟!!

الرابع: قوله: «وهذه الفضيلة لم تثبت لغيره من الصحابة» ممنوع; فإن الناس متنازعون في أول من أسلم، فقيل: أبو بكر أول من أسلم، فهو أسبق إسلاماً من عليّ. وقيل: إن عليّاً أسلم قبله. لكن عليّ كان صغيراً، وإسلام الصبي فيه نزاع بين العلماء. ولانزاع في أن إسلام أبي بكر أكمل وأنفع، فيكون هو أكمل سبقاً بالاتفاق، وأسبق على الإطلاق على القول الآخر. فكيف يُقال: عليّ أسبق منه بلا حجة تدل على ذلك.

الخامس: أن هذه الآية فضّلت السابقين الأولين، ولم تدل على أن كل من كان أسبق إلى الإسلام كان أفضل من غيره. وإنما يدل على أن السابقين أفضل قوله تعالى: (لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى)، فالذين سبقوا إلى الانفاق والقتال قبل الحديبية، أفضل ممن بعدهم، فإن الفتح فسّره النبي صلّى الله عليه وسلم بالحديبية.

وإذا كان أولئك السابقون قد سبق بعضهم بعضاً إلى الإسلام، فليس في الآيتين ما يقتضي أن يكون أفضل مطلقاً، بل قد يسبق إلى الإسلام من سبقه غيره إلى الإنفاق والقتال. ولهذا كان عمر رضي الله عنه ممن أسلم بعد تسعة وثلاثين، وهو أفضل من أكثرهم بالنصوص الصحيحة، وياجماع الصحابة والتابعين، وما علمت أحداً قط قال: إن الزبير ونحوه أفضل من عمر، والزبير أسلم قبل عمر، ولا قال من يعرف من أهل العلم: إن عثمان أفضل من عمر، وعثمان أسلم قبل عمر.

وإن كان الفضل بالسبق إلى الإنفاق والقتال، فمعلوم أن أبا بكر أخصّ بهذا، فإنه لم يجاهد قبله أحداً، لا بيده ولا بلسانه، بل هو من حين آمن بالرسول ينفق ماله ويجاهد بحسب الإمكان، فاشتري من

المعدّيين في الله غير واحد، وكان يجاهد مع الرسول قبل الأمر بالقتال وبعد الأمر بالقتال كما قال

تعالى: (وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا)

فكان أبو بكر أسبق الناس وأكملهم في أنواع الجهاد بالنفس والمال.

ولهذا قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صَحْبَتِهِ

وَذَاتِ يَدِهِ أَبُو بَكْرٍ». وَالصَّحْبَةُ بِالنَّفْسِ وَذَاتِ الْيَدِ هُوَ الْمَالُ، فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَمَنَ

الناس عليه في النفس والمال.

أقول:

لماذا هذا الإطناب والخروج عن البحث؟

لقد أخرج هذا الحديث عن ابن عباس جماعة من أكابر الحفاظ والمفسرين بأسانيد صحيحة،

منهم:

ابن أبي حاتم

أبو القاسم الطبراني

الحاكم النيسابوري

أبو بكر ابن مردويه

أبونعيم الاصفهاني

الفخر الرازي

محبّ الدين الطبري

ابن كثير الدمشقي

نورالدين الهيثمي

جلال الدين السيوطي

ابن حجر المكي

علي المتقي الهندي

قاضي القضاة الشوكاني

شهاب الدين الآلوسي

وهذه نبذة من أسانيدهم في رواية هذا الحديث:

قال الحافظ ابن كثير: «وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس (وَالسَّابِقُونَ

السَّابِقُونَ) قال: يوشع بن نون سبق إلى موسى، ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى، وعلي بن

أبي طالب سبق إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رواه ابن أبي حاتم، عن محمد بن هارون الفلاس، عن عبدالله بن إسماعيل المدائني البزاز، عن

سفيان^(١) بن الضحاك المدائني، عن سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، به»^(٢).

وقال الحافظ الطبراني: «حدّثنا الحسين بن إسحاق التستري، حدّثنا الحسين بن أبي السري

العسقلاني، حدّثنا حسين الأشقر، حدّثنا سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن

عبّاس قال: السَّبِقُ ثلاثة...»^(٣).

وقال الحافظ الحاكم الحسكاني: «أخبرنا أبو بكر التميمي، أخبرنا أبو بكر القباب، أخبرنا أبو بكر

الشيبياني، حدّثنا محمد بن عبدالرحيم، حدّثنا ابن عائشة.

(١) كذا والصحيح: شعيب.

(٢) تفسير ابن كثير ٤ / ٢٨٥.

(٣) المعجم الكبير، مسند عبدالله بن العباس ١١ / ٧٧، ح ١١١٥٢.

وحدّثني الحاكم أبو عبدالله الحافظ - من خط يده - حدّثنا أحمد بن حمدويه البيهقي أبو يحيى، حدّثنا عبيدالله بن محمّد بن حفص القرشي، حدّثنا الحسين ابن الحسن الفزاري الأشقر، عن سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عبّاس...
أخبرنا محمّد بن عبدالله بن أحمد الصّوفي، حدّثنا محمّد بن أحمد بن محمّد الحافظ، حدّثنا عبدالعزيز بن يحيى بن أحمد، حدّثنا إبراهيم بن فهد، حدّثنا عبدالله بن محمّد التستري، حدّثنا سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عبّاس...»^(١).

وقال الحافظ ابن حجر - بترجمة الفيض بن وثيق - :

«عن أبي عوانة وغيره. قال ابن معين: كذاب خبيث. قلت: قد روى عنه أبو زرعة، وأبو حاتم، وهو

مقارب الحال إن شاء الله تعالى. انتهى»^(٢).

وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه.

وأخرج له الحاكم في المستدرک محتجاً به.

وذكره ابن حبان في الثقات.

وقال العجلي في ترجمة الحسين الأشقر: حدّثنا الحسين بن إسحاق التستري، حدّثنا الحسين

بن أبي السري، حدّثنا فيض بن وثيق، حدّثنا سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد عن ابن

عبّاس...»^(٣).

(١) شواهد التنزيل ٢ / ٢٩١ - ٢٩٤.

(٢) أي كلام الحافظ الذهبي في ميزان الإعتدال.

(٣) لسان الميزان ٤ / ٤٥٦.

وقال الفقيه ابن المغازلي: «أخبرنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب - إجازةً - أخبرنا عمر بن عبد الله بن شوذب، حدّثنا محمد بن أحمد بن منصور، حدّثنا أحمد بن الحسين، حدّثنا زكريا، حدّثنا أبو صالح بن الضحاك، حدّثنا سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس...»^(١).

ثم إن غير واحد من أسانيد هذا الخبر معتبر بلا كلام:

فطريق الحافظ ابن أبي حاتم الرازي صحيح:

«محمد بن هارون» الفلاس، المتوفى سنة ٢٦٥، وثقه ابن أبي حاتم، والحافظ الذهبي.^(٢)

و«عبد الله بن إسماعيل» ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه،^(٣) وتابعه الخطيب في تاريخه.^(٤)

و«شعيب بن الضحاك» أبو صالح، حدّث عن سفيان بن عيينة، وعنه عبد السلام ابن صالح

أبو الصلت الهروي، وعبد الله بن إسماعيل المدائني البزار. ذكره ابن أبي حاتم عن أبيه ولم يجرحه،^(٥)

وكذا الخطيب.^(٦)

و«سفيان بن عيينة» الإمام الكبير، من رجال الصحاح الستة، وفضائله كثيرة عندهم جداً.^(٧)

و«عبد الله بن أبي نجيح» من رجال الصحاح الستة.^(٨)

و«مجاهد» من رجال الصحاح الستة أيضاً.^(٩)

(١) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٦٥، ح ٣٦٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢ / ٣٢٧.

(٣) الجرح والتعديل ٥ / ٤.

(٤) تاريخ بغداد ٩ / ٤١٠.

(٥) الجرح والتعديل ٤ / ٣٤٨.

(٦) تاريخ بغداد ٩ / ٢٤٢.

(٧) أنظر مثلاً: سير أعلام النبلاء ٨ / ٤٥٤.

(٨) تقريب التهذيب ١ / ٥٤١ / قم ٣٦٧٣.

(٩) تقريب التهذيب ٢ / ١٥٩ / رقم ٦٥٠١.

هذا، مضافاً إلى أن مثل ابن تيمية يشهد بأن تفسير ابن أبي حاتم من التفاسير المعتمدة، وأنه خال

عن الموضوعات.^(١)

وطريق الحافظ ابن حجر صحيح كذلك.

فهو طريق الحافظ الطبراني نفسه، الذي لم يتكلم فيه إلا من جهة «الأشقر» وقد تابعه - في

الرواية عن «سفيان» - في طريق الحافظ ابن حجر «الفيض بن وثيق» الذي وثقه كبار الأئمة،

كالحاكم وابن حبان، وروى عنه مثل أبي حاتم وأبي زرعة، وذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه، وقال

الذهبي: هو مقارب الحال.

وطريق الحافظ الطبراني صحيح على التحقيق، وكذا كل طريق لم يتكلم فيه إلا من جهة

«حسين الأشقر»، قال الحافظ الهيثمي - بعد روايته عن الطبراني - : «وفيه حسين بن حسن الأشقر،

وثقه ابن حبان وضعفه الجمهور، وبقيّة رجاله حديثهم حسن أو صحيح».^(٢)

و ذلك لأن «الأشقر» من رجال صحيح النسائي، وقد ذكروا أن للنسائي شرطاً في صحيحه أشد

من شرط الشيخين.^(٣) وقد روى عنه كبار الأئمة الأعلام: كأحمد وابن معين والفلاس وابن سعد.^(٤)

وقد حكى الحافظ بترجمته عن العقيلي عن أحمد بن محمد بن هاني قال: قلت: لأبي عبدالله - يعني

أحمد بن حنبل - تحدّث عن حسين الأشقر؟ قال: لم يكن عندي ممن يكذب، وذكر عنده التشيع فقال

له العباس بن عبدالعظيم: إنّه يحدّث في أبي بكر وعمر، وقلت أنا: يا أبا عبدالله إنّه صنّف باباً في

(١) منهاج السنّة ١٣/٧.

(٢) مجمع الزوائد ١٠٢/٩.

(٣) تذكرة الحفاظ ٧٠٠/٢.

(٤) تهذيب التهذيب ٣٣٦/٢.

معايهما. فقال: ليس هذا بأهل أن يحدث عنه.^(١) فكان هذا هو السبب في تضعيفه، وعن الجوزجاني: غال من الشّتامين للخيرة^(٢) ولذا قال ابن معين: كان من الشيعة الغالية، فقيل له: فكيف حديثه؟ قال: لا بأس به، قيل: صدوق؟ قال: نعم كتبت عنه.^(٣) ومن هنا قال الحافظ: صدوق يههم ويغلو في التشيع.^(٤)

أقول:

هذا هو حديث ابن عباس، فأين حديث غيره الأقوى منه المخالف له؟ وأما الآيات الواردة في الأولين من المهاجرين والأنصار، فليلبث عن حدّ دلالتها على فضل لهم مجال آخر.

(١) تهذيب التهذيب ٣٣٦/٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) تقريب التهذيب ٢١٤/١ رقم ١٣٢٣.

البرهان السابع عشر

قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ...).

روى زرير بن معاوية في الجمع بين الصحاح الستة: أنها نزلت في علي لما افتخر طلحة بن شيبه والعباس.

و هذه فضيلة لم تحصل لغيره من الصحابة. فيكون أفضل فيكون هو الإمام.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بصحة النقل. ورزير قد ذكر في كتابه أشياء ليست في الصحاح.

الثاني: أن الذي في الصحيح ليس كما ذكره عن رزير، بل الذي في الصحيح ما رواه النعمان بن

بشير، قال: كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رجل: لا أبالي أن لا أعمل عملاً بعد

الإسلام إلا أن أعمار المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم. فزجرهم عمر،

وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليت

الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه. فأنزل الله تعالى: (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ

الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) الآية إلى آخرها. أخرجه

مسلم.

وهذا الحديث يقتضي أن قول عليّ الذي فضّل به الجهاد على السّدانة والسّقاية أصح من قول من فضّل السّدانة والسّقاية، وأن عليّاً كان أعلم بالحق في هذه المسألة ممن نازعه فيها. وهذا صحيح. و عمر قد وافق ربّه في عدة أمور، يقول شيئاً وينزل القرآن بموافقته. قال للنبي صلّى الله عليه وسلّم: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى، فنزلت: (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) وقال: إن نساءك يدخل عليهن البرّ والفاجر، فلو أمرتهن بالحجاب، فنزلت آية الحجاب. وقال: (عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ) فنزلت كذلك. وأمثال ذلك. وهذا كلّه ثابت في الصحيح. وهذا أعظم من تصويب عليّ في مسألة واحدة.

وأما التفضيل بالإيمان والهجرة والجهاد، فهذا ثابت لجميع الصحابة الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا، فليس هاهنا فضيلة اختصّ بها عليّ، حتى يقال: إن هذا لم يثبت لغيره.

الثالث: أنه لو قدر أنه اختصّ بمزية ليست من خصائص الإمامة، ولا موجبة لأن يكون أفضل مطلقاً. فإن الخضر لما علم ثلاث مسائل لم يعلمها موسى لم يكن أفضل من موسى مطلقاً، والهدد لما قال لسليمان: (أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ) لم يكن أعلم من سليمان مطلقاً.

الرابع: أن عليّاً كان يعلم هذه المسألة، فمن أين يعلم أن غيره من الصحابة لم يعلمها؟ فدعوى اختصاصه بعلمها باطل، فبطل الاختصاص على التقديرين. بل من المعلوم بالتواتر أن جهاد أبي بكر بماله أعظم من جهاد عليّ، فإن أبا بكر كان موسراً، قال فيه النبي صلّى الله عليه وسلّم «ما نفعني مال كمال أبي بكر» وعليّ كان فقيراً، وأبو بكر أعظم جهاداً بنفسه كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

أقول:

ما ذكره ابن تيمية تجاهل للحقيقة وجود للحق، وذلك:

لأنّ هذا الحديث من أصحّ الأحاديث وفي أوثق كتب القوم: رواه عبدالرزاق وابن أبي شيبة وابن أبي حاتم والطبري والطبراني وابن مردويه وأبونعيم والثعلبي وابن عساكر والواحي وابن الأثير وغيرهم. روه عن جماعة من الصحابة والتابعين، كعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله بريدة وأنس والشعبي والحسن البصري وغيرهم، وهذه نصوص بعض الروايات: أخرج عبدالرزاق الصنعاني:

«أخبرنا معمر، عن عمرو، عن الحسن، قال: لما نزلت (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ) في علي وعبّاس وشيبة، تكلموا في ذلك، فقال العباس: ما أراني إلا تاركاً سقايتنا! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله أقيموا سقايتم فإن لكم فيها خيراً.^(١)

و عن ابن عيينة، عن إسماعيل، عن الشعبي قال: نزلت في علي وعبّاس، تكلموا في ذلك.^(٢) وأخرج ابن أبي حاتم:

حدّثنا أبي، حدّثنا ابن أبي عمر العدني، حدّثنا سفيان، عن ابن أبي خالد وزكريّا، عن الشعبي، قال: تكلم علي والعبّاس وشيبة في السقاية والحجّابة، فأنزل الله تعالى: (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ)^(٣)

و قال: حدّثنا الحسن بن محمد بن الصباح، حدّثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن إسماعيل بن أبي خالد قال قال الشعبي: نزلت «سقاية الحاجّ» في علي وعبّاس رضي الله عنهما^(٤)

(١) تفسير عبدالرزاق ٢ / ١٣٨.

(٢) نفس المصدر.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ٦ / ١٧٦٧.

(٤) المصدر.

و كذا في المصنّف لابي أبي شيبه^(١)

و في الدر المنثور عن أبي الشيخ وابن المنذر^(٢)

وأخرج الطبري:

حدّثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرت عن أبي صخر، قال: سمعت محمّد بن كعب القرظي يقول: افتخر طلحة بن شيبه من بني عبدالدار وعبّاس بن عبدالمطلب وعلي بن أبي طالب، فقال طلحة: أنا صاحب البيت، معي مفتاحه، لو أشاء بتّ فيه. وقال عبّاس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، ولو أشاء بتّ في المسجد. وقال علي: ما أدري ما تقولان، لقد صلّيت إلى القبلة ستّة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد، فأنزل الله (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) الآية كلّها.^(٣)

حدّثني محمّد بن الحسين، قال: حدّثنا أحمد بن المفضّل، قال: حدّثنا أسباط، عن السدي:
(أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ) قال: افتخر علي وعبّاس وشيبه بن عثمان. فقال العبّاس: أنا أفضلكم، أنا أسقي حجّاج بيت الله. وقال شيبه: أنا أعمّر مسجد الله. و قال علي: أنا هاجرت مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وأجاهد معه في سبيل الله. فأنزل الله: (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) إلى (نَعِيمٌ مُّقِيمٌ).^(٤)

وأخرج ابن الأثير في جامع الاصول:

(١) المصنّف ٦ / ٣٧٣ ح ٣٢١٢٤.

(٢) الدر المنثور ٤ / ١٤٥.

(٣) تفسير الطبري ١١ / ٣٨٠.

(٤) المصدر.

أخرج رزين، عن محمد بن كعب القرظي قال:

افتخر طلحة بن شيبه بن الدار وعبّاس بن عبدالمطلب وعلي بن أبي طالب، فقال طلحة أنا صاحب البيت ومعني مفتاحه - وفي رواية: ومعني مفتاح البيت - ولو أشاء بتّ فيه. وقال عبّاس: أنا صاحب السّقاية، ولو أشاء بتّ في المسجد. وقال علي: ما أدري ما ما تقولان، لقد صلّيت إلى القبلة ستّة أشهر قبل الناس، أنا صاحب الجهاد. فأنزل الله تعالى: (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)

و في رواية: قال علي: أنا هاجرت مع رسول الله صلّى الله عليه وآله، فأنزل الله هذه الآية^(١) وأخرج ابن عساكر:

أخبرنا أبوالقاسم علي بن إبراهيم العلوي: قال: قرأت على عمّي الشريف أبي البركات عقيل بن العبّاس، قلت له: أخبركم الحسين بن عبدالله بن محمّد بن أبي كامل. حيلولة: وأخبرنا أبو محمد عبدالكريم بن حمزة السّلمي، أنبأنا أبوالقاسم عبيدالله ابن عبدالله بن هشام بن سوار العبسي الداراني، أنبأنا أبو عبدالله الحسين بن عبدالله بن محمّد بن إسحاق، أنبأنا أبو علي أحمد بن محمّد بن [عبدالله] عبدالسلام البيروتي، أنبأنا جبرون بن عيسى بن يزيد البلوي - بمصر - أنبأنا يحيي بن سليمان، عن أبي معمر عبّاد ابن عبدالصمد، عن أنس، أنّه قال:

قعد العبّاس وشيبه صاحب البيت يفتخران، فقال له العبّاس: أنا أشرف منك، أنا عمّ رسول الله صلّى الله عليه وآله ووصيّ أبيه وساقى الحجيج، فقال شيبه: أنا أشرف منك، أنا أمين الله على بيته وخازنه، أفلا ائتمنك كما ائتمني؟!!

فهما على ذلك يتشاجران حتى أشرف عليهما علي، فقال له العباس: على رسلك يا ابن أخ، فوقف علي عليه السلام، فقال له العباس: إن شيبه فإخني، فزعم أنه أشرف مني، فقال: فما قلت له أنت يا عمّاه؟ قال: قلت له: أنا عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله ووصي أبيه و ساقى الحجيج، أنا أشرف منك. فقال لشيبه: ماذا قلت له أنت يا شيبه؟ قال: قلت له: أنا أشرف منك، أنا أمين الله على بيته وخازنه، أفلا ائتمنك - زاد العلوي: الله عليه، وقالوا: - كما ائتمني؟!

قال: فقال لهما: اجعلا لي معكما مفخراً؟ قالوا: نعم. قال: فأنا أشرف منكما، أنا أول من آمن بالوعيد من ذكور هذه الأمة وهاجر وجاهد.

فانطلقوا - زاد العلوي: ثلاثتهم - إلى النبي صلى الله عليه وآله، فبحثوا بين يديه، فأخبر كل واحد منهم بمفخره، فما أجابهم النبي صلى الله عليه وآله بشيء، فانصرفوا عنه، فنزل - زاد العلوي: عليه - الوحي بعد أيام فيهم، فأرسل إليهم ثلاثتهم حتى أتوه، فقرأ عليهم: (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) إلى آخر العشر. قرأه أبو معمر. (١)

وراجع أيضاً من كتب التفسير عدا ما تقدّم ذكره:

تفسير الرازي (٢)

تفسير القرطبي (٣)

تفسير البغوي (٤)

تفسير ابن الجوزي (١)

(١) تاريخ دمشق ٤٢ / ٣٥٨.

(٢) تفسير الرازي ١٢ / ١٦.

(٣) تفسير القرطبي ٥٩ / ٨.

(٤) تفسير البغوي ٢٣٢ / ٢.

تفسير ابن كثير^(٢)

تفسير الشوكاني^(٣)

وقال السمعاني: أكثر المفسرين على أنّ هذه الآية نزلت في علي والعبّاس.^(٤)

و حينئذ، لا يصغى إلى تطويلات ابن تيمية، وما جاء فيها من أباطيل.

(١) زادالمسير ٣/٣١٠.

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٣٢٧.

(٣) فتح القدير ٢/٣٦٤.

(٤) تفسير السمعاني ٢ / ٢٩٤.

البرهان الثامن عشر

قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ).

من طريق الحافظ أبي نعيم إلى ابن عباس قال: إن الله حرّم كلام رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ بتقديم الصّدقة، وبخلوا أن يتصدّقوا قبل كلامه، وتصدّق علي، ولم يفعل ذلك أحد من المسلمين غيره!

و من تفسير الثعلبي، قال ابن عمر: فكان لعلي عليه السلام ثلاثة، لو كانت لي واحدة منهم كانت أحبّ إليّ من حمر النعم: تزويجه بفاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى. وروى رزين العبدي في الجمع بين الصحاح الستة عن علي عليه السلام: ما عمل بهذه الآية غيري؟ وبي خفف الله تعالى عن هذه الامة.

و هذا يدل على أفضليّته عليهم، فيكون أحق بالإمامة.

قال ابن تيميّة:

والجواب أن يقال: أما الذي ثبت، فهو أن عليّاً رضي الله عنه تصدّق وناجى، ثم نسخت الآية قبل أن يعمل بها غيره، لكن الآية لم توجب الصّدقة عليهم، لكن أمرهم إذا ناجوا أن يتصدّقوا، فمن لم ينجح لم يكن عليه أن يتصدّق. وإذا لم تكن المناجاة واجبة، لم يكن أحد ملوماً إذ ترك ما ليس بواجب، ومن كان فيهم عاجزاً عن الصّدقة ولكن لو قدر لناجى فتصدّق، فله نيّته وأجره، ومن لم يعرض له سبب ينجح لأجله لم يجعل ناقصاً.

ولكن من عرض له سبب اقتضى المناجاة فتركه بخلاً، فهذا قد ترك المستحب. ولا يمكن أن يُشهد على الخلفاء أنهم كانوا من هذا الضرب، ولا يعلم أنهم كانوا ثلاثتهم حاضرين عند نزول هذه الآية، بل يمكن غيبة بعضهم، ويمكن حاجة بعضهم، ويمكن عدم الداعي إلى المناجاة. و لم يطل زمان عدم نسخ الآية، حتى يعلم أن الزمان الطويل لابد أن يعرض فيه حاجة إلى المناجاة.

و بتقدير أن يكون أحدهم ترك المستحب، فقد بيّنا غير مرّة أن من فعل مستحباً لم يجب أن يكون أفضل من غيره مطلقاً.

و قد ثبت في الصحيح أن النبي صَلَّى الله عليه وسلّم قال لأصحابه: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟» فقال أبو بكر: أنا. قال: «فمن تبع منكم جنازة؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «هل فيكم من عاد مريضاً؟» قال أبو بكر: أنا. قال: «هل فيكم من تصدّق بصدقة؟» فقال أبو بكر: أنا. قال: «ما اجتمع لعبد هذه الخصال إلا وهو من أهل الجنة». وهذه الأربعة لم ينقل مثلها لعلّ ولا غيره في يوم.

و في الصحيحين أن النبي صَلَّى الله عليه وسلّم قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله دعي من أبواب الجنة: يا عبد الله هذا خير، فإن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، وإن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، وإن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة. فقال أبو بكر: يا رسول الله، فما على من يدعى من تلك الأبواب كلّها من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلّها؟ قال: «نعم، وأرجو أن تكون منهم». و لم يذكر هذا لغير أبي بكر رضي الله عنه.

و في الصحيحين عن النبي صَلَّى الله عليه وسلّم أنه قال: «بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها، فالتفتت إليه فقالت: إني لم أخلق لهذا، ولكني إنما خلقت للحرث» فقال الناس: سبحان الله بقرة تتكلم!! فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: فإني أوّمن به أنا وأبو بكر و عمر» و(ما) هما ثمّ.

قال أبو هريرة: وقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: «بينما راع في غنمه عدا عليها الذئب، فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئب، فقال: من لها يوم السَّبْع، يوم ليس لها راع غيري؟» فقال الناس: سبحان الله! فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: «فإني أؤمن بذلك: أنا وأبوبكر وعمر» وما هما ثمّ.

و قد قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: «ما نفعني مال كمال أبي بكر» وهذا صريح في اختصاصه بهذه الفضيلة، لم يشركه فيها على ولا غيره.

و كذلك قوله في الصحيحين: «إن أمنّ الناس علىّ في صحبته وماله أبوبكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربّي لاتخذت أبابكر خليلاً، لكن أخوة الإسلام ومودّته. لا يبقينّ باب في المسجد إلا سدّ، إلاّ باب أبي بكر»

و في سنن أبي داود: أن النبي صَلَّى الله عليه وسلّم: قال لأبي بكر: «أما أنك يا أبابكر، أوّل من يدخل الجنة من أمّتي»

و في الترمذي وسنن أبي داود عن عمر رضي الله عنه، قال: أمرنا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم: أن نتصدّق، فوافق مئّي مالا، فقلت: اليوم أسبق أبابكر إن سبقت، فبحث بنصف مالي، فقال النبي صَلَّى الله عليه وسلّم: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت: مثله. وأتى أبوبكر بكلّ ما عنده فقال: «يا أبابكر ما أبقيت لأهلك؟» قال: الله ورسوله. قلت: لا أسابقه إلى شيء أبداً»

و في البخاري عن أبي الدرداء: كنت جالساً عند النبي صَلَّى الله عليه وسلّم، إذ أقبل أبوبكر أخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي صَلَّى الله عليه وسلّم: «أمّا صاحبكم فقد غامر فسلم» وقال: إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه، ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي، فأبى عليّ، فأقبلت إليك، فقال: يغفر الله لك يا أبابكر ثلاثاً، ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أثمّ

أبوبكر؟ قالوا: لا. فأتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (فَسَلَّمَ عَلَيْهِ) فَجَعَلَ وَجْهَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَمَعَّرُ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَثَا عَلَى رِكْبَتَيْهِ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، (وَاللَّهِ) أَنَا كُنْتُ أَظْلَمُ، مَرَّتَيْنِ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ، وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَوَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي؟ فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي صَاحِبِي؟ فَمَا أُوذِي بَعْدَهَا» فِي لَفْظٍ آخَرَ: «(إِنِّي) قُلْتُ (: أَيُّهَا النَّاسُ) إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا، فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ».

و فِي التَّرْمِذِيِّ مَرْفُوعًا: «لَا يَنْبَغِي لِقَوْمٍ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ أَنْ يُؤْمَهُمْ غَيْرَهُ».

و تَجْهِيْزُ عِثْمَانَ بِالْفِ بَعِيْرٍ أَعْظَمَ مِنْ صَدَقَةٍ عَلَيَّ بِكَثِيْرٍ كَثِيْرٍ؛ فَإِنَّ الْإِنْفَاقَ فِي الْجِهَادِ كَانَ فَرَضًا، بِخِلَافِ الصَّدَقَةِ أَمَامَ النَّجْوَى فَإِنَّهُ مَشْرُوطٌ بِمَنْ يَرِيْدُ النَّجْوَى، فَمَنْ لَمْ يَرِدْهَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ أَنْ يَتَصَدَّقَ.

و قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِي بَعْضِ الْأَنْصَارِ: (وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ).

و فِي الصَّحِيْحِيْنَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ. فَأَرْسَلْتُ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ، فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ. ثُمَّ إِلَى أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ، حَتَّى قَلْنَ كُلَّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ. فَقَالَ: «مَنْ يَضِيْفُهُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ؟» فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. وَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ، فَقَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتٌ صَبِيَانَنَا. فَقَالَ: فَعَلَّيْهِمْ شَيْءًا، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفَيْ السَّرَاجَ، وَأَرِيَهُ أَنَا نَأْكُلُ، فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ فِقُومِي إِلَى السَّرَاجِ حَتَّى تَطْفِئِيَهُ. قَالَ: فَفَعَدُوا (فَأَكَلَ الضَّيْفُ) فَلَمَّا أَصْبَحَ، غَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «قَدْ عَجَبَ اللَّهُ مِنْ صَنْعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ». وَفِي رِوَايَةٍ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: (وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)

أَقُولُ:

لا يخفى أن الآية المباركة تشتمل على مدح وذم.

أما المدح، فلأمير المؤمنين عليه السلام لكونه وحده الذي عمل بالآية (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا

نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ...).

وَأَمَّا الذم، فلمن خوطب بقوله بعد ذلك (ءَ أَشْفَقْتُمْ أَن تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَي نَجْوَاكُمْ صَدَقَات

فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ

خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)

و قد روى قصة تصدق أمير المؤمنين وإشفاق غيره من التصدق، فتركوا المناجاة لئلا يتصدقوا -

وقد كانوا يتناجون معه كل حين - أئمة الحديث والتفسير، منهم:

ابن أبي شيبة

عبد بن حميد

سعيد بن منصور

ابن راهويه

ابن المنذر

ابن أبي حاتم

محمد بن جرير الطبري

أبو إسحاق الثعلبي

النسائي

الترمذي

ابن حبان

الجصاص

الواحدي

البغوي

الزمخشري

الرازي

السيوطي

وغيرهم من القدماء والمتأخرين.

و هذه نصوص بعض الروايات:

حدّثنا يحيى بن آدم، قال: حدّثنا عبيدالله الأشجعي، عن سفيان بن سعيد، عن عثمان بن

المغيرة الثقفي، عن سالم بن أبي الجعد، عن علي بن علقمة الأنماري، عن علي، قال:

لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ

صَدَقَةً) قال: قال لي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ماترى: دينار؟ قلت: لا يطيقونه. قال: فكم؟

قلت: شعيرة. قال: إنك لزهيد.

قال: فنزلت: (ءَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ) الآية.

قال: فقد خفف الله بي عن هذه الأمة.

وأخرج النسائي:

أخبرنا محمد بن عبدالله بن عمّار الموصلي، قال: حدّثنا قاسم [بن يزيد] الجرمي، عن سفيان

[الثوري]، عن عثمان - وهو ابن المغيرة - ، عن سالم [بن أبي الجعد]، عن علي بن علقمة، عن علي،

قال:

لَمَّا أَنْزَلَتْ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: مرهم أن يتصدقوا. قال: بكم يا رسول الله؟ قال: بدينار؟

قال: لا يطيقون. قال: فنصف دينار؟ قال: لا يطيقون. قال: فبكم؟ قال: بشعيرة، فقال له رسول الله

صلى الله عليه وسلم: إِنَّكَ لَزَهِيدٌ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (ءَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ)

و كان علي يقول: بي خفف عن هذه الامة^(١)

وأخرج ابن حبان:

أخبرنا عبدالرحمان بن محمد أبوصخرة - ببغداد بين الصّورين - ، قال: حدّثنا محمد بن عبد الله

بن عمّار، قال: حدّثنا قاسم بن يزيد الجرمي، عن سفيان الثوري، عن عثمان الثقفي، عن سالم بن أبي

الجعد الغطفاني، عن علي بن علقمة الأنماري، عن علي ابن أبي طالب، قال:

لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ

صَدَقَةً) قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: يا علي، مرهم أن يتصدقوا قال: يا رسول الله،

بكم؟ قال: بدينار، قال: لا يطيقونه، قال: فبنصف دينار. قال: لا يطيقونه. قال: فيكم؟ قال: بشعيرة.

قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي: إِنَّكَ لَزَهِيدٌ.

قال: فَأَنْزَلَ اللَّهُ: (ءَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ

اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ)

قال: فكان علي يقول: بي خفف عن هذه الامة^(٢).

وأخرج عبدالرزاق الصنعاني:

(١) السنن الكبرى ١٥٢/٢.

(٢) صحيح ابن حبان ٣٩١/١٥.

عن معمر عن أيوب عن مجاهد في قوله: «إذا ناجيتم...» قال: علي. ما علي بهذا أحد غيري حتى نسخت. قال: أحسبه قال: وما كانت إلا ساعة^(١)

وأخرج الطبري:

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا مهران، عن سفيان، عن عثمان بن أبي المغيرة، عن سالم بن أبي الجعد، عن علي بن علقمة الأثماري: عن علي، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ماتري؟ دينار؟ قال: لا يطيقون. قال: نصف دينار؟ قال: لا يطيقون. قال: ماتري؟ قال: شعيرة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: إنك لزهيد.

قال علي عليه السلام: بي حَفَّ الله عن هذه الأمة.^(٢)

حدّثنا أبو كريب، قال: حدّثنا ابن إدريس، قال: سمعت ليثاً، عن مجاهد، قال:

قال علي عليه السلام:

آية من كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي؛ كان عندي دينار، فصرفته بعشرة دراهم، فكنت إذا جئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تصدّقت بدرهم، فنسخت، فلم يعمل بها أحد قبلي: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً)^(٣)

حدّثنا محمّد بن عبيد بن محمّد المحاربي، قال: حدّثنا المطلّب بن زياد، عن ليث، عن مجاهد،

قال: قال علي عليه السلام:

(١) تفسير عبد الرزاق ٢/٢٦٢.

(٢) تفسير الطبري ١٤ / الجزء ٢٨ / ٢١.

(٣) المصدر ١٤ / الجزء ٢٨ / ٢٠.

إن في كتاب الله - عزّ وجلّ - لآيةً ما عمل بها أحد قبلي، ولا يعمل بها أحد بعدي: (يا أيُّها
الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً) قال: فرضت، ثم
نسخت. (١)

حدّثني موسى بن عبدالرحمان المسروقي، قال: حدّثنا أبوأسامة، عن شبل بن عبّاد، عن ابن أبي
نجيح:

عن مجاهد، في قوله: (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ
صَدَقَةً) قال: نهوا عن مناجات النبي صلّى الله عليه وسلّم: حتّى يتصدّقوا، فلم يناجه إلاّ علي بن أبي
طالب؛ قدّم ديناراً، فتصدّق به، ثمّ انزلت الرخصة. (٢)

حدّثني محمّد بن عمرو، قال: حدّثنا أبوعاصم، قال: حدّثنا عيسى.

وحدّثني الحارث، قال: حدّثنا الحسن، قال: حدّثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح:

عن مجاهد، في قوله: (فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً)، قال: نهوا عن مناجات
النبي صلّى الله عليه وآله حتّى يتصدّقوا، فلم يناجه إلاّ علي بن أبي طالب؛ قدّم ديناراً، فتصدّق به. ثمّ
أنزلت الرخصة في ذلك. (١)

وأخرج الحاكم في تفسير سورة المجادلة:

عن أميرالمؤمنين عليه السلام، قال: إن في كتاب الله آية ما عمل بها أحد ولا يعمل أحد بعدي:
آية النجوى: (يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً...)
الآية.

(١) المصدر ١٤ / الجزء ٢٠/٢٨.

(٢) المصدر ١٤ / الجزء ٢٠/٢٨.

قال: كان عندي دينار، فبعته بعشرة دراهم فنجيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كنت كلما
ناجيت النبي قَدِّمت بين يدي نجواي درهماً، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد، فنزلت: (ءَ أَشْفَقْتُمْ أَنْ
تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ) الآية.

ثم قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»^(٢)

و لم يتعقبه الذهبي بشيء.

ورواه السيوطي في «الدر المنثور» عن الحاكم أيضاً، وعن سعيد بن منصور، وابن راهويه، وابن

أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.^(٣)

و قال السيوطي: «أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد، قال: نهوا عن

مناجاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى يقدموا صدقة، فلم يناجيه إلا على ابن أبي طالب، فإنه قد

قدّم ديناراً فتصدّق به، ثم ناجى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عن عشر خصال، ثم نزلت

الرخصة»^(٤)

ثم نقل عن ابن عمر ما نقله العلامة.

وروى ابن الجوزي:

أخبرنا علي بن أبي عمر، قال: أنبأ علي بن أبوب، قال: أنبأ أبو علي بن شاذان، قال: أنبأ أحمد بن

إسحاق بن نِيخَاب، قال: أنبأنا محمد بن أحمد بن أبي العوّام، قال: أنبأنا سعيد بن سليمان، قال: أنبأنا

أبوشهاب، عن ليث، عن مجاهد، قال: قال علي بن أبي طالب:

(١) تفسير الطبري ١٤ / الجزء ٢٨ / ١٩ - ٢٠.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٥٢٤/٢.

(٣) الدر المنثور ٨/٨٤.

(٤) الدر المنثور ٨/٨٤.

آية في كتاب الله - عزّ وجلّ - ما عمل بها أحد من الناس غيري: آية النجوى. كان لي دينار، فبعته بعشرة دراهم، فكلمّا أردت أن اناجي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم تصدّقت بدرهم، فما عمل بها أحد قبلي ولا بعدي.^(١)

ثم إن ابن تيميّة لم ينكر تصدّق الإمام ومناجاته فقال:

«أمّا الذي ثبت فهو إنّ عليّاً رضي الله عنه تصدّق وناجى ثم نسخت الآية قبل أن يعمل بها غيره» لكنّ قوله: «نسخت قبل أن يعمل بها غيره» باطل، إذ أشفق القوم من التصدّق ولم يكن أحدٌ منهم بصدد العمل بالآية حتى يقال: قبل أن يعمل بها غيره.

ثم قال في مقام الدفاع عن القوم: «لكنّ الآية لم توجب الصدقة عليهم، لكن أمرهم إذا ناجوا أن تصدّقوا...» لكنّهم كانوا يتناجون مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم على الدوام، فلما نزل الأمر بالتصدّق قبل المناجاة أمسكوا عنها لئلا يتصدّقوا، ولذا جاء في الآية: أنّ الله تاب عليهم. فالآية صريحة في الذمّ لهم والطعن فيهم.

وأما قوله: «ولا يمكن أن يشهد على الخلفاء أنهم كانوا من هذا الضرب، ولا يعلم أنهم كانوا ثلاثتهم حاضرين عند نزول هذه الآية، بل يمكن غيبة بعضهم...» فمحاولة أخرى للدفاع عن خصوص الثلاثة، وهكذا يزعمون في نظائر المورد، كزعمهم غيبتهم لما أتى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم بطعام ليأكله فدعا الله قائلاً: اللهم ائتني بأحبّ خلقك إليك وإلى يأكل معي من هذا الطائر،

(١) نواسخ القرآن: ٢٣٥.

فجاء علي فأكل معه»^(١) فكان هو أحبّ الخلق إلى الله ورسوله دون غيره من الصحابة... لكنّ القوم كانوا حاضرين، وقد جاء ذلك في الصحيح عند النسائي^(٢)

وأما الأحاديث التي ذكرها ابن تيمية في استحباب التصدّق، فإطّنا ب لوجه له، إذ عرفت من الآية المباركة ذمّ القوم، وأنّ الله تاب عليهم ولفظ «التوبة» ظاهر في وجوب التصدّق عليهم.

ولولا دلالة القضية على الذمّ لما انبرى ابن تيمية للدفاع عن أبي بكر وغيره، بذكر بعض الأحاديث المكذوبة... كقوله: وفي الترمذي مرفوعاً: «لا ينبغي لقوم فيهم أبوبكر أن يؤمّهم غيره»، هذا الحديث الذي لم يجدوا بداً من التصريح ببطالانه.^(٣)

و من الباطل أيضاً قوله: «ولم يطل زمان عدم نسخ الآية»، لأنّه لو كان كذلك لما ورد الذمّ عليهم.

وقال الرازي:

«أقول: على تقدير أن أفاضل الصحابة وجدوا الوقت وما فعلوا ذلك، فهذا لم يجزّ إليهم طعناً؛ لأنّ ذلك الإقدام على هذا العمل ممّا يضيّق قلب الفقير، فإنّه لا يقدر على فعله فيضيّق قلبه ويوحش قلب الغنيّ، فإنّه لمّا لم يفعل الغنيّ ذلك وفعله غيره، صار ذلك الفعل سبباً للطعن في من لم يفعل، فهذا الفعل لمّا كان سبباً لحزن الفقراء ووحشة الأغنياء، لم يكن في تركه كبير مضرّة؛ لأنّ الذي يكون سبباً للألفة أولى ممّا يكون سبباً للوحشة.

(١) منهاج السنة ٧ / ١٦١.

(٢) سنن النسائي ٧ / ٤١٠ ح ٨٣٤١.

(٣) تفسير الرازي ٢٩ / ٢٧٣ - ٢٧٤.

وأيضاً: فهذه المناجاة ليست من الواجبات، ولا من الطاعات المندوبة، بل قد بيّنا أنّهم إنّما كلفوا بهذه الصدقة لتركوا هذه المناجاة، ولما كان الأولى بهذه المناجاة أن تكون متروكة، لم يكن تركها سبباً للطعن.

وأما قوله: (وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ)، فليس في الآية أنّه تاب عليكم من هذا التقصير، بل يحتمل أنّكم إذا تائبين راجعين إلى الله سبحانه وأقمتم الصلوة وأتيتم الزكاة، فقد كفاكم هذا التكليف.^(١) و لا يخفى ما فيه:

فإنّ قوله: «على تقدير أن أفضل الصحابة وجدوا الوقت وما فعلوا ذلك... فإنّ هذا الفعل لما كان سبباً...» ردّ على الله في أمره بالتصدّق...

و قوله: «و لما كان الاولى بهذه المناجاة أن تكون متروكة لم يكن تركها سبباً للطعن» طعن في أمير المؤمنين في سبيل رفع الطعن على الصحابة!!

و قوله: «وأما قوله: «و تاب الله عليكم» فليس في الآية أنه تاب عليكم في هذا التقصير بل يحتمل...» فتفسير لكلام الله بالرأي، وحكم من فسّر القرآن برأيه معلوم.

و كلّ هذا السعي للتقليل من شأن هذه الفضيلة ولدفع الطعن على الشيخين غيرهما من الصحابة...!!

و قد بلغ كلام الرازي من الفظاعة والشناعة حدّاً جعل النيسابوري المفسّر يعترض عليه بشدة ويقول:

«قلت: هذا الكلام لا يخلو عن تعصّب ما، ومن أين يلزمنا أن نثبت مفضوليّة علي رضي الله عنه في كلّ خصلة؟ ولم لا يجوز أن يحصل له فضيلة لم توجد لغيره من أكابر الصحابة؟ فقد روي عن ابن

(١) تفسير الرازي ٢٩/٢٧٣-٢٧٤.

عمر: كان لعلي رضي الله عنه ثلاث لو كانت لي واحدة منهم كانت أحب من حمر النعم: تزويجه فاطمة رضي الله عنها، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى.

وهل يقول منصف أن مناجاة النبي صلى الله عليه وسلم تقيصة؟ على أندلم يرد في الآية نهى عن المناجاة، وإنما ورد تقديم الصدقة على المناجاة، فمن عمل بالآية حصل له الفضيلة من جهتين: سدّ خلّة بعض الفقراء، ومن جهة محبة نجوى الرسول صلى الله عليه وسلم، ففيها القرب منه وحلّ المسائل العويصة وإظهار أنّ نجواه أحب إلى المناجي من المال»^(١)

(١) غرائب القرآن، هامش الطبري، ٢٨ / ٢٥.

البرهان التاسع عشر

قوله تعالى: (وَسئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ

آلِهَةً يُعْبَدُونَ)

قال ابن عبدالبر - وأخرجه أبو نعيم أيضاً - قال: إن النبي صَلَّى الله عليه وآله ليلة أسري به، جمع

الله تعالى بينه وبين الأنبياء عليهم السلام ثم قال له: سلهم يا محمد، على ماذا بعثتم؟ فقالوا: بعثنا

على شهادة أن لا إله إلا الله وعلى الإقرار بنبوتك والولاية لعلي بن أبي طالب.

و هذا تصريح بثبوت الإمامة لعلي عليه السلام.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة في هذا وأمثاله بالصحة، وقولنا في هذا الكذب القبيح وأمثاله: المطالبة

بالصحة، ليس بشك منّا في أن هذا وأمثاله من أسمع الكذب وأقبحه، لكن على طريق التنزيل في

المناظرة، وأن هذا لو يعلم أنه كذب لم يجز أن يحتج به حتى يثبت صدقه؛ فإن الاستدلال بما لا تعلم

صحته لا يجوز بالاتفاق، فإنه قول بلا علم، وهو حرام بالكتاب والسنة والإجماع.

الوجه الثاني: أن مثل هذا مما اتفق أهل العلم على أنه كذب موضوع

الوجه الثالث: أن هذا مما يعلم من له علم ودين أنه من الكذب الباطل الذي لا يصدق به من له

عقل ودين، وإنما يختلق مثل هذا أهل الوقاحة والجرأة في الكذب، فإن الرسل صلوات الله عليهم

كيف يسئلون عمّا لا يدخل في أصل الإيمان؟

و قد أجمع المسلمون على أن الرجل لو آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وأطاعه، مات في حياته قبل أن يعلم أن الله خلق أبابكر وعمر وعثمان وعلياً لم يضره ذلك شيئاً، ولم يمنعه ذلك من دخول الجنة. فإذا كان هذا في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فكيف يقال: إن الأنبياء يجب عليهم الإيمان بواحد من الصحابة؟!

والله تعالى قد أخذ الميثاق عليهم لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به لينصرنّه هكذا قال ابن عباس وغيره. كما قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ (إلى قوله: (أَقْرَزْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَزْنَا قَالَ فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين)

فأما الإيمان بتفصيل ما بعث به محمد، فلم يؤخذ عليهم، فكيف يؤخذ عليهم موالاة واحد من الصحابة دون غيره من المؤمنين؟

الرابع: أن لفظ الآية: (وَسئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ) ليس في هذا سؤال لهم بماذا بعثوا؟

الخامس: أن قول القائل: إنهم بعثوا بهذه الثلاثة، إن أراد أنهم لم يبعثوا إلاّ بها، فهذا كذب على الرسل. وإن أراد أنها أصول ما بعثوا به، فهذا أيضاً كذب؛ فإن أصول الدين التي بعثوا بها: من الإيمان بالله واليوم الآخر، وأصول الشرائع، أهم عندهم من ذكر الإيمان بواحد من أصحاب نبيّ غيرهم، بل ومن الإقرار بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الإقرار بمحمد يجب عليهم مجملاً، كما يجب علينا نحن الإقرار بنبوتهم مجملاً، لكن من أدركه منهم وجب عليه الإيمان بشرعه على التفصيل كما يجب علينا. وأما الإيمان بشرائع الأنبياء على التفصيل، فهو واجب على أممهم، فكيف يتركون ذكر ما هو واجب على أممهم ويذكرون ما ليس هو الأوجب؟

الوجه السادس: أن ليلة الإسراء كانت بمكة قبل الهجرة بمدة. قيل: إنها سنة ونصف. وقيل: إنها خمس سنين. وقيل غير ذلك. وكان على صغيراً ليلة المعراج، لم يحصل له هجرة، ولا جهاد، ولا أمر يوجب أن يذكره به الأنبياء. والأنبياء لم يكن يذكر على في كتبهم أصلاً، وهذه كتب الأنبياء الموجودة التي أخرج الناس ما فيها من ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، ليس في شيء منها ذكر على، بل ذكروا أن في التابوت الذي كان فيه عند المقوقس صور الأنبياء صورة أبي بكر وعمر مع صورة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه بها يقيم الله أمره. وهؤلاء الذين أسلموا من أهل الكتاب لم يذكر أحد منهم أنه ذكر على عندهم، فكيف يجوز أن يقال: إن كلاً من الأنبياء بعثوا بالإقرار بولاية على، ولم يذكروا ذلك لأممهم ولا نقله أحد منهم؟

أقول:

هذا الحديث مروى في كثير من كتب القوم بالأسانيد، عن عبدالله بن مسعود وعبدالله بن

عباس:

رواه الحاكم، قال:

«حدثنا أبو الحسن محمد بن المظفر الحافظ، قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن غزوان، قال: ثنا

علي بن جابر، قال: ثنا محمد بن خالد بن عبدالله، قال: ثنا محمد بن فضيل، قال: ثنا محمد بن

سوقة، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبدالله، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا عبدالله! أتاني ملك يقول: يا محمد! (وَسئَلُ مَنْ

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا) على ما بعثوا؟ قال: قلت: على ما بعثوا؟ قال: على ولايتك وولاية على

بن أبي طالب.

قال الحاكم: تفرد به علي بن جابر، عن محمد بن خالد، عن محمد بن فضيل، ولم نكتبه إلا عن ابن المظفر، وهو عندنا حافظ ثقة مأمون»^(١)

فالآية باقية على ظاهرها، والنبى صلى الله عليه وآله وسلم سأل، وكان الجواب: بعث الأنبياء على ولايته وولاية عليٍّ عليهما وعلى ألهما الصلاة والسلام.
ورواه الثعلبي، قال:

«أخبرنا الحسين بن محمد الدينوري، حدثنا أبو الفتح محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين الأزدي الموصلي، حدثنا عبد الله بن محمد بن غزوان البغدادي، حدثنا علي بن جابر، حدثنا محمد بن خالد بن عبد الله ومحمد بن إسماعيل، قالوا: حدثنا محمد بن فضيل، عن محمد بن سوقة، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: أتاني ملك يقال: يا محمد...»^(٢)

ورواه ابن عساكر، قال:

«أخبرنا أبو سعد بن أبي صالح الكرمانى وأبو الحسن مكّي بن أبي طالب الهمداني، قالوا: أنبأنا أبو بكر بن خلف، أنبأنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ، حدثني محمد بن مظفر الحافظ...» إلى آخر ما تقدّم عن الحاكم.^(٣)

ورواه الحافظ أبو نعيم الأصفهاني، كما في كتاب تنزيه الشريعة عن الحافظ ابن حجر، وفي غير واحد من كتب أصحابنا أنه روى بإسناده في هذه الآية، أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة أسري

(١) معرفة علوم الحديث: ٩٦.

(٢) الكشف والبيان ٨ / ٣٣٧ - ٣٣٨.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ٢٤١.

به، جمع الله تعالى بينه وبين الأنبياء، ثم قال: سلهم يا محمد! على ماذا بعثتم؟ فقالوا: بعثنا على

شهادة أن لا إله إلا الله، وعلى الإقرار بنبوتك، والولاية لعلّي بن أبي طالب.^(١)

ورواه الحافظ ابن حجر العسقلاني من جهة الحاكم، قال: ورواه أبو نعيم؛ وستأتي عبارة ابن حجر.

ورواه الحافظ ابن عبد البر القرطبي، على ما نقل عنه العلامة الحلّي،^(٢) والشيخ يحيى بن

البطريق^(٣)

ورواه الحاكم الحسكاني، قال: «حدّثنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ، قال: حدّثنا محمد بن

المظفر...» إلى آخر ما تقدّم...

قال: «وأخبرناه أبو عثمان الحيري من أصله العتيق، قال: حدّثنا أبو الحسين محمد بن المظفر...

سواءً لفظاً، ولم يذكر علقمة في الإسناد».

«حدّثني أبو الحسن الفارسي، حدّثنا عمر بن أحمد، حدّثنا علي بن الحسين بن سفيان الكوفي،

حدّثنا جعفر بن محمد أبو عبد الله الحسني، حدّثنا علي بن إبراهيم العطار، حدّثنا عبّاد، عن محمد بن

فضيل، عن محمد بن سوقة»

قال: «وحدّثنا أبو سهل سعيد بن محمد، حدّثنا علي بن أحمد الكرمانی، حدّثنا أحمد بن عثمان

الحافظ، حدّثنا عبيد بن كثير، حدّثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، حدّثنا ابن فضيل، عن محمد بن

سوقة، عن إبراهيم، عن علقمة والأسود، عن ابن مسعود، قال: قال لي رسول الله

صلّى الله عليه [وآله] وسلّم:

(١) الطرائف في معرفة الطوائف ١ / ١٠١، البرهان في تفسير القرآن ٤ / ٧٨١، غاية المرام ٣ / ٥٥،

خصائص الوحي المبين: ١٥٣.

(٢) منهاج الكرامة في معرفة الإمامة: ١٥٦.

(٣) العمدة لابن البطريق: ٣٥٢ / ٦٨٠.

لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، إِذَا مَلِكٌ قَدْ أَتَانِي فَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ! سَلْ مِنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ
رَسَلْنَا عَلَى مَا بَعَثُوا. قُلْتُ: مَعَاشِرَ الرُّسُلِ وَالنَّبِيِّينَ عَلَى مَا بَعَثَكُمْ اللَّهُ؟ قَالُوا: عَلَى وِلَايَتِكَ - يَا مُحَمَّدُ -
وَوِلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ...

ورواه غير علي، عن محمد بن خالد الواسطي. وتابعه محمد بن إسماعيل...

أخبرني الحاكم أبو عبدالله، حدّثني أبوسعيد أحمد بن محمد بن رميح النسوي، حدّثنا أبو محمد
الحسن بن عثمان الأهوازي، حدّثنا محمد بن خالد بن عبدالله الواسطي، حدّثنا محمد بن فضيل،
حدّثنا محمد بن سوقة، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عبدالله، قال: قال لي النبي... به لفظاً سواً»^(١)
ورواه الموفق بن أحمد المكي، قال:

«وأخبرني شهردار - إجازة - ، أخبرني أحمد بن خلف - إجازة - حدّثني محمد بن المظفر الحافظ،
حدّثنا عبدالله بن محمد بن غزوان، حدّثنا علي بن جابر...» إلى آخر ما تقدّم سواء.^(٢)

ورواه الحموي، عن شهردار بن شيرويه الحافظ، عن أحمد بن خلف، عن الحاكم، عن ابن
المظفر الحافظ... كما تقدّم سواء^(٣)

ورواه أبو عبدالله الكنجي، قال:

«قرأت على الحافظ أبي عبدالله ابن النجار، قلت له: قرأت على المفتي أبي بكر القاسم بن
عبدالله بن عمر الصّفّار، قال: أخبرتنا الحرّة عائشة بنت أحمد الصّفّار، أخبرنا أحمد بن علي الشيرازي،

(١) شواهد التنزيل ٢ / ١٥٦ - ١٥٨.

(٢) المناقب للخوارزمي: ٣١٢ / ٣١٢. والظاهر سقوط الحاكم بين أبي خلف وابن المظفر.

(٣) فرائد السمطين ١ / ٨١.

أخبرنا الإمام الحافظ أبو عبد الله النيسابوري: حدّثني محمّد ابن المظفر الحافظ...» إلى آخر ما تقدّم
سواء. (١)

أقول:

هذا في الحديث عن ابن مسعود....

و هو أيضاً عن عبد الله بن عبّاس:

قال القندوزي الحنفي: «أيضاً، رواه الديلمي، عن ابن عبّاس، رضي الله عنهما» (٢)

و هو أيضاً عن أبي هريرة:

قال شهاب الدين أحمد الخنجي: «عن أبي هريرة، قال:

رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: لما أسري بي ليلة المعراج، فاجتمع على الأنبياء، فأوحى الله

إليّ: سلّمهم يا محمّد! بماذا بعثتم؟ قالوا: بعثنا على شهادة أن لا إله إلاّ الله، وعلى الإقرار بنبوتك،

والولاية لعلّى بن أبي طالب.

أورده الشيخ المرتضى، العارف الربّاني، السيّد شرف الدين عليّ الهمداني في بعض تصانيفه،

وقال: رواه الحافظ أبو نعيم» (٣)

أقول:

هذا، وهو مروى عند أصحابنا بأسانيد هم المتكثّرة عن أمير المؤمنين وأبنائه الطاهرين عليهم

الصّلاة والسّلام. (١)

(١) كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب: ٧٥.

(٢) ينابيع المودّة ١ / ٢٤٤.

(٣) توضيح الدلائل على تصحيح الفضائل - مخطوط.

و تلخص:

إنّ الصحيح في الآية المباركة إبقاؤها على ظاهرها، وتفسيرها بهذا الحديث المروي في كتب الفريقين عن أمير المؤمنين وعدّة من الأصحاب، عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم...

والأشهر من بين الأحاديث في الباب هو حديث عبدالله بن مسعود؛ فقد ورد في كتب كثيرة من أهل السنّة، ولهم به أسانيد عديدة، وفي الرواة عدّة من أعلام الحفاظ، والأئمّة الثقات.

يقول ابن تيميّة: «إنّ مثل هذا ممّا اتفق أهل العلم على أنّه كذب موضوع»...

وليت شعري! فلماذا اتفق هذا الجمع من الحفاظ والمحدثين على روايته؟!

ثمّ يقول ابن تيميّة: «إنّ هذا ممّا يعلم من له علم ودين أنّه من الكذب الباطل الذي لا يصدّق به

من له عقل ودين، وإنّما يختلق مثل هذا أهل الوقاحة والجرأة في الكذب»

وليت شعري! هل كان هؤلاء الأئمّة الرواة لهذا الحديث عالمين بحاله ومع ذلك روه، أو كانوا

جاهلين، ومع ذلك يعدّون في كبار أئمّة الحديث وحفاظه؟!

ثمّ إنّي لم أجد هذا الحديث في الموضوعات لابن الجوزي، ولا في كتاب العلل المتناهية له.

نعم، أورد ابن عرّاق حديث ابن مسعود في تنزيه الشريعة المرفوعة، ومحصل كلامه ثبوت

الحديث لا سقوطه، وهذا نصّ ما قال:

«حديث: ابن مسعود، قال لي رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: يا عبدالله! أتاني ملك

فقال: يا محمّد! سل من أرسلنا قبلك من رسلنا على ماذا بعثوا؟ قلت: على ما بعثوا؟ قال: على ولايتك

وولاية عليّ بن أبي طالب. (٢)

(١) كنز الدقائق في تفسير القرآن ٩ / ٣٤٤ - ٣٤٥.

(٢) هذا رمز للحاكم، كما ذكر في أول الكتاب أيضاً.

قلت: ولم يبيّن علته.

و قد أورده الحافظ ابن حجر في زهر الفردوس^(١) من جهة الحاكم، ثم قال: ورواه أبو نعيم وقال:

تفرّد به علي بن جابر، عن محمّد بن فضيل. انتهى.

أقول:

ظهر من هذا الكلام رواية ثلاثة من أئمة الحفاظ هذا الحديث، بإسنادهم عن عبد الله بن مسعود،

من غير أن يبيّنوا علّة له....

أمّا الحاكم، فقد تقدّم نصّ روايته للحديث، وهو في مقام ذكر شاهد لنوع من أنواع الحديث، فهو

غير معلول عنده، بل هو حديث معتبرٌ يذكر لقاعدة علميّة في كتاب علمي.

وأما أبو نعيم، فقد روى هذا الحديث، وهو يناسب ذكره في كتاب دلائل النبوة لرسول الله

صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأنها كانت ثابتةً له منذ القرون السابقة، وفي زمن الأنبياء الماضين، حتّى

كان عليهم أن يدعوا الناس إلى نبوته ويبشّروا أممهم ببعثته، إلاّ أنا لم نجده فيه.

وأما ابن حجر العسقلاني، فقد أورد هذا الحديث ضمن أحاديث منتخبة من كتاب الفردوس،

وأضاف إليه رواية الحاكم، وأبي نعيم.

فظهر إلى هنا من كلام ابن عراق اعتبار هذا الحديث عند القوم.

لكن ابن عراق قال في آخر الكلام: «و علي بن جابر ما عرفته».

أقول:

(١) وهو مختصر كتاب فردوس الاخبار للدليمي، أورد فيه ما استجوده من أخباره، كما له كتاب تسديد القوس في

فانتهى القدح في سند الحديث عن ابن مسعود إلى أنّ ابن عزّاق لم يعرف «علي ابن جابر»، وإذا كان الأمر هكذا فهو سهلٌ جدًّا؛ لأنّ أكابر الائمة الحفّاظ من المتقدمين قد عرفوا هذا الرجل، ولم يذكروه بجرح....

و ممّا يؤكّد ذلك، قول غير واحد منهم - كالحاكم وأبي نعيم - بعد روايته: «تفرّد به علي بن جابر، عن محمّد بن فضيل» فإنّه ظاهر في توثيقهم للرجلين، وإلّا لطعنوا فيه قبل أن يقولوا: «تفرّد به...» على أنّه يظهر من روايات الحاكم الحسكاني متابعة غير علي بن جابر له في رواية الحديث عن محمّد بن فضيل.

وأما «محمّد بن فضيل»، فلم يتكلّم فيه أحدٌ بل لايجوز عندهم ذلك، لكونه من رجال الكتب الستّة، قال الحافظ ابن حجر: «محمّد بن فضيل بن غزوان، - بفتح المعجّة و سكون الزاي - الضبّي، مولاهم، أبو عبد الرحمن، الكوفي، صدوق عارف، رمي بالتشيع، من التاسعة. مات سنة ٩٥.ع»^(١) هذا فيما يتعلّق بنصّ الحديث في رواية القوم، وبالنظر إلى أسناده في الكتب. ثمّ نقول:

ظاهر هذه الآية أنّها أمر من الله تعالى لرسوله أن يسأل المرسلين الذين أرسلوا إلى أممهم من قبله صلّى الله عليه وآله وسلّم....

فهذا أمرٌ من الله، والمأمور بالسؤال هو: النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، والمستؤلون هم: المرسلون السابقون، والسؤال: ما هو؟

فها هنا أسئلة:

كيف يسأل الرسل وقد ماتوا قبل؟!؟

(١) تقریب التهذيب ٢/٢٠٠، ع رمز الكتب الستّة.

و هل سألهم أُولًا؟!!!

وعلى الأول، فما كان السؤال؟! وما كان جوابهم؟!!

وهذا الموضوع من المواضع التي اضطرت فيها كلمات القوم فيه بشدة:

يقول ابن الجوزي في تفسيره: «إن قيل: كيف يسأل الرسل وقد ماتوا قبله؟ فعنه ثلاثة أجوبة:

أحدها: إنه لما أسري به، جمع له الأنبياء فصلّى بهم، ثم قال له جبريل: (وَسئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا

مِنْ قَبْلِكَ) الآية... فقال: لأسأل، قد اكتفيت... .

رواه عطاء، عن ابن عباس، وهذا قول سعيد بن جبير، والزهري، وابن زيد؛ قالوا: جمع له الرسل

ليلة أسري به فلقبهم، وأمر أن يسألهم، فما شك ولا سأل.

والثاني: إن المراد: أسأل مؤمني أهل الكتاب من الذين أرسلت إليهم الأنبياء... .

روي عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، في آخرين. قال ابن

الأنباري: والمعنى: سل أتباع من أرسلنا قبلك، كما تقول: السخاء حاتم، أي: سخاء حاتم، والشعر

زهير. أي: شعر زهير. وعند المفسرين إنه لم يسأل على القولين. وقال الزجاج: هذا سؤال تقرير، فإذا

سأل جميع الأمم لم يأتوا بأن في كتبهم: أن اعبدوا غيري.

والثالث: إن المراد بخطاب النبي صلى الله عليه [وأله] وسلم: خطاب أمته، فيكون المعنى:

سلوا. قاله الزجاج»

هذا تمام ما ذكره ابن الجوزي.^(١)

أقول:

(١) زاد المسير ٧ / ٣١٩ - ٣٢٠.

فهذه ثلاثة أجوبة - وتجدها في التفاسير الأخرى أيضاً - أولها حملٌ على ظاهر الآية؛ فهو جواب على الحقيقة، والتاليان حملٌ على خلاف الظاهر؛ فهما جوابان على المجاز... ولعلّ المختار عند ابن الجوزي - بقرينة التقديم في الذكر - هو الأول. واختار الآلوسي الجواب الثاني منها كما سيأتي، وعندهم أجوبةٌ أخرى على المجاز، وهي باختصار:

١- إنّ الخطاب للنبيّ، والسؤال مجاز عن النظر في أديانهم، هل جاءت عبادة الأوثان قطّ في ملّة من ملل الأنبياء؟!^(١) وهو الذي اختاره الزمخشري، وتبعه بعضهم كالنسفي، ثمّ قال الزمخشري: «وكفاه نظراً وفحصاً نظره في كتاب الله المعجز المصدّق لما بين يديه، وإخبار الله فيه بأنّهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطاناً، وهذه الآية في نفسها كافية لا حاجة إلى غيرها»^(٢)

أقول: فلم أمر بالسؤال؟!

٢- إنّ الخطاب ليس للنبيّ، بل هو للسّامع الذي يريد أن يفحص عن الديانات، ف قيل له: إسأل أيّها الناظر أتباع الرسل، أ جاءت رسّلم بعبادة غير الله؟! فإنّهم يخبرونك أنّ ذلك لم يقع، ولا يمكن أن يأتوا به. واختاره أبو حيّان الأندلسي^(٣)

أقول - كما قال الآلوسي فيه: ولعمري إنّ خلاف الظاهر جدّاً.

٣- إنّ الخطاب للنبيّ، والسؤال على الحقيقة، لكنّ المسؤول هو الله تعالى، فالمعنى: واسألنا عن من أرسلنا... .

نقله أبو حيّان عن بعضهم واستبعده.

(١) تفسير الرازي ٢٧ / ٢١٦، البحر المحيط ٩ / ٣٧٧، روح المعاني ٢٥ / ٨٦.

(٢) الكشّاف ٥ / ٤٤٦. وانظر: تفسير النسفي ٢ / ٥٢٥ - ٥٢٦؛ فقد قال بالعبارة بعينها دون ذكر للزمخشري!

(٣) البحر المحيط ٩ / ٣٧٧.

و قال الآلوسى: «و ممّا يقضى منه العجب ما قيل...» ثمّ قال: «واسأل من قرأ أبا جاد أيرضى

بهذا الكلام ويستحسن تفسير كلام الله تعالى المجيد بذلك؟!»

أقول: لايرضى به قطعاً.

هذه نماذج من كلمات أئمة القوم.

ولا يخفى اضطراب القوم في تفسير الآية المباركة، إن أبقوها على ظاهرها، فبم يجيبون عن

الأسئلة؟!!

وإن أرادوا التخلّص من الجواب عنها، حملوا الآية على المجاز، وهو بابٌ واسع، و قد رأيت كيف

يردّ بعضهم على الآخر في ما اختار!

وابن كثير الدمشقي، لم يلتفت إلى شيء من هذه الأسئلة، فلم يبيّن المخاطب بالآية، ولا

السؤال، ولا المسؤول... وإنما قال:

«وقوله سبحانه وتعالى: (وَسئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا) أي: جميع الرسل دعوا إلى ما دعوت الناس إليه

من عبادة الله وحده لا شريك له، ونهوا عن عبادة الأصنام والأنداد; كقوله جلّت عظمتة: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا

فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاَ أَنْ اعبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) (١)

فهكذا فسّر الآية ليكون في فسحة من المشكلة وطلباً للراحة منها، ثمّ ذكر القولين الآتين.

و بعد...

فالمهمّ من هذه الأقوال كلّها قولان; ولذا لم يذكر غير واحد منهم - كابن كثير والشوكاني -

غيرهما:

أحدهما: إنّ المراد سؤال الأنبياء، لما أسري به عند ملاقاته لهم...

(١) تفسير القرآن العظيم ٧ / ٢٣٠.

قالوا: وهذا قول المتقدمين منهم، كسعيد بن جبير، والزهري، وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم؛ ورووا عن عطاء، عن ابن عباس: «فقال: لأسأل، قد اكتفيت».

والآخر: إنَّ المراد سؤاله الأمم، والمؤمنين من أهل الكتاب، من الذين أرسلت إليهم الأنبياء... . وهذا القول حكوه عن ابن عباس كذلك، وعن مجاهد وقتادة والضحاك والسدي، في آخرين، كما قال ابن الجوزي، واختاره ابن جرير الطبري، وكثير من المتأخرين - كاللوسي - بل في الوسيط للواحد^(١) وتفسير البغوي نسبه إلى أكثر المفسرين؛ قال البغوي: «يدل عليه قراءة عبدالله وأبي: وأسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا»^(٢)... لكنَّ ابن كثير قال: «وهذا كأنه تفسير لا تلاوة. والله أعلم»^(٣)

و هذان القولان هما الأوَّل والثاني من الأقوال الثلاثة التي ذكرها ابن الجوزي بتفسيره... فهل سأل صلى الله عليه وآله وسلّم أو لا؟! وعلى تقدير السؤال، فما كان الجواب؟! قال ابن الجوزي: «وعند المفسرين أنه لم يسأل، على القولين»^(٤)

أقول:

فلا جواب عندهم عن السؤال، أو أنّ هناك جواباً صحيحاً مطابقاً لظاهر الآية - ولا خروج فيه عن الحقيقة إلى المجاز - مشتملاً على جميع جوانب المسألة، ولكنهم لا يريدون التصريح به والإفصاح عنه؟!!

(١) الوسيط في تفسير القرآن ٤ / ٧٥.

(٢) معالم التنزيل ٥ / ١٢٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٧ / ٢٣٠.

(٤) زاد المسير ٧ / ٣٢٠.

إنّ هذا الموقف من ابن الجوزي وأمثاله ليذكّرنا موقفهم من حديث «الأئمة بعدي اثنا عشر، كلّهم من قريش»؛ إذ يشترقون ويغزّبون، ويختلفون ويضطربون... حتّى قال ابن الجوزي: «قد أطلت البحث عن معنى هذا الحديث وتطلّبت مظانّه سألت عنه، فلم أقع على المقصود»^(١)

و ما كلّ ذلك إلّا لأنّهم لا يريدون الاعتراف بالحقيقة.

والعجيب، أنّهم في تفسير الآية (وَسئَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا) يستدلّون بما يروون عن عبدالله بن مسعود من أنّه قرأها: «واسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا» ثمّ يتنازعون هل هو قراءة أو تفسير! ولا يعابون بحديث مسند مروّي عندهم عن عبدالله بن مسعود عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم، في معنى الآية المباركة!!

بل القائلون بالقول الأوّل - من هذين القولين - لا يستندون في قولهم إلى هذا الحديث، مع أنّهم بأشدّ الحاجة إليه في بيان معنى الآية وإثبات قولهم في تفسيرها!!
و ما كلّ ذلك إلّا لاشتماله على ولاية أمير المؤمنين!!
وتلخّص:

إنّ الحقّ هو القول الأوّل، وهو إبقاء الآية المباركة على ظاهرها، كما هو مقتضى أصالة الحقيقة، والأخبار الواردة تفسّرها بكلّ وضوح، لا سيّما حديث ابن مسعود.
و قد ظهر أنّ هذه الأخبار متّفق عليها بين الفريقين، وهي عن أمير المؤمنين، وعبدالله بن مسعود، وعبدالله بن العباس، وأبي هريرة.

(١) فتح الباري ١٣/١٨١.

هذا، وقد روى ابن مسعود عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم خبر الإسراء به، والتقاءه بالأنبياء، وصلاته بهم، وهو خبر طويل، أخرجه الطبراني، وأبو يعلى، والبزار، والحاكم^(١) وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح»

فأظنّ أنّ ما رواه الحاكم في كتابه علوم الحديث هو ذيل هذا الحديث الطويل، يتعلّق بالسؤال عمّا بعثوا، إلاّ أنّهم سكتوا عن روايته لاشتماله على الولاية لأُمير المؤمنين عليه السلام. فما قالوا من أنّه صَلَّى الله عليه وآله وسلّم: «لم يسأل، وقال اكتفيت» كذبٌ منهم عليه؛ إذ كيف يأمره الله عزّ وجلّ بالسؤال، فلم يسأل؟!

مضافاً إلى أنّه قد ورد في حديث: «فقدمني جبريل حتى صلّيت بين أيديهم وسألتهم فقالوا: بعثنا للتوحيد»^(٢)

فكان هناك سؤال وجواب!! ولكنّهم لا يريدون التصريح بذلك، ولا يريدون ذكر الجواب بصورة كاملة؛ ليشتمل على الولاية لعلّي!!
وكم له من نظير!!

و هذا أحد أساليبهم في إخفاء مناقب أمير المؤمنين وأهل البيت الكرام الطاهرين، الدالة على إمامتهم بعد الرسول الأمين عليه وآله أفضل الصلاة والسلام.

فانظر كيف يفترون على الله والرسول الكذب؟! إنكاراً لولاية أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام، (فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ).^(١)

والله أحكم الحاكمين... وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) كنز العمال ١١ / ٣٩٠ رقم ٣١٨٤١، مجمع الزوائد ١ / ٧٤.

(٢) كنز العمال ١١ / ٣٩٧ ح ٣١٨٥٢ عن ابن سعد، عن عدّة من الصحابة.

البرهان العشرون

قوله تعالى: (وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَاَعِيَةٌ).

في تفسير الثعلبي قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: سألت الله عزَّ وجلَّ أن يجعلها أذنك يا علي.

و من طريق أبي نعيم قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله:

«يا علي، إن الله عزَّ وجلَّ أمرني أن أذكرك وأعلمك لتعي، وأنزلت هذه الآية: (أُذُنٌ وَاَعِيَةٌ)، فأنت أذن واعية للعلم».

و هذه الفضيلة لم تحصل لغيره، فيكون هو الإمام.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: بيان صحة الإسناد. والثعلبي وأبو نعيم يرويان ما لا يحتج به بالإجماع.

الثاني: أن هذا موضوع باتفاق أهل العلم.

الثالث: أن قوله: (لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيهَا

أُذُنٌ وَاَعِيَةٌ) لم يرد به أذن واحد من الناس فقط، فإن هذا خطاب لبني آدم.

وحملهم في السفينة من أعظم الآيات. قال تعالى: (وَأَيُّ لَّهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِكِ

الْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ).

و قال: (أ لَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي

ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) فكيف يكون ذلك كله ليعي ذلك واحد من الناس؟

نعم، أذن على من الأذان الواعية، كأذن أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم. وحينئذ فلا اختصاص لعليّ بذلك. وهذا مما يعلم بالاضطرار: أن الأذان الواعية ليست أذن عليّ وحدها. أترى أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليست واعية؟ ولا أذن الحسن والحسين وعمّار وأبي ذر والمقداد وسلمان الفارسي وسهل بن حنيف وغيرهم ممن يوافقون عليّ فضيلتهم وإيمانهم؟

وإذا كانت الأذن الواعية له ولغيره، لم يجوز أن يقال: هذه الأفضلية لم تحصل لغيره.

ولا ريب أن هذا الرفض الجاهل الظالم يبني أمره على مقدمات باطلة؛ فإنه لا يعلم في طوائف أهل البدع أوهى من حجج الرافضة، بخلاف المعتزلة ونحوهم، فإن لهم حججاً وأدلةً قد تشبهت على كثير من أهل العلم والعقل، وأما الرافضة فليس لهم حجة قط تنفق إلا على جاهل أو ظالم صاحب هوى، يقبل ما يوافق هواه، سواء كان حقاً أو باطلاً.

ولهذا يقال فيهم: ليس لهم عقل ولا نقل، ولا دين صحيح، ولا دنيا منصوره.

و قالت طائفة من العلماء: لو علّق حكماً بأجهل الناس لتناول الرافضة، مثل أن يحلف: إني أبغض أجهل الناس، ونحو ذلك. وأما لو وصّى لأجهل الناس، فلا تصح الوصية، لأنها لا تكون إلاّ قرينة، فإذا وصّى لقوم يدخل فيهم الكافر جاز، بخلاف ما لو جعل الكفر والجهل جهة وشرطاً في الاستحقاق.

ثم الرفض يدعي في شيء أنه من فضائل عليّ، وقد لا يكون كذلك. ثم يدعي أن تلك الفضيلة ليست لغيره، وقد تكون من الفضائل المشتركة؛ فإن فضائل عليّ الثابتة عامتها مشتركة بينه وبين غيره، بخلاف فضائل أبي بكر وعمر، فإن عامتها خصائص لم يشاركا فيها. ثم يدعي أن تلك الفضيلة

توجب الإمامة، ومعلوم أن الفضيلة الجزئية في أمر من الأمور ليست مستلزمة للفضيلة المطلقة ولا للإمامة، ولا مختصة بالإمام، بل تثبت للإمام ولغيره، وللفاضل المطلق ولغيره. فبنى هذا الرافضي أمره على هذه المقدمات الثلاث، والثلاث باطلة. ثم يردفها بالمقدمة الرابعة، وتلك فيها نزاع، لكن نحن لا ننازعه فيها، بل نسلم أنه من كان أفضل كان أحق بالإمامة، لكن الرافضي لا حجة معه على ذلك.

أقول:

وقد روى هذا الحديث مشاهير أئمة الحديث والتفسير والتاريخ، ومنهم:

البلاذري

و سعيّد بن منصور

ومحمد بن جرير الطبري

وابن المنذر

وابن أبي حاتم

والثعلبي

وابن مردويه

وأبو نعيم

والزمخشري

والماوردي

والواحدي

والرازي

والقرطبي

والنيسابوري

وابن كثير

وأبوحيان

والسيوطي

وابن عساكر

والهيثمي

والضياء المقدسي

يقول ابن تيمية:

إنّ هذا موضوع باتّفاق أهل العلم

فإذا كان هؤلاء من «أهل العلم» فقد اتفقوا على رواية الحديث الموضوع!!

و بما ذكرنا ظهر أنه ليس خطاباً لبني آدم.

وظهر أيضاً أنّ هذه فضيلة اختصّ بها أميرالمؤمنين عليه الصّلاة والسّلام دون غيره من الصّحابة

مطلقاً.

وأما ما تفوّه به من السبّ والشتم، فلا نجيب عنه.

وقد اعترف بالتالي بأن «من كان أفضل كان أحق بالإمامة».

و دلالة الحديث على الأفضلية واضحة، وفي الدر المنثور عن الطبري وابن أبي حاتم وابن مردويه

وابن عساكر وابن النجار بأسانيدهم عن بريدة قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي: إِنَّ الله أمرني أن ادنيتك ولا أقصيتك، وأن أعلمك وتعي

وحق لك أن تعي. فنزلت الآية^(١)..

ويشهد بذلك أحاديث كثيرة، كقوله له:

أنت تبيّن لامتي من بعدي ما اختلفوا فيه^(٢)

(١) الدر المنثور ٨/٢٦٧.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣ / ١٣٢ وأخرجه غيره من الأعاضم.

البرهان الحادي والعشرون

سورة هل أتى

في تفسير الثعلبي من طرق مختلفة قال: مرض الحسن والحسين، فعادهما جدّهما رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وعمامة العرب، فقالوا له: يا أبا الحسن، لو نذرت على ولدك، فنذر صوم ثلاثة أيام، وكذا نذرت أمّهما فاطمة عليها السلام وجاريتهم فضّة، فبرءا، وليس عند آل محمد قليل ولا كثير، فاستقرض علي ثلاثة أصوع من شعير.

فقامت فاطمة عليها السلام إلى صاع، فطحنته واختبزت منه خمسة أقرص، لكل واحد منهم قرصاً.

وصلّى علي عليه السلام مع النبي صَلَّى الله عليه وآله المغرب. ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه، إذ أتاهم مسكين فوقف بالباب فقال: السّلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فسمعه علي عليه السلام فأمر بإعطائه، فأعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلهم لم يذوقوا شيئاً إلاّ الماء القراح. فلما أن كان اليوم الثاني، قامت فاطمة عليها السلام فاخترت صاعاً وصلّى علي عليه السلام مع النبي صَلَّى الله عليه وآله ثم أتى المنزل، فوضع الطعام بين يديه، فأتاهم يتيم فوقف بالباب قال: السّلام عليكم أهل بيت محمد، يتيم من أولاد المهاجرين، استشهد والدي يوم العقبة، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فسمعه علي عليه السلام فأمر بإعطائه، فأعطوه الطعام، ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا شيئاً إلاّ الماء القراح. فلما كان اليوم الثالث، قامت فاطمة إلى الصّاع الثالث فطحنته واختبزته، وصلّى علي مع النبي صَلَّى

الله عليه وآله ثم أتى المنزل فوضع الطعام بين يديه، إذ أتاهم أسير فوقف بالباب فقال: السّلام عليكم أهل بيت محمد، تأسروننا وتشدّوننا ولا تطعموننا؟ أطعموني فإني أسير محمد، أطعمكم الله على موائد الجنة! فسمعه علي فأمر بإعطائه فأعطوه الطعام.

ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح.

فلما كان اليوم الرابع وقد وفوا نذرهم، أخذ علي عليه السلام الحسن بيده اليمنى، والحسين بيده اليسرى، وأقبل على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُمْ يَرْتَعِشُونَ كَالْفَرَاخِ مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ، فلما بصر به النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، مَا أَشَدَّ مَا يَسُوءُنِي مَا أَرَى بِكُمْ! إِنِطْلُقْ بِنَا إِلَى مَنْزِلِ ابْنَتِي فَاطِمَةَ، فَانْطَلِقُوا إِلَيْهَا وَهِيَ فِي مَحْرَابِهَا قَدْ لَصِقَ ظَهْرُهَا بِبَطْنِهَا مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ وَغَارَتْ عَيْنَاهَا، فلما رآها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: وَاعِثَاهُ بِاللَّهِ، أَهْلُ بَيْتِ مُحَمَّدٍ يَمُوتُونَ جُوعاً!

فهبط جبرئيل عليه السلام على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، خذ ما هنالك الله في أهل بيتك. قال: وما آخذ يا جبرئيل؟ فأقرأه: (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا...).

وهي تدلّ على فضائل جمّة لم يسبق إليها أحد ولا يلحقها أحد، فيكون أفضل من غيره، فيكون هو الإمام.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بصحة النقل، ومجرد رواية الثعلبي والواحدي وأمثالهما لا يدل على أنه صحيح

باتفاق أهل السنّة والشيعة...

الثاني: إنّ هذا الحديث من الكذب الموضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث...

الوجه الثالث: إن الدلائل على كذب هذا كثيرة منها:

إن علياً إنما تزوّج بالمدينة... وسورة هل أتى مكية باتفاق أهل التفسير والنقل، لم يقل أحد منهم

إنها مدتية.

الوجه الرابع: إن سياق هذا الحديث وألفاظه من وضع جهّال الكذّابين، فمنه قوله: فعادهما

جدهما وعمّة العرب... ومنه قوله: «فقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرت على ولدك».

الوجه الخامس: إن في الصحيحين عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وسلّم أنه نهى عن النذر...

الوجه السادس: إن علياً وفاطمة لم يكن لهما جارية إسمها فضة.

الوجه السابع: إنه قد ثبت في الصحيح عن بعض الأنصار أنه أثر ضيفه بعشائهم ونوم الصبية

وبات وامراته طاويين، فأنزل الله سبحانه وتعالى: **(وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ**

خَصَاصَةٌ) وهذا المدح أعظم من المدح بقوله **(وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ...)**

الثامن: إن في هذه القصة ما لا ينبغي نسبته إلى علي وفاطمة، فإنه خلاف المأمور به في الشرع،

وهو إبقاء الأطفال ثلاثة أيام جياً ووصالهم ثلاثة أيام، ومثل هذا الجوع قديفسد العقل والبدن والدين،

وليس مثل هذا قصة الأنصاري، فإن ذلك بيّتهم ليلة واحدة بلا عشاء، وهذا قد يحتمله الصبيان

بخلاف ثلاثة أيام بلياليها.

التاسع: إن في هذه القصة أن اليتيم قال: استشهد والدي يوم العقبة. وهذا من الكذب الظاهر،

فإن ليلة العقبة لم يكن فيها قتال...

العاشر: أن يقال: إن النبي كان يكفي أولاد من قتل معه...

الحادي عشر: إنه لم يكن في المدينة قط أسير يسأل الناس...

الثاني عشر: إنه لو كانت هذه القصة صحيحة وهي في الفضائل، لم تستلزم أن يكون صاحبها أفضل الناس ولا أن يكون هو الإمام دون غيره...

الثالث عشر: إنه من المعلوم أن إنفاق الصديق أمواله أعظم وأحب إلى الله ورسوله... فإنه كان في أول الإسلام لتخليص من آمن والكفار يؤذونه أو يريدون قتله...

أقول:

سيتضح ممّا ذكره ما في هذا الكلام من الزور والكذب الذي لا يتفوه به أقلّ العوام:

أما أولاً: فإنّ هذا الحديث رواه كبار المحدثين والمفسرين، في الكتب المعتمدة المرجوع إليها

لدى المحققين، عن الصحابة والتابعين وعلى رأسهم أمير المؤمنين عليه السلام، ورووه عن:

عبدالله بن العباس

وزيد بن أرقم

و سعيد بن جبیر

والأصبغ بن نباتة

وقنبر مولى أمير المؤمنين.

والحسن

و مجاهد

وعطاء

وأبي صالح

وقتادة

والضحّاك.

هذا، والخبر مشهور برواية ابن عباس. رواه عنه: سعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك، وأبو صالح، وعطاء... وهؤلاء أئمة المفسرين عند القوم.

و من رواته من أكابر العلماء الأعلام في مختلف القرون، نكتفي بذكر جماعة منهم:

١- الحسين بن الحكم الحبري الكوفي، المتوفى سنة ٢٨٦، رواه في تفسيره.

٢- أبو جعفر الطبري، المتوفى سنة ٣١٠، على ما في كفاية الطالب في مناقب علي ابن أبي

طالب.

٣- ابن عبد ربّه القرطبي المالكي، المتوفى سنة ٣٢٨، في كتاب العقد، حيث ورد الحديث في

احتجاج المأمون، وسنذكره.

٤- سليمان بن أحمد الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠، كما في طريق الحافظ أبي نعيم والحافظ

الحسكاني.

٥ - أبو عبيد الله المرزباني، المتوفى سنة ٣٨٤، كما في طريق الحافظ الحسكاني.

٦ - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥، كما في طريق الحافظ الحسكاني، وفي

كفاية الطالب: رواه في مناقب فاطمة.

٧ - عبد الغني بن سعيد، المتوفى سنة ٤٠٩- والمترجم له في أغلب المصادر كما في هامش سير

أعلام النبلاء. وقال الذهبي: «و قد كان لعبد الغني جنازة عظيمة تحدّث بها الناس، ونودي أمامها:

هذا نافي الكذب عن رسول الله» - وقد رواه الحافظ الحسكاني، عن أبي نعيم، عنه...

٨ - أبو بكر ابن مردويه الإصفهاني، المتوفى سنة ٤١٠، رواه في تفسيره، كما في غير واحد من

الكتب كالدر المنثور.

٩ - أبو نعيم الإصفهاني، المتوفى سنة ٤٣٠، رواه في كتاب ما نزل في عليّ، وعنه غير واحد كالحافظ الحسكاني.

١٠ - أبو إسحاق الثعلبي، المتوفى سنة ٤٢٧، رواه في تفسيره الكبير.

١١ - أبو محمد الحسن بن علي الجوهري، المتوفى سنة ٤٥٤، رواه عنه الحافظ الحسكاني.

١٢ - عبيدالله بن عبدالله الحافظ المعروف بالحاكم الحسكاني، المتوفى سنة ٤٧٠، رواه في كتابه

شواهد التنزيل على قواعد التفضيل.

١٣ - الفقيه المحدث ابن المغازلي الشافعي الواسطي، المتوفى سنة ٤٨٣، رواه في كتابه مناقب

علي بن أبي طالب.

١٤ - أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، المتوفى سنة ٤٨١، رواه في تفسيره.

١٥ - أبو عبدالله الحميدي الحافظ، المتوفى سنة ٤٨٨، رواه في فوائده كما في كفاية الطالب.

١٦ - الحسين بن مسعود البغوي، المتوفى سنة ٥١٦، رواه في تفسيره.

١٧ - جار الله محمود بن عمر الزمخشري، المتوفى سنة ٦٣٨، رواه في تفسير الكشاف.

١٨ - أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي البغدادي، المتوفى سنة ٥٥٠، رواه عنه أبو الفرج ابن

الجوزي.

١٩ - الموفق بن أحمد الخطيب الخوارزمي المكي، المتوفى سنة ٥٦٨، رواه في مناقب

أمير المؤمنين.

٢٠ - أبو موسى المدني، المتوفى سنة ٥٨١، رواه في الذيل كما في كتاب أسد الغابة، وغيره.

٢١ - الفخر الرازي، المتوفى سنة ٦٠٦، رواه في تفسيره الكبير.

٢٢ - أبو عمرو ابن الصلاح، المتوفى سنة ٦٤٣، رواه كما في كفاية الطالب.

٢٣- الشيخ محمد بن طلحة الشافعي، المتوفى سنة ٦٥٢، رواه في كتابه مطالب السؤول في

مناقب آل الرسول.

٢٤- سبط ابن الجوزي، المتوفى ٦٥٤، رواه في كتابه تذكرة الخواص.

٢٥- أبو عبدالله الكنجي الشافعي، المقتول سنة ٦٥٨، رواه في كفاية الطالب في مناقب علي بن

أبي طالب.

٢٦- نظام الدين الأعرج النيسابوري، من أعلام العلماء في القرن السابع، في تفسيره المعروف.

٢٧- القاضي البيضاوي، المتوفى سنة ٦٨٥، في تفسيره الشهير.

٢٨- أبو العباس محب الدين الطبري المكي الشافعي، المتوفى سنة ٦٩٤، رواه في الرياض

النضرة.

٢٩- حافظ الدين النسفي، المتوفى سنة ٧٠١ أو ٧١٠، في تفسيره المعروف.

٣٠- أبو إسحاق الحموي شيخ الحافظ الذهبي المتوفى سنة ٧٢٢، رواه في كتابه فرائد

السمطين.

٣١- علاء الدين الخازن، المتوفى سنة ٧٤١، في تفسيره.

٣٢- القاضي عضد الدين الإيجي، المتوفى سنة ٧٥٦، في كتابه المواقف في علم الكلام.

٣٣- ابن حجر العسقلاني، الحافظ، المتوفى سنة ٨٥٢، في الإصابة بترجمة فضة.

٣٤- جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١، في تفسيره الدر المنثور.

٣٥- أبو السعود العمادي، المتوفى سنة ٩٨٢، في تفسيره المعروف.

٣٦- عبد الملك العصامي، المتوفى سنة ١١١١، في سمط النجوم العوالي.

٣٧- القاضي الشوكاني، المتوفى سنة ١١٧٣، في تفسيره فتح القدير.

٣٨- شهاب الدين الآلوسي، المتوفى سنة ١٢٧٠، في تفسيره الكبير روح المعاني.

و أما ثانياً، فهذا طرف من نصوص الخبر:

أما الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام، فهي عن الحافظ القاضي الحسكاني حيث قال:
«أخبرنا أحمد بن الوليد بن أحمد - بقراءتي عليه من أصله - قال: أخبرني أبي أبو العباس الواعظ،
حدّثنا أبو عبدالله محمد بن الفضل النحوي ببغداد، في جانب الرصافة، إملاء سنة ٣٣١، حدّثنا الحسن
بن علي بن زكريا البصري، حدّثنا الهيثم بن عبدالله الرماني، قال: حدّثني علي بن موسى الرضا،
حدّثني أبي موسى، عن أبيه جعفر ابن محمد، عن أبيه محمد، عن أبيه الحسين، عن أبيه علي بن أبي
طالب، قال:

لما مرض الحسن والحسين، عادهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي:
يا أبا الحسن! لو نذرت على ولديك لله نذراً أرجو أن ينفعهما الله به، فقلت: علي لله نذر لئن برئ حبيبي
من مرضهما لأصومن ثلاثة أيام، وقالت جاريتهم فضة: وعلي لله نذر لئن برئ سيدي من مرضهما
لأصومن ثلاثة أيام...» وذكر حديث إطعامهم المسكين واليتيم والأسير، قال: «فلما كان اليوم الرابع،
عمد علي والحسن والحسين يرعشان كما يرعش الفرخ، وفاطمة وفضة معهم، فلم يقدرُوا على المشي
من الضعف، فأتوا رسول الله، فقال: إلهي هؤلاء أهل بيتي يموتون جوعاً، فارحمهم يا ربّ واغفر لهم،
هؤلاء أهل بيتي فاحفظهم ولا تنسهم. فهبط جبرئيل وقال: يا محمد! إنّ الله يقرأ عليك السلام
ويقول: قد استجبت دعائك فيهم، وشكرت لهم، ورضيت عنهم، وأقرأ (إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ
كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا - إلهي قوله - كَانَ لَكُمْ جَزَاءٌ وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا)^(١)

أما الرواية عن ابن عباس، فهي المشهورة، كما ذكرنا من قبل، ومن ذلك:

(١) تفسير الجبري: ٣٢٦.

ما رواه الحبري: «حدّثنا حسن بن حسين، قال: حدّثنا حبان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس، في قوله: **(وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ...)** نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، أطلعهم عشاءه وأفطر على القراح»

والواحدي: «قال عطاء: عن ابن عباس، وذلك: أنّ علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أجر نفسه يسقي نخلا بشيء من شعير ليلة، حتى أصبح، فلما أصبح وقبض الشعير طحن ثلثه، فجعلوا منه شيئاً ليأكلوه يقال له الحريرة، فلما تمّ إنضاجه أتى مسكين، فأخرجوا إليه الطعام، ثمّ عمل الثلث الثاني، فلما تمّ إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه، ثمّ عمل الثلث الباقي، فلما تمّ إنضاجه أتى أسير من المشركين فسأل فأطعموه، وطووا يومهم ذلك. وهذا قول الحسن وقتادة^(١)»

و ابن مردويه: «حدّثني محمّد بن أحمد بن سالم، حدّثني إبراهيم بن أبي طالب النيسابوري، حدّثني محمّد بن النعمان بن شبل، حدّثني يحيى بن أبي روق الهمداني، عن أبيه، عن الضحّاك، عن ابن عباس...» فذكر الحديث، وفيه نزول الآية في أهل البيت عليهم السلام.^(٢)

و أبو نعيم: «أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني، أخبرنا بكر بن سهل الدميّطي، أخبرنا عبدالغني بن سعيد، عن موسى بن عبدالرحمن، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس، في قوله تعالى **(وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ)** قال: وذلك أنّ علي بن أبي طالب أجر نفسه ليسقي نخلا بشيء من شعير ليلة، حتّى أصبح وقبض الشعير طحن ثلثه، فجعلوا منه شيئاً ليأكلوه يقال له الحريرة، فلما تمّ إنضاجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام، ثمّ عملا الثلث الثاني، فلما تمّ إنضاجه أتى يتيم، فسأل

(١) التفسير البسيط ٤/١٠٤.

(٢) ورواه الخطيب الخوارزمي بسنده إلى ابن مردويه في المناقب.

فأطعموه، ثم عملا الثلث الباقي، فلما تمّ إنضاجه أتى يتيماً، فسأل فأطعموه، ثم عملا الثلث الباقي،

فلما تمّ إنضاجه أتى أسير من المشركين، فسأل فأطعموه. وطووا يومهم ذلك»^(١)

والبغوي: «أنبأنا أحمد بن إبراهيم الخوارزمي، أنبأنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم

الثعلبي، أنبأنا عبدالله بن حامد...» إلى آخره كما سنذكره في الكلام حول أسانيد الثعلبي.

وسبط ابن الجوزي: «أنبأنا أبو المجد محمد بن أبي المكارم القزويني بدمشق سنة ٦٤٢ - قال:

أنبأنا أبو منصور بن أسعد بن محمد العطار، أنبأنا الحسين بن مسعود البغوي...»^(٢) إلى آخره كما

تقدّم.

وابن المغازلي الواسطي: «أخبرنا أبو طاهر محمد بن علي بن محمد البيّح، أخبرنا أبو عبدالله أحمد

بن محمد بن عبدالله بن خالد الكاتب، حدّثنا أحمد بن جعفر بن محمد بن سلم الختلي، حدّثني عمر

بن أحمد، قال: قرأت على أمي فاطمة بنت محمد ابن شعيب بن أبي مدين الزيات، قالت: سمعت أباك

أحمد بن روح يقول: حدّثني موسى بن بهلول، حدّثنا محمد بن مروان، عن ليث بن أبي سليم، عن

طاووس في هذه الآية (وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ...): نزلت في علي بن أبي طالب، وذلك أنّهم صاموا

وفاطمة وخادمتهم، فلما كان عند الإفطار - وكانت عندهم ثلاثة أرغفة - قال: فجلسوا ليأكلوا، فأتاهم

سائل فقال: أطعموني فإنّي مسكين، فقام علي فأعطاه رغيّفه، ثمّ جاء سائل فقال: أطعموا اليتيم،

فأعطته فاطمة الرغيّف، ثمّ جاء سائل فقال: أطعموا الأسير، فقامت الخادمة فأعطته الرغيّف.

و باتوا ليلتهم طاوين، فشكر الله لهم، فأنزل فيهم هذه الآيات»^(٣)

(١) رواه الحاكم الحسكاني عن أبي نعيم، في شواهد التنزيل ٤٠٥/٢.

(٢) تذكرة خواصّ الأئمة: ٣١٣.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٧٢ - ٢٧٤.

والحمويني: رواه بأسانيد له عن عبدالله بن عبدالوهاب الخوارزمي، بسنده عن القاسم بن بهرام،

عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس... بطوله، المشتمل على الأشعار...^(١)

و أبو عبدالله الكنجي: رواه بالإسناد الآتي ذكره، عن الأصبع، باللفظ المشتمل على الأشعار

كذلك^(٢)

هذا، وستأتي في غضون البحث أسانيد أخرى.

وأما ثالثاً: فإن غير واحد من العلماء يصرّحون بشهرة هذا الخبر، وينسبون روايته إلى عموم

المفسرين:

قال القرطبي: «وقال أهل التفسير: نزلت في علي وفاطمة - رضي الله عنهما - وجارية لهما

اسمها فضة»^(٣)

وقال سبط ابن الجوزي «قال علماء التأويل: فيهم نزل...»^(٤)

وقال الآلوسي: «والخبر مشهور»^(٥)

بل لم يذكر بعضهم قولاً غيره:

كالنسفي، قال - بعد الآيات، حتى: (وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا)^(٦) «نزلت

في علي وفاطمة وفضة جارية لهما، لما مرض الحسن والحسين رضي الله عنهما، نذروا صوم ثلاثة

أيام، فاستقرض علي رضي الله عنه من يهودي ثلاثة أصوع من الشعير، فطحنته

(١) فرائد السمطين ٢ / ٥٣ - ٥٦.

(٢) كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ٣٤٥ - ٣٤٩.

(٣) تفسير القرطبي ١٩ / ١٢٠.

(٤) تذكرة خواص الأمة: ٣١٣.

(٥) روح المعاني ٢٩ / ١٥٧.

(٦) سورة الدهر ٧٦: ١١ - ١٢.

فأطمة رضي الله عنه لكلّ يوم صاعاً وخبزت، فأثروا بذلك ثلاث عشايا على أنفسهم مسكيناً ویتيماً
وأسيراً، ولم يذوقوا إلاّ الماء في وقت الإفطار»^(١)

وأما رابعاً: فإن بعض العلماء والشعراء نظموا هذه المنقبة العظيمة والفضيلة الكريمة في
أشعارهم، فمن ذلك:

قول السيّد الحميري:

ومن أنزل الرحمن فيهم (هَلْ أَتَى) *** لَمَّا تَصَدَّوْا لِلذُّورِ وِفَاءِ

من خمسة جبريل سادسهم وقد *** مدّ النبي على الجميع عباء

من ذا بخاتمه تصدّق راعياً *** فأثابه ذوالعرش منه ولاء

وقول أبي الفرج ابن الجوزي، قال سبطه: سمعت جدّي ينشد في مجالس وعظه ببغداد في سنة

٥٩٦ بيتين ذكرهما في كتاب تبصرة المبتدي وهما:

أهوى علياً وإيماني محبته *** كم مشرك دمه من سيفه وكفا

إن كنت ويحك لم تسمع فضائله *** فاسمع مناقبه من (هَلْ أَتَى) وكفى

وقول ابن طلحة الفقيه الشافعي:

هم العروة الوثقى لمعتصم بها *** مناقبهم جاءت بوحي وإنزال

مناقب في الشورى وسورة (هَلْ أَتَى) *** و في سورة الأحزاب يعرفها التالي

و هم أهل بيت المصطفى فودادهم *** على الناس مفروض بحكم وإسجال

وقول آخر:

إلى مَ إلى مَ وحتى متى *** أعاتب في حبّ هذا الفتى

(١) تفسير النسفي بهامش تفسير الخازن ٣٤٨/٤.

و هل زوّجت غيره فاطمة *** و في غيره هل أتى (هل أتى)

وأما خامساً:

فهنا فوائد لا بأس بالتعرّض لها:

الأولى:

روى ابن عبدربه القرطبي المالكي المتوفى سنة ٣٢٨- خيراً طويلاً في احتجاج المأمون العباسي

على أربعين فقيهاً في مسألة المفاضلة، وكان من جملة ما احتجّ به المأمون عليهم: نزول سورة (هل

أتى) في أميرالمؤمنين عليه السلام، وذلك أنه قال من كان يخاطبه منهم - وهو الراوي للخبر - :

«يا إسحاق! هل تقرأ القرآن؟!»

قلت: نعم:

قال: اقرأ علي (هل أتى على الأنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً)

فقرأت منها حتى بلغت: (يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً) إلى قوله: (ويطعمون

الطعام على حبه مسكيناً ويَتِيمًا وَأَسِيرًا).

قال: على رسلك، في من أنزلت هذه الآيات؟

قلت: في عليّ.

قال: فهل بلغك أنّ عليّاً حين أطعم المسكين واليتيم والأسير قال: إنّما نطعمك لوجه الله؟!

وهل سمعت الله وصف في كتابه أحداً بمثل ما وصف به عليّاً؟

قلت: لا.

قال: صدقت، لأنّ الله جلّ ثناؤه عرف سيرته.

يا إسحاق! ألسنت تشهد أنّ العشرة في الجنة؟!

قلت: بلى يا أمير المؤمنين.

قال: أرايت لو أنّ رجلاً قال: والله ما أدري هذا الحديث صحيح أم لا؟ ولا أدري إن كان رسول

الله قاله أم لم يقله؟ أكان عندك كافراً؟!

قلت: أعوذ بالله.

قال: أرايت لو أنّه قال: ما أدري هذه السّورة من كتاب الله أم لا؟ كان كافراً؟

قلت: نعم.

قال: يا إسحاق! أرى بينهما فرقاً^(١)

الثانية:

أثبت غير واحد من أكابر الحفاظ - بالإستناد إلى هذا الحديث - وجود «فضّة» خادمة أهل البيت،

فذكروها في كتبهم في «الصحابة» كما سيأتي.

الثالثة:

قال سبط ابن الجوزي بعد رواية الحديث :-

«فإن قيل: فقد أخرج هذا الحديث جدّك في (الموضوعات) وقال: أخبرنا به ابن ناصر...

ثمّ قال جدّك: قد نزه الله ذينك الفصيحين عن هذا الشعر الركيك، ونزّههما عن منع الطفلين عن

أكل الطعام. وفي إسناده الأصبغ بن نباتة متروك الحديث.

والجواب: أمّا قوله: (قد نزه الله ذينك الفصيحين عن هذا الشعر الركيك) فهذا على عادة العرب

في الرجز، كقول القائل: والله لولا الله ما اهتدينا، ونحو ذلك، وقد تمثّل به النبي صلّى الله عليه وآله

وسلّم.

و أمّا قوله عن الأصبع بن نباتة، فنحن ما روينا عن الأصبع، ولا له ذكر في إسناد حديثنا، وإنّما أخذوا على الأصبع زيادة زادوها في الحديث، وهي أنّ رسول الله قال في آخره: اللهم أنزل على آل محمد كما أنزلت على مريم بنت عمران. فإذا جفنة تفور مملوءة ثريداً مكلّلةً بالجواهر. وذكر ألفاظاً من هذا الجنس.

والعجب من قول جدّي إنكاره، وقد قال في كتاب (المنتخب): يا علماء الشرع! أعلمتم لم أثرا وتركا الطفلين عليهما أثر الجوع؟! أتراهما خفي عليهما خبر: إبدأ بمن تعول؟! ما ذاك إلا لأنّهما علما قوّة صبر الطفلين، وأنّهما غصنان من شجرة الظلّ عند ربّي، وبعض من جملة: فاطمة بضعة منّي. وفرخ البطّ سايح»^(١)

الرابعة:

ذكر غير واحد من العلماء: أنّ السائلين كانوا ملائكة من عند ربّ العالمين، أراد بذلك امتحان أهل البيت^(٢)

وبهذا وسابقه أيضاً تسقط شبهة بعض النواصب بأنّ الإنفاق وتجويع النفس إلى هذا الحدّ غير جائز، كما سيأتي.

الخامسة:

قال غير واحد: إن الله تعالى ذكر في هذه السورة جميع ما يتعلّق بنعيم الجنّة ولذاتها إلاّ الحور، وما ذلك إلاّ غيرة على الزهراء عليها السلام، واحتراماً لها^(٣)

(١) تذكره خواصّ الامة: ٣١٥-٣١٦.

(٢) تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري ٢٩ / ١١٢، كفاية الطالب: ٣٤٨ عن الحافظ أبي عمرو ابن الصلاح وغيره.

(٣) تذكرة خواصّ الامة: ٣١٦، روح المعاني ٢٩ / ١٥٧.

وأما سادساً، فللخبر أسانيد معتبرة على ضوء كلمات علماء الجرح والتعديل المعتمدين عند

القوم... ومن ذلك:

الحديث في تفسير الحبري، الذي رواه الحافظ الحسكاني عن طريقه حيث قال:

«أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهرى، قراءة عليه ببغداد من أصله، حدّثنا أبو

عبيدالله محمد بن عمران بن موسى بن عبيد المرزباني، قراءة عليه في شعبان سنة ٣١١، حدّثنا أبو

الحسن علي بن محمد بن عبيدالله الحافظ، قراءة عليه في قطيعة جعفر، قال: حدّثني الحسين بن

الحكم الحبري، حدّثنا حسن بن حسين، حدّثنا حبان بن علي، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن

عبّاس...»^(١)

فأما الحسكاني فقد ترجمنا له في كتبنا غير مرّة.

وأما أبو محمد الجوهرى، المتوفى سنة ٤٥٤:

فقد قال الخطيب: «كتبنا عنه، وكان ثقة أميناً كثير السماع»^(٢)

وقال ابن الجوزي: «كان ثقة أميناً»^(٣)

وقال ابن الأثير: «بغدادى، ثقة، مكثر»^(٤)

وأما المرزباني، المتوفى سنة ٣٨٤:

فقد ذكر الخطيب: «ليس حاله عندنا الكذب، وأكثر ما عيب عليه مذهبه، وتديسه للإجازة»^(١)

وقال العتيقى: «كان معتزلياً ثقة»^(٢)

(١) تفسير الحبري: ٢٢٦، شواهد التنزيل ٢ / ٤٠٦.

(٢) تاريخ بغداد ٣٩٣/٧.

(٣) المنتظم ١٢٧/٨.

(٤) اللباب في الأنساب ٣١٣/١.

وأما أبو الحسن علي بن محمد المذكور، المتوفى سنة ٣٣٠: فقد ترجمه الخطيب كذلك وقال: «روى عنه الدار قطني ومن بعده، وحدّثنا عنه أبو الحسين بن المتيم، وكان ثقة أميناً، حافظاً عارفاً. أخبرني عبيدالله بن أبي الفتح، عن طلحة بن محمد بن جعفر، قال: مات أبو الحسن علي بن محمد بن عبيدالحافظ الثقة، في شوال سنة ٣٣٠ وكان عنده بيت علم»^(٣)

و«قطيعة جعفر» محلّة من محلات بغداد كان يسكنها.

وأما الحبري، المتوفى سنة ٢٨٦: فهو ثقة عند الحاكم والذهبي، بل حكما بالصحة على شرط الشيخين لما هو في سنده^(٤)

وأما حسن بن حسين: فهو العرني الكوفي، وهو أيضاً من رجال المستدرک حيث روى عنه وحكم بصحة الحديث، ووافقه الذهبي في تلخيصه^(١)... وتكلم بعضهم فيه لأجل تشييعه غير مسموع.

وأما حبان بن عليّ، المتوفى سنة ١٧١: فمن رجال ابن ماجه. وقال ابن خراش: «قال يحيى بن معين: حبان بن علي ومندل بن علي صدوقان»

وقال أبوبكر بن أبي خيثمة، عن سليمان بن أبي شيخ، عن حجر بن عبدالجبار بن وائل بن حجر: «ما رأيت فقيهاً بالكوفة أفضل من حبان بن عليّ»

وقال عبدالله بن أحمد، عن أبيه: «حبان أصح حديثاً من مندل».

وقال الخطيب: «كان صالحاً ديناً».

وقال العجلي: «صدوق».

(١) تاريخ بغداد ٣/١٣٥.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٦/٤٤٨.

(٣) تاريخ بغداد ١٢/٧٣-٧٤.

(٤) المستدرک على الصحيحين وتلخيصه ١/١٣، ٥٠٧، ٣/١٣٨ و ١٥١ و ٢١١.

وذكره ابن حبان في الثقات.

وقال الذهبي بعد كلام من ضعفه: «قلت: لكّنه لم يترك»^(٢).

وأما الكلبي، فهو محمد بن السائب، المتوفى سنة ١٤٦: وهذا الرجل - وإن تكلم فيه بعضهم -

من رجال أبي داود والترمذي وابن ماجه.

وقال ابن حجر، عن ابن عدي: «حدّث عنه ثقات من الناس ورضوه في التفسير».

فيظهر من مجموع كلماتهم أنّ الطعن عليه يختصّ بأحاديثه في غير التفسير، أمّا في التفسير

فمريض عندهم، وقد روى عنه أكابر الأئمة، كسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وعبدالله بن

المبارك، وابن جريج، وشعبة، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم^(٣)، وفيهم من لا يروي إلا عن ثقة، كشعبة

بن الحجّاج، كما ذكروا بتراجمه.

وأما أبو صالح: فهو باذام مولى أمّ هانئ بنت أبي طالب عليه السلام، وهو من رجال أربعة من

الكتب الستة، ووثقه غير واحد من الأئمة.

وعن يحيى القطان: «لم أر أحداً من أصحابنا ترك أبا صالح مولى أمّ هانئ»

وهذا القدر يكفينا للاحتجاج بحديثه.

وتكلم فيه بعضهم لأجل التدليس.

أقول:

(١) المستدرک علی الصحیحین وتلخیصہ ٢١١/٣.

(٢) تهذيب الكمال ٣٣٩/٥، تاريخ بغداد ٢٥٥/٨، ميزان الاعتدال ٤٤٩/١.

(٣) تهذيب الكمال ٢٤٦/٢٥، تهذيب التهذيب ١٥٩/٩، طبقات المفسرين ١٤٩/٢.

و هكذا يمكن تصحيح غيره من الأسانيد... ولكننا لضيق المجال نرجيء ذلك إلى وقت آخر، فنكتفي بما ذكرناه، وتصحيح السند الذي طعن فيه ابن الجوزي. وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وبقي النظر في كلمات ابن تيمية:

قال: «مكية باتفاق أهل التفسير والنقل، لم يقل أحد منهم إنها مدنية».

لكن في تفسير البغوي: «مدنية، وآياتها إحدى وثلاثون»^(١) وكذا في غيره من التفاسير،

كالألوسي، قال: «قال مجاهد وقتادة مدنية كلها».

و قال الحسن وعكرمة والكلبي: مدنية إلا آية واحدة فمكية وهي (وَلَا تُطْعَمُنَّهُمْ آثِمًا أَوْ

كَفُورًا)^(٢)

وقيل: مدنية إلا من قوله تعالى: (فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ...)^(٣) «^(٤)»

بل كونها «مدنية» هو قول الجمهور، كما قال الإمام القاضي الشوكاني^(٥)... ونسبه إلى الجمهور

أيضاً القرطبي في تفسيره^(٦) والإمام ابن عادل، فيما نقله عنه الألوسي قال: «وعليه الشيعة»^(١)

أقول:

فكيف يقال: «هي مكية باتفاق أهل التفسير والنقل»؟! و«لم يقل أحد منهم إنها مدنية»؟! وماذا

يقال لمن قاله؟

(١) معالم التنزيل ٤٩٥/٥.

(٢) سورة الدهر ٧٦: ٢٤.

(٣) سورة الدهر ٧٦: ٢٤.

(٤) روح المعاني ١٥٠/٢٩.

(٥) فتح القدير ٣٤٣/٥.

(٦) تفسير القرطبي ١١٨/١٩.

و لأبأس بالتنويه بشأن «البغوي» بين المفسرين القائلين بكون سورة الدهر مدنيّة لا مكّيّة، وذلك، لأن ابن تيميّة يعتمد على تفسيره في منهجه وينصّ على أنّ البغوي لم يذكر فيه شيئاً من الأحاديث الموضوعّة - بزعمه - التي يرويهها الثعلبي^(٢)

وتلخص: أنّ سورة الدهر مدنيّة، وليست بمكّيّة.

فسقط عمدة دليله على ردّ الحديث.

وهل كانت عندهم جارية اسمها فضّة؟

يقول ابن تيميّة: «إن عليّاً وفاطمة لم يكن لهما جارية اسمها فضة، بل ولا لأحد من أقارب النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، ولا نعرف أنّه كان بالمدينة جارية اسمها فضة، ولا ذكر ذلك أحد من أهل العلم، الذين ذكروا أحوالهم دقّها وجلّها. ولكن فضة هذه بمنزلة ابن عقب الذي يقال: إنّ كان معلّم الحسن والحسين، وأنّه أعطي تفاحة كان فيها علم الحوادث المستقبلية، ونحو ذلك من الأكاذيب التي تروج على الجهّال... وهكذا هذه الجارية فضة...»^(٣)

أقول:

انظر إصراره على التكذيب بقلة حياء... وهو الكاذب!!

و إليك عبارة الحافظ ابن الأثير: «فضة النويّة، جارية فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم. أخبرنا أبو موسى كتابة...» فأورد حديث سورة هل أتى بإسناده عن ابن عبّاس^(٤)

(١) روح المعاني ٢٩/١٥٠.

(٢) منهاج السنّة ٧/١٢.

(٣) منهاج السنّة ٧/١٨٢-١٨٣.

(٤) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٥/٥٣٠.

و عبارة الحافظ ابن حجر العسقلاني: «فضة النويبة، جارية فاطمة الزهراء... أخرج أبو موسى في الذيل، والثعلبي في تفسير سورة (هَلْ أَتَى)، من طريق عبدالله بن عبدالوهاب الخوارزمي ابن عم الأحنف...» قال: «وذكر ابن صخر في فوائده وابن بشكوال في كتاب المستغيثين من طريقه، بسند له من طريق الحسين بن العلاء، عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، عن أبيه، عن علي: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخدم فاطمة ابنته جارية اسمها فضة النويبة، وكانت تشاطرها الخدمة، فعلمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاءً تدعوه...»^(١)

هذا، وقد تقدم ذكر فضة في كلام القرطبي أيضاً.

فقد كان عمدة ما قاله ابن تيمية في الرد على العلامة:

١- تكذيب الحديث.

و قد عرفت أنه هو الكاذب.

٢- إن سورة هل أتى مكية.

و قد عرفت أنها مدنية.

٣- إنه لم يكن عندهم جارية اسمها فضة.

و قد عرفت كذبه في هذا.

وإذا كان كاذباً في عمدة كلامه ومبطلاً في ادعاءاته، فلا يعتنى بسائر كلامه الذي لا طائل تحته.

و لا بأس بالإشارة إلى ما كان في كلام غيره:

قال الحافظ ابن حجر: «أخرجه الثعلبي من رواية القاسم بن بهرام، عن ليث بن أبي سليم، عن

مجاهد، عن ابن عباس

(١) الإصابة في معرفة الصحابة ٤/٣٨٧.

و من رواية الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس»

أقول: وهذه أسانيد الثعلبي في تفسيره:

«نزلت في علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين - رضي الله عنهم - وكان القصة فيه:

ما أخبرنا به الشيخ أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن علي الشيباني العدل - قراءة عليه في صفر

سنة ٣٨٧ - قال: أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن ابن الشرقي، حدّثنا أبو محمد عبدالله بن

محمد بن عبدالوهاب الخوارزمي - ابن عمر ابن الأحنف^(١) - في سنة ٢٥٨، قال: حدّثنا أحمد بن حمّاد

المروزي، حدّثنا محبوب بن حميد القصري^(٢) - وسأله عن هذا الحديث روح بن عبادة - قال: حدّثنا

القاسم بن بهرام، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنه.

وأخبرنا عبدالله بن حامد، أخبرنا أبو محمد أحمد بن عبدالله المزني، حدّثنا أبو الحسن محمد بن

أحمد بن سهيل، عن علي بن مهران الباهلي بالبصرة، حدّثنا أبو مسعود عبدالرحمن بن فهر بن هلال،

حدّثني القاسم بن يحيى الغنوي، عن محمد بن السائب، عن أبي صالح، عن ابن

عبّاس رضي الله عنه.

قال أبو الحسن ابن مهران: وحدّثني محمد بن زكريّا البصري، حدّثني شعيب بن واقد المزني،

حدّثنا القاسم بن مهران، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنه...»^(١)

أقول:

وأخرجه الحافظ أبو موسى المدني بسندين له عن: «عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب

الخوارزمي، بإسناده المذكور، عن القاسم، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عباس...»

(١) كذا، وفي أسد الغابة: «ابن عمّ الاحنف».

(٢) كذا، وفي أسد الغابة «البصري».

و رواه الحافظ ابن الأثير، عن أبي موسى...^(٢)

و رواه الحافظ سبط ابن الجوزي، من طريق الحافظ البغوي، عن الثعلبي، عن عبدالله بن حامد،

بالسند المتقدم، عن ابن عباس...^(٣)

أقول:

والحافظ ابن حجر لم يتكلم على هذا الأسانيد بشيء، غير أنه أورد عن الحكيم الترمذي قوله:

«و من الأحاديث التي تنكرها القلوب...»

وأنت ترى: أن ليس في هذا الكلام دليل علمي يصغى إليه وبعباً به، أمّا أن قلب الرجل ينكر هذا

الحديث، فماذا نعمل بقلب طبع الله عليه^(٤)!!؟

ثم من هو الحكيم الترمذي؟! وما قيمة آرائه وأحكامه؟!

هو: محمد بن علي بن الحسن، المعروف بالحكيم الترمذي، المحدث الصوفي، ذكره أبو نعيم

في (الحلية)، والسلمي في (طبقات الصوفية) وكذا غيرهما في الكتب المؤلفة في تراجم الصوفية، وقد

ذكروا أنّ علماء «ترمذ» نفوه من مدينة «ترمذ»، وأخرجوه منها، وشهدوا عليه بالكفر.

و من هنا أورده الحافظ ابن حجر في لسان الميزان، قال: «وذكره القاضي كمال الدين ابن العديم

صاحب تاريخ حلب في جزء له سمّاه الملحّة في الردّ على أبي طلحة، قال فيه: وهذا الحكيم الترمذي

لم يكن من أهل الحديث، ولا رواية له، ولا أعلم له تطرّقاً ولا صناعة، وإنّما كان فيه الكلام على إشارات

(١) الكشف والبيان في تفسير القرآن.

(٢) أسد الغاية ٥/٥٣٠.

(٣) تذكرة خواصّ الأمة: ٣١٣.

(٤) لانريد الخروج عن البحث والاستطراد بذكر بعض الموارد التي عجزوا فيها عن الجواب الصحيح، وفقدوا

المقاييس العلميّة المعتمدة لرد فضائل أميرالمؤمنين أهل البيت عليهم السلام، والتجوّوا إلى الاستدلال بإنكار

القلب، وياله من دليل مقبول!!

الصّوفية والطرائق، ودعوى الكشف عن الامور الغامضة والحقائق، حتّى خرج في ذلك عن قاعدة الفقهاء، واستحقّ الطعن عليه بذلك والإزراء، وطعن عليه أئمة الفقهاء والصوفيّة، وأخرجوه بذلك عن السيرة المرضيّة، وقالوا: إنّه أدخل في علم الشريعة ما فارق به الجماعة، وملاً كتبه الفضيعة بالأحاديث الموضوعة، وحشّأها بالأخبار التي ليست بمروية ولا مسموعة، وعلّل فيها جميع الأمور الشرعيّة التي لا يعقل معناها، بعلل ما أضعفها وما أوهأها»

قال ابن حجر: «قلت: ولعمري لقد بالغ ابن العديم في ذلك، ولولا أنّ كلامه يتضمّن النقل عن الأئمّة أنّهم طعنوا فيه لما ذكرته».^(١)

قلت:

و ما نحن فيه من هذا القبيل، فقد تكلم في هذا الحديث الشريف على إشارات الصوفيّة ودعوى الكشف عن الامور الغامضة والحقائق، حيث ادّعى أنّه من الأحاديث التي تنكرها القلوب!!

ثمّ قال ابن حجر:

«ورواه ابن الجوزي في الموضوعات... ثمّ قال: وهذا لانشكّ في وضعه»

أقول:

قال ابن الجوزي في الموضوعات: «أنبأنا محمّد بن ناصر، قال: أنبأنا أبو عبدالله محمّد بن أبي نصر الحميدي، قال: أنبأنا أبو علي الحسن بن عبدالرحمن البيّج، قال: أنبأنا أبو القاسم عبيدالله بن محمّد السقطي، قال: أنبأنا عثمان بن أحمد الدقاق، أنبأنا عبدالله بن ثابت، حدّثنا أبي، عن الهذيل بن حبيب، عن أبي عبدالله السمرقندي، عن محمّد بن كثير الكوفي، عن الأصبغ بن نباتة، قال: مرض الحسن والحسين...»

(١) لسان الميزان ٣٠٨/٥-٣٠٩.

ثم قال ابن الجوزي:

«وهذا حديث لا يشك في وضعه، ولو لم يدل على ذلك إلا الأشعار الركيكة والأفعال التي ينتزّه

عنها أولئك السادة.

قال يحيى بن معين: أصبغ بن نباتة لا يساوي شيئاً، وقال أحمد بن حنبل: حرقنا حديث محمد

بن كثير، وأما أبو عبدالله السمرقندي فلا يوثق به»^(١)

أقول:

ورواه الحافظ أبو عبدالله الكنجي بإسناده من طريق الحافظ الحميدي كذلك، فقال: «أخبرنا

أبو طالب عبداللطيف بن محمد القبيطي البغدادي بها، أخبرنا أبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن

سليمان، أخبرنا الحافظ محمد بن أبي نصر الحميدي، أخبرنا أبو علي الحسن بن عبدالرحمن المعروف

بالشافعي بمكة، أخبرنا...»

ثم قال الحافظ الكنجي: «هكذا رواه الحافظ أبو عبدالله الحميدي في فوائده، وما رويناها إلا من

هذا الوجه. ورواه الحاكم أبو عبدالله في مناقب فاطمة عليها السلام، ورواه ابن جرير الطبري أطول من

هذا، في سبب نزول (هَلْ أَتَى) ولم يحضرنى في وقت الإملاء نسخته»^(٢)

فرواة الحديث بهذا السند حقاظ ومحدثون كبار، وأما أبو عبدالله الحميدي فمن أشهرهم:

له تراجم حسنة ومبسوطة في كثير من الكتب التي يرجع إليها في معرفة الشخصيات الكبار

والحوادث المهمة، أمثال:

(١) الموضوعات ١/٣٩٠-٣٩٢.

(٢) كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ٣٤٥-٣٤٨.

المنتظم في تاريخ الملوك والامم - لابن الجوزي ٦٩/٩، معجم الأدباء - لياقوت الحموي
٢٨٢/١٨، تذكرة الحفاظ - للذهبي ١٢١٨/٤، الوافي بالوفيات - للصفدي ٣١٧/٤، مرآة الجنان -
لليافعي ١٤٩/٣، النجوم الزاهرة - لابن تغري بردي ١٥٦/٥، تنمة المختصر في أخبار البشر - لابن
الوردى ١٧/٢، الكامل في التاريخ - لابن الأثير - ٢٤٥/١٠.

و كذا في غير هذه الكتب، ولم نجد في شيء منها طعنًا على الرجل أو غمزاً في علمه وثقته
وورعه عندهم... ونكتفي هنا بذكر موجز ترجمته في سير أعلام النبلاء:

«الحميدي: الإمام القدوة، الأثري، المتقن، الحافظ، شيخ المحدثين، أبو عبدالله ابن أبي نصر
الأندلسي، استوطن بغداد، وكان من بقايا أصحاب الحديث علماء وعملاً، عقداً وانقياداً، رحمة الله عليه.
قال أبو نصر ابن ماكولا: لم أر مثل صديقنا أبي عبدالله الحميدي في نزاهته وعفته وورعه
وتشاغله بالعلم، صنف تاريخ الأندلس.

و قال يحيى بن إبراهيم السلماسي، قال أبي: لم تر عيناى مثل الحميدي، في فضله و نبله
وغزارة علمه وحرصه على نشر العلم، وكان ورعاً تقياً، إماماً في الحديث وعلله ورواته، متحققاً بعلم
التحقيق والاصول على مذهب أصحاب الحديث بموافقة الكتاب والسنة...

قال السلفي: سألت أبا عامر العبدري عن الحميدي فقال: لا يرى مثله قط، وعن مثله لا يسأل،
جمع بين الفقه والحديث والأدب، ورأى علماء الأندلس، وكان حافظاً.

توفي سنة ٤٥٨»^(١)

أقول:

ثم إن الكلام على ما ذكره ابن الجوزي من وجوه:

(١) سير أعلام النبلاء ١٩/١٢٠-١٢٧.

أولاً: إنّ دليله على كذب الحديث هو اشتماله على الأشعار والأفعال، وهذا باطل، لأنّ الاستدلال إنّما هو بأصل الحديث وسبب نزول السّورة المباركة.

وثانياً: إنّ هذه الأشعار والأفعال إنّما جاءت في الخبر باللفظ الذي أورده، وليست في جميع ألفاظه، فالتدزّع بها لتكذيب الخبر باطل من أصله.

وثالثاً: نقل الخبر بأحد ألفاظه وأسانيده، والطعن في ثبوت أصل الخبر بسبب التكلّم في أحد أسانيده، ليس من شأن العلماء المنصفين الأتقياء، لكن هذا من ابن الجوزي كثير!

ورابعاً: لقد توقّف العلماء المحقّقون عن قبول آراء ابن الجوزي في الموضوعات وتعقّبوا كثيراً منها وخطّووه فيها، حتّى قالوا بعدم جواز التعويل عليه في هذا الباب.

فكان من المناسب أن نورد هنا شيئاً ممّا قالوه فيه وفي كتابه:

قال ابن الأثير وابن الوردي والدياربكري، بترجمته: «كان كثير الوقعة في الناس، لا سيّما في

العلماء المخالفين لمذهبه»^(١)

وقال الذهبي: «قرأت بخطّ الموقاني أن ابن الجوزي شرب البلاذر، فسقطت لحيته فكانت قصيرة جداً، وكان يخضبها بالسّواد، وكان كثير الغلط في ما يصنّفه، فإنّه كان يفرغ من الكتاب ولا يعتبره.

قلت: نعم، له وهم كثير في تواليفه، يدخل عليه الداخل من العجلة والتحويل إلى مصنّف آخر،

ومن أنّ جُلّ علمه من كتب صحف ما مارس فيها أرباب العلم كما ينبغي»^(٢)

(١) راجع حوادث سنة ٥٩٧ من الكامل في التاريخ وتتمّة المختصر والخميس.

(٢) تذكرة الحفاظ ٤/١٣٤٢-١٣٤٨ رقم ١٠٩٨.

وقال السيوطي والداوودي بترجمته: «قال الذهبي في التاريخ الكبير: لا يوصف ابن الجوزي بالحفظ عندنا باعتبار الصنعة، بل باعتبار كثرة اطلاعه وجمعه»^(١)

وسياتي ذكر قول ابن حجر العسقلاني الحافظ «إن ابن الجوزي حاطب ليل لا ينتقد ما يحدث به»

وأما كتابه الموضوعات، فقد تكلم فيه كبار علماء الحديث: كالنووي، وابن الصلاح، وابن جماعة، والزين العراقي، وابن كثير، وابن حجر، والسخاوي، والسيوطي...

قال ابن كثير: «وقد صنّف الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي كتاباً حافلاً في الموضوعات، غير أنه أدخل فيه ما ليس منه، وأخرج عنه ما كان يلزمه ذكره، فسقط عليه ولم يهتد إليه»^(٢)

وقال ابن حجر بعد إثبات حديث سدّ الأبواب إلاّ باب عليّ، وأنّ ابن الجوزي أدرجه في الموضوعات: «أخطأ في ذلك خطأ شنيعاً»

قال: «لأنّ (فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)^(٣) وطريق الورع في مثل هذا أن لا يحكم على الحديث بالبطلان، بل يتوقّف فيه إلى أن يظهر لغيره ما لم يظهر له...»^(٤)

وقال السخاوي: «أدرج فيها الحسن والصحيح ممّا هو في أحد الصحيحين فضلا عن غيرهما، وهو توسّع منكر نشأ عنه غاية الضرر، من ظنّ ما ليس بموضوع - بل هو صحيح - موضوعاً، ممّا قد

(١) طبقات الحفاظ ٤٧٨، طبقات المفسرين ٢٧٤/١.

(٢) الباعث الحثيث: ٧٥.

(٣) سورة يوسف ١٢: ٧٦.

(٤) القول المسدّد في الذب عن المسند: ١٩.

يقلّده فيه العارف تحسیناً للظنّ به حيث لم يبحث، فضلاً عن غيره، ولذا انتقد العلماء صنيعة إجمالاً، والموقع له استناده في غالبه بضعف راويه الذي رمى بالكذب مثلاً، غافلاً عن مجيئه من وجه آخر»^(١) و خامساً: إنّه على فرض التنزّل، فإنّ طعنه في الحديث في (موضوعاته) معارض بأنّه نقله في (تبصّرتّه) ولم يتعقّبهُ.^(٢)

و سادساً: إنّه لا وجه للتكلّم في «محمّد بن كثير الكوفي» و«الأصبع بن نباتة» إلاّ «التشيع»، وقد تقرّر أنّ «التشيع» بل «الرفض» غير مضرّ عندهم، وبه نصّ الحافظ ابن حجر العسقلاني^(٣)

فأمّا «الأصبع بن نباتة» فهو من أشهر التابعين، وقد تقرّر عندهم عدالة التابعين كالصّحابة، عملاً بما يروونه عن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم من قوله: «خير القرون قرني ثمّ الذين يلونهم»^(٤)

وقال الحاكم: «النوع الرابع عشر من هذا العلم: معرفة التابعين، وهذا نوع يشتمل على علوم كثيرة، فإنّهم على طبقات في الترتيب، ومهما غفل الإنسان عن هذا العلم، لم يفرّق بين الصّحابة والتابعين، ثمّ لم يفرّق أيضاً بين التابعين وأتباع التابعين، قال الله عزّ وجلّ (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ) من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعدّ لهم جنّات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم).

وقد ذكرهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم... فخير الناس قرناً - بعد الصّحابة - من شافه أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم، وحفظ عنهم الدين والسنن، وهم قد شهدوا الوحي والتنزيل...»^(١)

(١) فتح المغيث - شرح ألفية الحديث - ٢٣٦/١.

(٢) روح المعاني ١٥٨/٢٩.

(٣) مقدمة فتح الباري: ٣٩٨ و ٤١٠.

(٤) سورة التوبة ٩: ١٠٠.

ثم إنّه من رجال ابن ماجه، وروى عنه جماعة من الأكابر، ووثقه بعض الأعلام كالعجلي^(٢)...
وتكلّم فيه غير واحد، وكلّ كلماتهم تعود إلى كونه من شيعة علي عليه السلام وإلى روايته لفضائله،
كقول ابن حبان: «فتن بحبّ علي بن أبي طالب، فأتى بالطامات في الروايات فاستحقّ من أجلها
الترك» وقول ابن عدى: «لم أخرج له هاهنا شيئاً، لأنّ عامّة ما يرويه عن علي، لا يتابعه أحد عليه»^(٣)
فهذا هو السبب في ترك بعض القوم حديثه. ثمّ تأمل في كلام ابن عدي بعد ذلك: «وإذا حدّث
عن الأصبغ ثقة فهو عندي لا بأس بروايته، وإنّما أتى الإنكار من جهة من روى عنه، لأن الراوي عنه
لعله يكون ضعيفاً»، لتعرف الاضطراب منه ومن أمثاله عندما يريدون ردّ حديث رجل بلا دليل وسبب
سوى التشييع!!

وأما «محمد بن كثير الكوفي» فكذلك

فابن حنبل يقول: «حرّقنا حديثه»

ويحيى بن معين - وهو الذي نقل كلامه ابن الجوزي في القدرح في الأصبغ - يقول: «هو شيعي

لم يكن به بأس، سمعت أنا منه»^(٤)

فالرجل ثقة، لكن تشييعه يبزر لأحمد - كما قالوا - لأن يحرق حديثه! ولا بدّ وأن يترك حديثه وهو

يروى عن الأعمش، عن عدي بن ثابت، عن زر، عن عبدالله بن مسعود، عن عليّ: قال رسول الله

صلّى الله عليه وآله وسلّم «من لم يقل علي خيرا الناس فقد كفر»^(٥)

(١) معرفة علوم الحديث: ٤١.

(٢) تهذيب الكمال ٣/٣٠٨.

(٣) تهذيب الكمال ٣/٣١٠، تهذيب التهذيب ١/٣١٦.

(٤) الجرح والتعديل ٨/٦٨، تاريخ بغداد ٣/١٩١، وغيرهما.

(٥) تاريخ بغداد ٣/١٩٢.

البرهان الثاني والعشرون

قوله تعالى: (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ...)

من طريق أبي نعيم عن مجاهد في قوله تعالى: (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ): محمد (وَصَدَّقَ بِهِ)

قال: علي بن أبي طالب.

و من طريق الفقيه الشافعي عن مجاهد في قوله تعالى: (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ

...)، قال: جاء به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَدَّقَ بِهِ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

و هذه فضيلة اختصَّ بها عليه السلام، فيكون هو الإمام.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: أن هذا ليس منقولاً عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقول مجاهد وحده ليس بحجة

يجب اتباعها على كلِّ مسلم، لو كان هذا النقل صحيحاً عنه، فكيف إذا لم يكن ثابتاً عنه؟!

والثابت عن مجاهد خلاف هذا، وهو أن الصِّدْقَ هو القرآن، والذي صدَّقَ به هو المؤمن الذي

عمل به، فجعلها عامة. رواه الطبري وغيره عن مجاهد قال: هم أهل القرآن يجيئون به يوم القيامة،

فيقولون: هذا الذي أعطيتمونا قد اتبعنا ما فيه. ورواه أبو سعيد الأشج، قال: حدثنا ابن إدريس، عن

ليث، عن مجاهد فذكره. وحدثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحَّاك: وصدَّقَ به. قال: المؤمنون

جميعاً. قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو صالح، حدثنا معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة،

عن ابن عباس: وصدَّقَ به. قال: رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الوجه الثاني: أن هذا معارض بما هو أشهر منه عند أهل التفسير، وهو أن الذي جاء بالصدق: محمد، والذي صدق به: أبوبكر، فإن هذا يقوله طائفة، وذكره الطبري بإسناده إلى عليّ. قال: جاء به محمد وصدق به أبوبكر. وفي هذا حكاية ذكرها بعضهم عن أبي بكر عبدالعزيز بن جعفر غلام أبي بكر الخلال: أن سائلاً سأله عن هذه الآية، فقال له هو - أو بعض الحاضرين -: نزلت في أبي بكر. فقال السائل: بل في عليّ؟ فقال أبوبكر بن جعفر: اقرأ ما بعدها: (أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) إلى قوله (لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا) الآية، فبهت السائل.

الثالث: أن يقال: لفظ الآية عام مطلق لا يختص بأبي بكر ولا بعليّ، بل كل من دخل في عمومها دخل في حكمها. ولا ريب أن أبابكر وعمر وعثمان وعليّ أحق هذه الأمة بالدخول فيها، لكنها تختص بهم. وقد قال تعالى: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ * وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) الآية، فقد ذمّ الله سبحانه وتعالى الكاذب على الله والمكذب بالصدق. وهذا ذم عام.

والرافضة أعظم أهل البدع دخولا في هذا الوصف المذموم، فإنهم أعظم الطوائف افتراء للكذب على الله، وأعظمهم تكذيباً بالصدق لَمَّا جاءهم، وأبعد الطوائف عن المجيء بالصدق والتصديق به. وأهل السنة المحضة أولى الطوائف بهذا، فإنهم يصدقون ويصدقون بالحق في كل ما جاء به، ليس لهم هوى إلا مع الحق.

والله تعالى مدح الصادق فيما يجيء به، والمصدق بهذا الحق. فهذا مدح للنبي صلى الله عليه وسلم، ولكل من آمن به وبما جاء به. وهو سبحانه لم يقل: والذي جاء بالصدق والذي صدق به، فلم يجعلهما صنفين، بل جعلهما صنفاً واحداً، لأن المراد مدح النوع الذي يجيء بالصدق ويصدق

بالصدق، فهو ممدوح على اجتماع الوصفين، على أن لا يكون من شأنه إلا أن يجيئ بالصدق، ومن شأنه أن يصدق بالصدق.

وقوله: (جاء بالصدق) اسم جنس لكل صدق، وإن كان القرآن أحق بالدخول في ذلك من غيره، ولذلك صدق به أي بجنس الصدق. وقد يكون الصدق الذي صدق به ليس هو عين الصدق الذي جاء به، كما تقول: فلان يسمع الحق ويقول الحق ويقبله، ويأمر بالعدل ويعمل به. أي هو موصوف بقول الحق لغيره، وقبول الحق من غيره، وأنه يجمع بين الأمر بالعدل والعمل به. وإن كان كثير من العدل الذي يأمر به، ليس هو عين العدل الذي يعمل به.

فلما ذم الله سبحانه من اتصف بأحد الوصفين: الكذب على الله، والتكذيب بالحق، إذ كل منهما يستحق به الذم، مدح ضدّهما الخالي عنهما، بأن يكون يجيئ بالصدق لا بالكذب، وأن يكون مع ذلك مصدقاً بالحق، لا يكون ممن يقوله هو، وإذا قاله غيره لم يصدقه، فإن من الناس من يصدق ولا يكذب، لكن يكره أن غيره يقوم مقامه في ذلك حسداً ومنافسة، فيكذب غيره في صدقه أولاً يصدقه، بل يعرض عنه. وفيهم من يصدق طائفة فيما قالت، قبل أن يعلم ما قالوه أصدق هو أم كذب؟ والطائفة الأخرى لا يصدقها فيما تقول وإن كان صادقاً، بل إما أن يصدقها وإما أن يعرض عنها.

وهذا موجود في عامة أهل الأهواء، تجد كثيراً منهم صادقاً فيما ينقله، لكن ما ينقله عن طائفته يعرض عنه، فلا يدخل هذا في المدح، بل في الذم، لأنه لم يصدق بالحق الذي جاءه.

والله قد ذم الكاذب والمكذب بالحق، لقوله في غير آية: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ

كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ)

وقال: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ)

ولهذا لما كان مما وصف الله به الأنبياء، الذين هم أحق الناس بهذه الصفة، أن كلاً منهم يحيى بالصدق فلا يكذب، فكلّ منهم صادق في نفسه مصدق لغيره.

ولمّا كان قوله: (والذي) صنفاً من الأصناف، لا يقصد به واحد بعينه، أعاد الضمير بصيغة الجمع فقال: (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)

وأنت تجد كثيراً من المنتسبين إلى علم ودين، لا يكذبون فيما يقولونه، بل لا يقولون إلا الصدق، لكن لا يقبلون ما يخبر به غيرهم من الصدق، بل يحملهم الهوى والجهل على تكذيب غيرهم وإن كان صادقاً، إما تكذيب نظيره، وإما تكذيب من ليس من طائفته.

ونفس تكذيب الصادق هو من الكذب، ولهذا قرنه بالكاذب على الله، فقال: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ) فكلاهما كاذب، هذا كاذب فيما يخبر به عن الله، وهذا كاذب فيما يخبر به عن المخبر عن الله.

والنصارى يكثر فيهم المفتررون للكذب على الله، واليهود يكثر فيهم المكذبون بالحق، وهو سبحانه ذكر المكذب بالصدق نوعاً ثانياً، لأنه أولاً لم يذكر جميع أنواع الكذب، بل ذكر من كذب على الله. وأنت إذا تدبّرت هذا وعلمت أن كلّ واحد من الكذب على الله والتكذيب بالصدق مذموم، وأن المدح لا يستحقّه إلا من كان آتياً بالصدق مصدقاً للصدق، علمت أن هذا مما هدى الله به عباده إلى صراطه المستقيم.

وإذا تأملت هذا، تبين لك أن كثيراً من الشر - أو أكثره - يقع من أحد هذين، فتجد إحدى الطائفتين أو الرجلين من الناس، لا يكذب فيما يخبر به من العلم، لكن لا يقبل ما تأتي به الطائفة الأخرى، فربّما جمع بين الكذب على الله والتكذيب بالصدق.

وهذا، وإن كان يوجد في عامّة الطوائف شيء منه، فليس الطوائف أدخل في ذلك من الرّافضة، فإنّها أعظم الطوائف كذباً على الله، وعلى رسوله، وعلى الصحابة وعلى ذوي القربى. وكذلك هم من أعظم الطوائف تكذيباً بالصدق، فيكذبون بالصدق الثابت المعلوم من المنقول الصحيح والمعقول الصريح.

فهذه الآية - والله الحمد - ما فيها من مدح فهو يشتمل على الصحابة الذين افترت عليهم الرّافضة وظلمتهم، فإنهم جاءوا بالصدق وصدقوا به، وهم من أعظم أهل الأرض دخولا في ذلك، وعليّ منهم، وما فيها من ذم فالرّافضة أدخل الناس فيه، فهي حجة عليهم من الطرفين، وليس فيها حجة على اختصاص عليّ دون الخلفاء الثلاثة بشيء، فهي حجة عليهم من كلّ وجه، ولا حجة لهم فيها بحال.

أقول:

غالب كلامه السبّ والشتم للشيعة.

ثم إنه قد ورد تفسير الآية بما ذكر عن: أمير المؤمنين عليه السلام وعبدالله بن العباس وأبي هريرة:

روى الحاكم الحسكاني بإسناده عن أبي الطفيل عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: (وَالَّذِي

جاء بِالصِّدْقِ) رسول الله (وَصَدَّقَ بِهِ) أنا، والناس كلّهم مكذبون كافرون غيري وغيره.^(١)

وقال الحبري في تفسيره:

حدّثنا حسن بن حسين، حدّثنا حبان، عن الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عباس: في قوله

(وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ) هو رسول الله صلّى الله عليه وآله جاء بالصدق وعليّ صدق به^(٢)

(١) شواهد التنزيل ١٨١/٢.

(٢) تفسير الحبري: ٣١٥.

و روى السيوطي عن ابن مردويه عن أبي هريرة:

(وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ) قال: رسول الله صلى الله عليه [وآله] (صَدَّقَ بِهِ) قال: علي بن

أبي طالب»^(١).

وأما مجاهد، فقد رواه عنه جماعة، منهم: أبونعيم، وابن عساكر، وابن طلحة الشافعي، وأبو حيان،
والقرطبي، والشوكاني وغيرهم.

وقال أبو حيان: قال أبو الأسود ومجاهد وجماعة: الذي صدق به هو علي ابن طالب^(٢)

هذا، وسند الخبر في تفسير الحبري عن ابن عباس معتبر.

وأما قول ابن تيمية: إن هذا معارض بما هو أشهر منه عند أهل التفسير...

فالجواب عنه:

أولاً: إن تفسير الآية بأمر المؤمنين متفق عليه، ولا يعارضه المنفرد به أهل السنة.

ثانياً: إن التفسير بأبي بكر ضعيفٌ سنده جداً، ولذا أخفاه ابن تيمية ولم يذكره، وإنما قال: «ذكره

الطبري بإسناده إلى علي» - فقد رواه الطبري عن عمر بن إبراهيم بن خالد، عن عبد الملك بن عمير،

عن أسيد بن صفوان.

وفي السند: عبد الملك بن عمير:

قال أحمد: مضطرب الحديث جداً مع قلة روايته، ما أرى له خمسمائة حديث، وقد غلط في كثير

منها.^(١)

وقال إسحاق بن منصور: ضعفه أحمد جداً.^(٢)

(١) الدر المنثور ٥ / ٦١٥.

(٢) البحر المحيط ٩ / ٢٠٣.

وعن أحمد أيضاً: ضعيف يغلط.^(٣)

وقال ابن معين: مخلط.^(٤)

وقال أبوحاتم: ليس بحافظ، تغيّر حفظه.^(٥)

وقال ابن خراش: «كان شعبة لا يرضاه»^(٦)

وقال الذهبي: «أمّا ابن الجوزي، فذكره فحكى الجرح وما ذكر التوثيق».^(٧)

وقال السمعاني: «كان مدلساً».^(٨)

وكذا قال ابن حجر.^(٩)

وعبدالملك - هذا - هو الذي ذبح عبدالله بن يقطر أو قيس بن مسهر الصيداوي، وهو رسول الإمام الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة، فإنه لما رُمي بأمر ابن زياد من فوق القصر وبه رمق، أتاه عبدالملك بن عمير فذبحه، فلما عيب ذلك عليه قال: «إنّما أردت أن أريحه!»^(١٠)

و ثالثاً، كيف وصفه بالشهرة، والطبري قد جعل الصواب غيره، إذ قال:

«والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنّ الله تعالى ذكره، عنى بقوله: (وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ

وَصَدَّقَ بِهِ) كُلٌّ مِنْ دَعَا إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَتَصْدِيقِ رَسُولِهِ وَالْعَمَلُ بِمَا ابْتَعَثَ بِهِ

(١) تهذيب التهذيب ٤١١/٦.

(٢) تهذيب التهذيب ٤١٢/٦، ميزان الاعتدال ٦٦٠/٢.

(٣) ميزان الاعتدال ٦٦٠ / ٢.

(٤) ميزان الاعتدال ٦٦٠/٢، المغني ٤٠٧/٢، تهذيب التهذيب ٤١٢/٦.

(٥) ميزان الاعتدال ٦٦٠/٢.

(٦) تهذيب التهذيب ٤١٢/٦.

(٧) ميزان الاعتدال ٦٦٠/٢.

(٨) ميزان الاعتدال ٦٦٠/٢.

(٩) الأنساب ٥٠/١٠.

(١٠) تلخيص الشافي ٣٠/٣.

رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من بين رسول الله وأتباعه والمؤمنين به، وأن يقال: الصدق هو القرآن وشهادة أن لا إله إلا الله، والمصدق به: المؤمنون بالقرآن من جميع خلق الله، كائناً من كان، من نبي الله وأتباعه.

واعلم أن **(الذي)** في الآية بمعنى «الذين» بدليل قوله بعده: **(أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)** و«الذي» تأتي بمعنى «الذين» في القرآن وفي كلام العرب...».

و رابعاً: حمل ابن تيمية - والطبري قبله - الآية على العموم، لا يضرب باستدلالاتنا، إذ لا تنافي بين العام والخاص، فقد ذكر أمير المؤمنين - وغيره من أئمة أهل البيت - وابن عباس وغيره في الصحابة أن علياً عليه السلام هو المصدق التام لهذا العام.

وخامساً: الحكاية التي أوردها ابن تيمية: «وفي هذا حكاية ذكرها بعضهم عن بكر بن عبدالعزيز بن جعفر غلام أبي بكر الخلال: إن سائلاً سأله عن هذه الآية فقال له - هو أو بعض الحاضرين - : نزلت في أبي بكر؛ فقال السائل: بل في علي! فقال أبو بكر بن جعفر: اقرأ ما بعدها **(أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)** - إلى قوله: **(لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا)**. فبهت السائل».

الظاهر منها أن السائل من أهل السنة القائلين بنزول الآية في علي عليه السلام، فأراد المجيب أن يصرفه عن هذا الرأي، من جهة أن علياً عليه السلام لم يصدر منه ما يصدق معه قوله تعالى في ذيل الآية: **(لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ) ...**

فنقول: نعم، لم يصدر منه شيء من ذلك، كما لم يصدر من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومع ذلك جاء في الخطاب له: **(لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ)** والجواب هو الجواب. وملخصه: أنه ليس المراد من «الذنب» هنا، و«أسوأ الذي عملوا» هناك، هو المحرمات، بل المراد هو «الذنب» و«الأسوأ» عند القوم!

وعلى الجملة، فإن المقصود هو الإستدلال بالقول المتفق عليه بين الطرفين؛ لأنّ الإحتجاج به أقوى، والإلزام به أتمّ، وقد عرفت أنّ القائل به جماعة من الصحابة وكبار المفسرين. والقول بأنّ المراد أبوبكر، لا قائل به من الأكابر المعتمدين، ولذا اضطرّوا إلى نسبة القول به إلى عليّ أمير المؤمنين!!

البرهان الثالث والعشرون

قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ).

من طريق أبي نعيم عن أبي هريرة: قال قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: مكتوب على العرش: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، محمد عبدي ورسولي، أيدته بعلي ابن أبي طالب، وذلك قوله تعالى في كتابه: (هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ)، يعني علي بن أبي طالب.

و هذه من أعظم الفضائل التي لم تحصل لغيره، فيكون هو الإمام.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بصحة النقل، وأما مجرد العزو إلى رواية أبي نعيم، فليس حجةً بالاتفاق...

الوجه الثاني: إن هذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث...

الثالث: إن الله تعالى قال: (هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ

قُلُوبِهِمْ...) وهذا نص في أن المؤمنين عدد مؤلف بين قلوبهم وعلي واحد منهم... .

الوجه الرابع: أن يقال: من المعلوم بالضرورة والتواتر أن النبي صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم ما

كان قيام دينه بمجرد موافقة علي...

الوجه الخامس: إنه لم يكن لعلي في الإسلام أثر حسن إلا ولغيره من الصحابة مثله، ولبعضهم

آثار أعظم من آثاره...

أقول:

قد روى القوم هذا الحديث بأسانيدهم عن جمع من الصحابة، كعبد الله بن عباس، وجابر، وأبي الحمراء، وأبي هريرة، وأنس بن مالك.

ومن رواته:

الطبراني، فإنه قال: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، ثنا عبادة بن زياد الأسيدي، ثنا عمرو بن ثابت، عن أبي حمزة الثمالي، عن سعيد بن جبير، عن أبي الحمراء - خادم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: لما أُسري بي إلى السماء، دخلت الجنة، فرأيت في ساق العرش مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيّده بعلي ونصرته»^(١)

ورواه أبو نعيم بإسناده، عن أبي الحمراء، قال:

حدثنا محمد بن عمر بن سلم الحافظ - وما كتبت له إلا عنه -، قال: حدثني محمد بن الحسين بن مرداس من أصل كتابه قال: أنبأنا أحمد بن الحسن الكوفي قال: ثنا إسماعيل ابن عليّة، عن يونس بن عبيد عن سعيد بن جبير عن أبي الحمراء صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيت ليلة أُسري بي مثبتاً على ساق العرش، أنا غرست جنة عدن، محمد صلى الله عليه وسلم صفوتي من خلقي، أيّده بعلي. غريب من حديث يونس عن سعيد بن جبير، لم نكتبه إلا من هذا الوجه.»^(٢)

و رواه الخطيب البغدادي بإسناده عن أنس قال: أخبرنا أبو سعد الماليني، أخبرنا عبد الله بن عدي

الحافظ - بجرجان - حدثنا عيسى بن محمد بن عبد الله أبو موسى البغدادي - بدمشق - حدثنا الحسين

(١) المعجم الكبير ٢٢/٢٠٠.

(٢) حلية الأولياء ٣/٢٧.

بن إبراهيم الباطني، حدّثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك. قال قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَمَّا عَرَجَ بِي، رَأَيْتَ عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، أَيْدِيَهُ بَعْلِي، نَصْرَتَهُ بَعْلِي».^(١)

و رواه ابن عساکر بالإسناد عن أبي هريرة، قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن المسلم الشافعي، أنا أبو القاسم بن أبي العلاء، أنا أبو بكر محمد بن عمر بن سليمان العوفي النّصيبی، نا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خالد، نا أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المهري، ناعباس بن بكار، ناخالد بن أبي عمرو الأسدي، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: مكتوب على العرش: لا إله إلا الله وحدي لا شريك له، ومحمد عبدي ورسولي أيدته بعلي، وذلك قوله في كتابه: (هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) علي وحده».^(٢)

هذا، وللحديث أسانيد اخرى غير ما ذكر، تفيد بمجموعها الوثوق.

وأما قول الهيثمي بعد أن نقل رواية الطبراني: فيه عمر وبن ثابت، وهو متروك.^(٣)

فمردود: بأن الرجل متهم بالرفض، فعن ابن المبارك: «كان يسبّ السلف» وعن أبي حاتم: «ضعيف الحديث، يكتب حديثه، كان ردئ الرأي شديد التشيع» وعن ابن داود: «رافضي خبيث» وعن ابن سعد: «كان متشيعاً مفرطاً» وعن أحمد: «كان يشتم عثمان» وعن الساجي: «كان ينال من عثمان ويقدم علياً على الشيخين» وعن البزار: «كان يتشيع ولم يترك» وعن بعضهم: «لكنه كان صدوقاً في الحديث»^(٤)

(١) تاريخ بغداد ١١/١٧٣.
(٢) تاريخ دمشق ٤٢/٣٦٠.
(٣) مجمع الزوائد ٩/١٢١.
(٤) تهذيب الكمال ٢١/٥٥٥-٥٥٩.

أقول: لقد كان في رجال الصحيحين من يقول بتقديم عليّ على الشّخين، بل هذا في الصحابة والتابعين كثير كما في الاستيعاب وكتاب الفصل في الأهواء والملل والنحل. وقد نصّ الحافظ ابن حجر في غير موضع من مقدمة فتح الباري على أن الرفض غير مضرّ بالوثاقة.

هذا، ويؤيّد الحديث أن ابن مسعود كتب في مصحفه: (كَفَى اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ) بعلي^(١).

(١) تفسير ابن أبي حاتم ٩ / ٣١٢٦.

البرهان الرابع والعشرون

قوله تعالى: (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ).

من طريق أبي نعيم قال: نزلت في علي بن أبي طالب.

وهذه فضيلة لم تحصل لأحد من الصحابة غيره، فيكون هو الامام.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: منع الصحة.

الثاني: إن هذا القول ليس بحجة.

الثالث: أن يقال: هذا الكلام من أعظم الفرية على الله ورسوله.

وذلك: أن قوله (حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) معناه: أن الله حسبك وحسب من

اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فهو وحده كافيك وكافي من معك من المؤمنين... وقد ظنَّ بعض الغالطين

[العارفين] أن معنى الآية: إنَّ الله والمؤمنين حسبك، ويكون (من اتَّبَعَكَ) رفعاً عطفاً على (الله). وهذا

خطأ قبيح مستلزم للكفر، فإنَّ الله وحده حسب جميع الخلق... فالمؤمنون محتاجون إلى الله كحاجة

الرسول إلى الله، فلا بدَّ لهم من حسبهم، ولا يجوز أن يكون معونتهم وقوتهم من الرسول وقوة الرسول

منهم، فإنَّ هذا مستلزم الدور.

أقول:

هذا خلاصة كلامه.

ثم إنه جعل يطعن في الإمام علي ويسبّ الشيعة وأنهم يشبهون المشركين واليهود والنصارى...
ونحن لانقل ما قال ولانتعّرض له، ونكل أمره إلى الله وهو حسبنا ونعم الوكيل.

وأما منعه صحة الحديث، فدعوى بلا دليل.

و وجه الاستدلال بالآية المباركة هو: إنه لما كان المراد من «المؤمنين» فيها هو الإمام علي عليه السلام وأنه هو التابع الوحيد لرسول الله صَلَّى الله عليه وآله، وهو النَّاصر له فقط من بين الصَّحابة، فكان هذان الوصفان ثابتين له خاصّةً دون غيره، كان هو الأفضل، فهو الإمام بعد رسول الله لاسواه.

لكنّ ابن تيميّة يزعم بأنّ القول بأنّ الله وأميرالمؤمنين حسب النبي صَلَّى الله عليه وآله في النصرة شرك.

وهذا جهل أو تجاهل، فإننا لما نقول بأنّ الإمام نصر النبي في المواطن لا ندّعي الاستقلال للإمام، بل نقول بأن الله قد أقدره على ذلك، فالنصرة في الأصل من الله، غير أنّه نصر رسوله في جميع المواطن بأمرالمؤمنين أو بالملائكة المقرّبين، ولو لم يكن للمسلمين دور في نصرة الله للنبي صَلَّى الله عليه وآله لما ذمّ الله الذين فرّوا من بعض المواطن وتركوا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله بين المشركين.

البرهان الخامس والعشرون

قوله تعالى: (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ).

قال الثعلبي: إنها نزلت في علي عليه السلام.

هذا يدل على أنه أفضل، فيكون هو الإمام.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: إن هذا كذب على الثعلبي، فإنه قال في تفسيره في هذه الآية: قال علي وقتادة

والحسن: إنهم أبوبكر وأصحابه. قال مجاهد: هم أهل اليمن. وذكر حديث عياض بن غنم: أنهم أهل

اليمن....

وأما أئمة التفسير، فروى الطبري عن المثني: حدثنا عبدالله بن هاشم، حدثنا سيف ابن عمر، عن

أبي روق، عن الضحاك، عن أبي أيوب عن علي في قوله: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا... بِقَوْمٍ...)

بأبي بكر وأصحابه رضي الله عنهم...

الثاني: إن هذا قول بلا حجة، فلا يجب قبوله.

الثالث: إن هذا معارض بما هو أشهر منه وأظهر، وهو أنها نزلت في أبي بكر وأصحابه...

الرابع: إن الذي تواتر عند الناس أن الذي قاتل أهل الردة هو أبوبكر... وأما علي، فلا ريب أنه

ممن يحب الله ويحبه الله، لكن ليس بأحق بهذا الصفة من أبي بكر وعمر وعثمان...

الوجه الخامس: هب أن الآية نزلت في علي، أيقول القائل: إنها مختصة به ولفظها يصرح بأنهم

جماعة؟

الوجه السادس: قوله (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ) لفظ مطلق ليس فيه

تعيين، وهو متناول لمن قام بهذه الصفات كائناً من كان، ولا يختص ذلك بأبي بكر ولا بعلي، وإذا لم

يكن مختصاً بأحدهما لم يكن هذا من خصائصه، فبطل أن يكون أفضل ممن يشاركه فيه فضلاً عن

أن يستوجب بذلك الإمامة.

أقول:

هذا ملخص كلامه فيما يتعلق بالمقام. وأما ذكره ممّا لا ارتباط له به أصلاً، فلا نتعرض له، كما لا

نعبأ بما تفوّه به من سبّ الشيعة وشتمهم.

والجواب عمّا ذكره هو:

إنه قد اتفق أصحابنا على نزولها بأمر المؤمنين عليه السلام.

ولأنّه الذي قال في حقّه صلى الله عليه وآله:

إنّ فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله.

فقال أبو بكر: أنا هو؟

وقال عمر: أنا هو؟

قال صلى الله عليه وآله: لا، ولكنّه خاصف النعل.

وكان علي يخصف نعله^(١)

(١) المستدرک ٢ / ١٤٩. ووافقه الذهبي؛ قال: صحيح على شرط مسلم.

ولقد قاتل عليه السلام بأمر من رسول الله الناكثين والقاسطين والمارقين، كما في الحديث

الصحيح عنه وعن غير واحد من الصحابة:

فعن علي قال: عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قتال الناكثين والقاسطين

والمارقين.

وفي رواية: أمرت بقتال...

قال الهيثمي: رواه البزار والطبراني في الأوسط، وأحد إسنادي البزار رجاله رجال الصحيح غير

الربيع بن سعيد ووثقه ابن حبان^(١).

والمهم في المقابل هو القول بنزول الآية بأبي بكر، وقد رواه ابن تيمية عن الطبري قائلا: «وأما

أئمة التفسير، فروى الطبري...» فجعل الطبري هنا من أئمة التفسير، مع أنه قد طعن فيه في غير

موضع في كتابه، لكن رواية الطبري التي استند إليها هذا الرجل موضوعة قطعاً، لوجود غير واحد في

الكذابين في سندها، ونكتفي بما قالوه في «سيف ابن عمر»:

وقال المزي:

قال عباس الدوري، عن يحيى بن معين، ضعيف الحديث

وقال أبو جعفر الحضرمي، عن يحيى بن معين، فلس خير منه.

وقال أبو حاتم: متروك الحديث يشبه حديثه حديث الواقدي.

وقال أبو داود: ليس بشيء.

وقال النسائي والدارقطني: ضعيف.

وقال أبو أحمد بن عدي: بعض أحاديثه مشهورة وعامتها منكرة لم يتابع عليها،

(١) مجمع الزوائد ٢٣٨/٧.

وهو إلى الضعف أقرب منه إلى الصدق.

وقال أبو حاتم بن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات. قال: وقالوا: إنه كان يضع الحديث.

قال الحافظ في تهذيب التهذيب:

بقية كلام ابن حبان: اتهم بالزندقة.

وقال البرقاني، عن الدارقطني: متروك.

وقال الحاكم: اتهم بالزندقة، وهو في الرواية ساقط.

وقال ابن حبان: اتهم بالزندقة.

وروى عباس عن يحيى قال: سيف بن عمر الضبي يحدث عنه المحاربي، ضعيف.

وكذا قال النسائي.

وقال الحاكم: سيف بن عمر الضبي اتهم بالزندقة وهو ساقط في رواية الحديث.

وروى ابن حبان بالاسناد أنه كان يضع الحديث.^(١)

على أن الآية لا تنطبق على أبي بكر أصلاً، حتى لو قال بذلك المفسرون، لأن

النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال يوم خيبر - بعد أن رجع أبوبكر وصاحبه منهزمين كما في

الأحاديث الصحيحة -: «لأعطين الراية غداً إلى رجل يحب الله رسوله ويحبه الله ورسوله كزار غير

فزار» فأعطاها علياً عليه السلام^(٢)

(١) انظر: تهذيب التهذيب ٤ / ٢٩٦، تاريخ الإسلام ٤ / ٦٤١، موسوعة أقوال الدارقطني في رجال الحديث وأعلامه

٣١٢ / ١

(٢) حديث متفق عليه.

وأيضاً، فإنه لما أتى بالطير المشوى ليأكله قال: اللهم ائتني بأحبّ خلقك إليك وإليّ يأكل معي من

هذا الطائر. فجاء أبو بكر وعمر ورجعا^(١)، وجاء عليّ فدخل وأكل معه من ذلك الطائر^(٢).

فالآية المباركة غير منطبقة على أبي بكر ولا على غيره ممّن زعم نزولها فيه.

ويشهد بذلك الأحاديث القطعية الأخرى.

وبما ذكرنا يظهر سقوط جميع ما قاله ابن تيمية في الجواب عن الاستدلال بالآية المباركة.

ومن الواضح أنّ من كان يحبّ الله ويحبّه الله أفضل من غيره، فيكون هو الإمام بعد رسول الله

صلّى الله عليه وآله بالأفضل.

(١) أخرجه النسائي ٧ / ٤١٠.

(٢) حديث مشهور ثابت.

البرهان السادس والعشرون

قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ...).

روى أحمد بن حنبل بإسناده إلى ابن أبي ليلي عن أبيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الصادقون ثلاثة: حبيب بن موسى النجار مؤمن آل يس الذي قال: (يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ)

وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال: (أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ) وعلي بن

أبي طالب عليه السلام الثالث وهو أفضلهم».

ونحوه رواه الفقيه ابن المغازلي الشافعي، وصاحب كتاب الفردوس.

وهذه فضيلة تدل على إمامته.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بصحة الحديث، وهذا ليس في مسند أحمد، ومجرد روايته له في الفضائل - لو

كان رواه - لا يدل على صحته عنده باتفاق أهل العلم... وإنما هو من زيادات القطيعي...

الثاني: إن هذا الحديث موضوع على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الثالث: إن في الصحيح من غير وجه تسمية غير علي صديقاً، كتسمية أبي بكر الصديق، فكيف

يقال: الصادقون ثلاثة...

الوجه الرابع: إن الله تعالى قد سمى مريم صديقة، فكيف يقال: الصادقون ثلاثة؟

الوجه الخامس: إن قول القائل: الصديقون ثلاثة، إن أراد به أنه لا صديق إلا هؤلاء، فإنه كذب، وإن أراد أن الكامل في الصديقية هم الثلاثة، فهو أيضاً خطأ، لأن امتنا خير أمة أخرجت للناس، فكيف يكون المصدق بموسى ورسول عيسى أفضل من المصدقين بمحمد؟

الوجه السادس: إن الله تعالى قال: (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ). وهذا يقتضي أن كل مؤمن آمن بالله ورسوله فهو صديق.

السابع: أن يقال: إن كان الصديق هو الذي يستحق الإمامة، فأحق الناس بكونه صديقاً أبوبكر.

أقول:

هنا مطالب:

المطلب الأول: في رواية الحديث المذكور من أئمة أهل السنة وحفاظهم: فإن من يراجع كتبهم

المشهورة يجد الجم الغفير منهم يروونه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومنهم:

١. أحمد بن حنبل، المتوفى سنة ٢٤١ كما في (فضائل الصحابة) له ٦٢٧: ٢، ٦٥٥، ورواه غير

واحد عن كتاب (المناقب) له، كالمحب الطبري في الرياض النضرة.

٢. محمد بن إسماعيل البخاري، صاحب الصحيح المتوفى سنة ٢٥٦، رواه في التاريخ الكبير كما

في الدر المنثور ٥٣: ٧.

٣. أبو داود السجستاني، صاحب الصحيح المتوفى سنة ٢٧٥ كما في الدر المنثور.

٤. محمد بن سليمان الحضرمي المعروف بالمطين، المتوفى سنة ٢٩٧، كما في كتاب: شواهد

التنزيل.

٥. أبو القاسم الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠، كما في الدر المنثور.

٦. أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، المتوفى سنة ٣٦٥، كما في الدر المنثور.

٧. أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، المتوفى سنة ٣٨٥، في كتابه المؤتلف والمختلف ٧٧٠:٢.

٨. أبوبكر ابن مردويه الإصبهاني، المتوفى سنة ٤١٠، كما في الدر المنثور.

٩. أبونعيم الإصبهاني، المتوفى سنة ٤١٠، كما في الدر المنثور.

١٠. أبوبكر الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣، في تاريخ بغداد ١٥٥:١٤.

١١. المحدث الفقيه ابن المغازلي الواسطي الشافعي، المتوفى سنة ٤٨٣، في كتابه مناقب علي

بن أبي طالب.

١٢. الحاكم الحسكاني، المتوفى بعد سنة ٤٩٠، في شواهد التنزيل.

١٣. شيرويه بن شهردار الديلمي، صاحب فردوس الأخبار المتوفى سنة ٥٠٩، كما في الدر المنثور

وغيره.

١٤. الموفق بن أحمد المعروف بالخطيب الخوارزمي، المتوفى سنة ٥٦٨، في كتاب مناقب علي

بن أبي طالب.

١٥. أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي، المتوفى سنة ٥٧١، كما في تاريخ دمشق.

١٦. الفخر الرازي، المتوفى سنة ٦٠٦، أرسله في تفسيره ٥٧:٢٧ إرسال المسلمات.

١٧. ابن النجار البغدادي، المتوفى سنة ٦٤٣، كما في الدر المنثور.

١٨. محب الدين الطبري الشافعي، المتوفى سنة ٦٩٤، رواه في الرياض النضرة في مناقب

العشرة المبشرة ٣: ١٠٤. وذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى ١٠٨.

١٩. جلال الدين السيوطي، المتوفى سنة ٩١١، رواه في الدر المنثور في التفسير المأثور ٧: ٥٣.

٢٠. ابن حجر المكي، المتوفى سنة ٩٧٣، في الصواعق المحرقة.

٢١. الشيخ علي المتقي الهندي، المتوفى سنة ٩٧٥، صاحب كنز العمال ومنتخب كنز العمال.

٢٢. المناوي المتوفى سنة ١٠٣١ صاحب فيض القدير في شرح الجامع الصغير رواه في كتابه

المذكور ٤: ٢٣٧ - ٢٣٨.

المطلب الثاني: في مواضع هذا الحديث والفاظه: فقد أوردوه تارةً بتفسير الآية: (وَاضْرِبْ

لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ)^(١) وأخرى بتفسير الآية: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ

إِيمَانَهُ)^(٢) وثالثة بتفسير الآية: (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ...)^(٣)

و هو في لفظ: «الصدّيقون ثلاثة: حبيب النجّار مؤمن آل يس الذي قال: (يا قَوْمِ اتَّبِعُوا

الْمُرْسَلِينَ) وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال (أَنْ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ) وعلي

بن أبي طالب وهو أفضلهم».

رواه أبو نعيم في المعرفة وابن عساكر، عن ابن أبي ليلى.^(٤)

وفي لفظ: «عن أبي الزبير، عن جابر، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: ثلاثة ما كفروا

بالله قط: مؤمن آل ياسين، علي بن أبي طالب، وأسيرة امرأة فرعون»^(٥)

و قد أورد الحافظ السيوطي في الدر المنثور اللفظين المذكورين عن عدّة من المصادر، بتفسير

الآية من سورة يس، وأورد قبلهما عن الطبراني وابن مردويه عن ابن عباس عن

النيصليّ الله عليه وآله وسلم قال: «السَّبِقُ ثلاثة: فالسَّابِقُ إلى موسى يوشع بن نون، والسَّابِقُ إلى

(١) سورة يس ٣٦: ١٣، أنظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٧ / ٥٢.

(٢) سورة يس ٣٦: ١٣، أنظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٧ / ٥٢.

(٣) سورة يس ٣٦: ١٣، أنظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٧ / ٥٢.

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤ / ٢٣٨.

(٥) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ٣١٣.

عيسى صاحب يس، والسابق إلى محمد علي ابن أبي طالب^(١) مما يدل على اتحاد مضمون الحديث وإن اختلفت ألفاظه، مضافاً إلى أن «الحديث يفسر بعضه بعضاً».

وعلى هذا، فإن لقب «الصدّيق» يختصّ بسيدنا «علي» عليه الصلاة والسلام، لأنّه الذي «لم يكفر بالله قط» ولأنّه «السابق إلى رسول الله».

وأما «أبوبكر» فقد قضى أكثر عمره في «الكفر» وأسلم بعد «خمسين» رجل كما في الخبر الصحيح^(٢) فلا يجوز أن يلقب بلقب «الصدّيق».

و بعض المصادر جمع بين عنواني «السبق» و«لم يكفروا بالله طرفة عين»:

فقد حكى الحلبي عن (الإمتاع): «وأما علي بن أبي طالب، فلم يكن مشركاً بالله أبداً، لأنّه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم في كفالاته كأحد أولاده، يتبعه في جميع أموره، فلم يحتج أن يدعى للإسلام فيقال أسلم» ثم قال الحلبي:

«ثم رأيت في الحديث ما يدلّ لما في الإمتاع وهو: ثلاثة ما كفروا بالله قط: مؤمن آل ياسين وعلي بن أبي طالب وأسية امرأة فرعون.

والذي في العرائس: روي عن النبي صلى الله عليه وسلّم أنّه قال: سبّاق الأمم ثلاثة، لم يكفروا بالله طرفة عين: حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلي بن أبي طالب، رضي الله تعالى عنهم، وهو أفضلهم»^(١)

و من هنا يظهر: إنّ كلّ كلام جاء فيه وصف أبي بكر بـ «الصدّيق» فهو ليس من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، وإن نسب إليه في كتبهم ولو بسند صحيح عندهم، كما هو الحال في

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٧ / ٥٢.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٣١٦.

وصف عمر بـ «الفاروق»، فإنّه ليس من رسول الله صلّى الله عليه وآله، بل لقد نصّ بعضهم على أن «اليهود» هم الذين لقبوه بهذا اللقب!

المطلب الثالث: في اعتبار هذا الحديث سنداً:

فقد أرسله بعضهم كالفخر الرازي إرسال المسلّم، ووضع الحافظ السيوطي علامة «ح» على أحد لفظيه إشارةً إلى حسنه، وهو ظاهر العلامة المناوي أيضاً، وجعله الحافظ ابن حجر المكي من غرر مناقب علي عليه السلام.

أقول:

و من أسانيده في الكتب المعتمدة: رواية الحافظ الدارقطني، وهذا نصّ كلامه:
«وأما خربيل، فهو مؤمن آل ياسين، ذكره في حديث ابن أبي ليلى عن أبيه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: الصديقون ثلاث، حبيب بن مري النجار مؤمن آل فرعون، وخربيل مؤمن آل ياسين، والثالث علي بن أبي طالب عليه السلام وهو أفضلهم.
حدّثنا بذلك محمّد بن القاسم بن بشار الأنباري وآخرون قالوا: حدّثنا محمّد بن يونس الكديمي، حدّثنا عبدالرحمن بن أبي ليلى، حدّثنا عمرو بن جميع، عن ابن أبي ليلى عن أخيه عيسى عن عبدالرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن النبي صلّى الله عليه وسلّم بذلك»^(٢)
وهذا السند لا كلام في رجاله إلا في «الكديمي» و«عمرو بن جميع».

(١) السيرة الحلبية ١ / ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٢) المؤتلف والمختلف ٢ / ٧٧٠.

أما «محمد بن يونس الكديمي» فقد ذكروا أنه من رجال صحيح أبي داود، وترجم له الخطيب ترجمة مطوّلة فقال: «كان حافظاً كثير الحديث، سافر وسمع بالحجاز واليمن، ثم انتقل إلى بغداد فسكنها وحدث بها، فروى عنه من أهلها...» فذكر جمعاً كثيراً من الأَكابر.

وروى بإسناده عن عبدالله بن أحمد قال: سمعت أبي يقول: كان محمد بن يونس الكديمي حسن الحديث، حسن المعرفة، ما وجد عليه إلا صحبته لسليمان الشاذكوني.

وروى أيضاً عن ابن خزيمة أنه قال: كتبت عنه بالبصرة في حياة أبي موسى وبندار.

وعن أبي الأحوص محمد بن الهيثم أنه سئل عن الكديمي فقال: تسألوني عنه؟ هو أكبر مني وأكثر علماً، ما علمت إلا خيراً.

و عن عبدان الأهوازي أنه سئل عنه فقال: رجل معروف بالطلب والسماع الكثير، فأتني عن محمد بن معمر بعض التفسير فسمعت من الكديمي.

و عن جعفر الطيالسي: الكديمي ثقة، ولكن أهل البصرة يحدثون بكل ما يسمعون.

و عن الخطيب: كان ثقة.

وأورد الخطيب كلمات في الطعن عليه بل رميه بالكذب، إلا أنه قال ما نصّه:

«قلت: لم يزل الكديمي معروفاً عند أهل العلم بالحفظ مشهوراً بالطلب، مقدّماً في الحديث، حتى

أكثر من روايات الغرائب والمناكير، فتوقّف إذ ذاك بعض الناس عنه ولم ينشطوا للسماع منه».

أقول:

هذه خلاصة كلماتهم في الرجل، لكنّ السبب في قبح الرجل: صحبته لسليمان الشاذكوني، كما

عن أحمد بن حنبل، أو تحديثه بكل ما سمع كما عن الطيالسي، أو إكثاره من الغرائب والمناكير كما

قال الخطيب. ولذا أورده الذهبي في ميزانه وجعل من مناكيره: إن رسول الله قال لعلي: سلام عليك يا

أباريحانتي. أوصيك بريحانتي من الدنيا خيراً، فعن قليل يهدّ ركنك، فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم قال: هذا أحد الركنين، فلما ماتت فاطمة عليها السلام قال: هذا الركن الآخر.

لكن الحافظ ابن حجر لم يذكره في (لسانه) لكونه من رجال أبي داود، وقد قرّر أن لا يدخل في هذا الكتاب من أخرج له في الصحاح الستة.^(١)

والإنصاف بالنظر إلى ما تقدّم: إنّ الرجل ثقة.

ثم إنهم قد رووا الحديث من غير طريق الكديمي، كما ستعلم.

و من أسانيده: الروايتان في كتاب فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل:

«حدثنا محمد قال: حدثنا الحسن بن عبدالرحمن الأنصاري قال: حدثنا عمرو بن جميع، عن

ابن أبي ليلى، عن أخيه عيسى، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه قال: قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: الصديقون ثلاثة حبيب بن موسى النجار مؤمن آل يس، وخرتيل مؤمن آل

فرعون، وعلي ابن أبي طالب وهو أفضلهم»^(٢)

قال محققه: «موضوع لأجل عمرو بن جميع».

«وفيما كتب إلينا عبدالله بن غنام الكوفي، يذكر أنّ الحسن بن عبدالرحمن ابن ليلى المكفوف

حدثهم قال: أنا عمرو بن جميع البصري، عن محمد بن أبي ليلى عن عيسى بن عبدالرحمن، عن

عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه أبي ليلى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الصديقون

(١) راجع: تاريخ الخطيب ٣ / ٤٣٥، سير أعلام النبلاء ١٣ / ٣٠٢، تهذيب التهذيب ٩ / ٤٧٥، ميزان الاعتدال في

نقد الرجال ٤ / ٧٤.

(٢) فضائل الصحابة ٢ / ٦٢٧ رقم ١٠٧٢.

ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل يس الذي قال (يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ) وحزقيل مؤمن آل فرعون

الذي قال (أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ) وعلي بن أبي طالب الثالث وهو أفضلهم»^(١)

قال: محققه: «موضوع، والمتهم به: عمرو بن جميع».

لكن قد عرفت تحسين الحافظ السيوطي - وموافقة المناوي له - رواية أبي نعيم وابن عساکر،

وهذا هو السند:

«أنبأنا أبو سعد المطرز وأبو علي الحسن بن أحمد قالوا: أنبأنا أبو نعيم الحافظ، أنبأنا إبراهيم بن

أحمد بن أبي حصين، أنبأنا عبيد بن غنام، أنبأنا الحسن بن عبدالرحمن، أنبأنا عمرو بن جميع، عن ابن

أبي ليلى، عن أخيه عيسى، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه قال: قال رسول الله

صلّى الله عليه وسلّم: الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل ياسين وحزقيل مؤمن آل فرعون

وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم»^(٢)

و لو كان موضوعاً لما اتفق هذا الجهم الغفير من الأكابر على روايته، وهو في فضل

علي عليه السلام، وبلا تنبيه على أنه موضوع...

ولما فسّروا به آيات القرآن الكريم....

و لما اعتمده مثل الدارقطني في تعيين اسم مؤمن آل فرعون المختلف في اسمه... .

ولما اضطرّ بعضهم إلى تحريفه بوضع اسم «أبي بكر» موضع اسم علي^(١)!!...

و كيف؟ وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا الصديق الأكبر، أمنت قبل أن يؤمن أبو بكر،

وأسلمت قبل أن يسلم»^(٢)

(١) فضائل الصحابة ٢ / ٦٥٥ رقم ١١١٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ٣١٣.

وقال في حديث: «اللهم لأعرف عبداً من هذه الأمة عبدك قبلي غير نبيك - ثلاث مرّات - لقد صلّيت قبل أن يصلّي الناس سبعا».

قال الحافظ أبو بكر الهيثمي: «رواه أحمد وأبو يعلى باختصار، والبزار والطبراني في الأوسط. وإسناده حسن»^(٣)

وأخرج ابن ماجة والحاكم بالإسناد عنه عليه السلام: «إني عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذب، صلّيت قبل الناس بسبع سنين قبل أن يعبد أحد من هذه الأمة». في الزوائد: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، رواه الحاكم في المستدرک عن المنهال وقال: صحيح على شرط الشيخين»^(٤)

قلت: ومن هذا اللفظ الوارد في كثير من الكتب يظهر أنّ المراد من كلمة «بعدي» هو البعدية الرتيبة لا الزمانية، أي: لا يقولها «غيري» إلا كاذب، ولذا جاءت كلمة «غيري» بدل «بعدي» في بعض المصادر المعتمدة.

و في بعض المصادر بالإسناد عن عبد الله بن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ستكون فتنة، فمن أدركها فعليه بخصلتين: كتاب الله وعلي ابن أبي طالب، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول - وهو أخذ بيد علي - هذا أول من آمن بي وأول من يصفحني يوم القيامة، وهو فاروق هذه الأمة، يفرّق بين الحق والباطل، وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظلمة، وهو الصديق الأكبر، وهو خليفتي من بعدي».

(١) الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي ١٥ / ٣٠٦.

(٢) الكنى والأسماء ٢ / ٨١.

(٣) مجمع الزوائد ٩ / ١٠٢.

(٤) سنن ابن ماجة ١: ٨٩ / ١٢٠. المستدرک على الصحيحين ٣: ١١٢.

فيكون الحديث نصاً في الإمامة والخلافة لأميرالمؤمنين بعد رسول الله مباشرة، من وجوه

عديدة... .

و من هنا لم تتحمّله نفس الذهبي، فقال بعد إيراده بترجمة «داهر بن يحيى الرازي»: «فهذا

باطل. ولم أر أحداً ذكر داهراً حتى ولا ابن أبي حاتم بلديّه»^(١)

قلت: فانظر كيف يبطل الحديث مع اعترافه بأن أحداً لم يذكر «داهراً» بجرح؟! وانظر من

الكاذب؟ ومن المتعصّب؟ واحكم بما يقتضيه الدين والإنصاف.

(١) ميزان الاعتدال ٢: ٣.

البرهان السابع والعشرون

قوله تعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً).

من طريق أبي نعيم الحافظ بإسناده إلى ابن عباس قال: نزلت في علي، كان معه أربعة دراهم،

فأنفق بالليل درهماً وبالنهـار درهماً، وفي السرّ درهماً، وفي العلانية درهماً.

وكذا رواه الثعلبي في تفسيره.

و لم يحصل لغير علي عليه السلام ذلك، فيكون أفضل فيكون هو الإمام.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بصحة النقل، ورواية أبي نعيم والثعلبي لا تدل على الصحة.

الثاني: إن هذا كذب ليس بثابت.

الثالث: إن الآية عامّة في كلّ من ينفق بالليل والنهار سرّاً وعلانية... .

الرابع: إنّ ما ذكر من الحديث يناقض مولود الآية، فإنّ الآية تدلّ على الإنفاق في الزمانين

الذين لا يخلو الوقت عنهما... وليس الإنفاق سرّاً وعلانيةً خارجاً عن الإنفاق بالليل والنهار...

الخامس: إنا لو قدرنا أن علياً فعل ذلك ونزلت فيه الآية، فهل هنا إلاّ إنفاق أربعة دراهم في أربعة

أحوال؟ وهذا عمل مفتوح بابـه ميسّر إلى يوم القيامة...

فليس هذا من الخصائص، فلا يدلّ على فضيلة الإمامة.

أقول:

قال الحافظ السيوطي في الدرّ المنثور بتفسير هذه الآية:

«وأخرج عبدالرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن عساكر، من طريق عبدالوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) قال: نزلت في علي بن أبي طالب، كانت له أربعة دراهم، فأنفق بالليل درهماً وبالنهـار درهماً وسراً درهماً وعلانيةً درهماً»^(١).

فمن رواة هذا الخبر:

١. عبدالرزاق بن همّام الصنعاني، وهو شيخ البخاري.

٢. عبد بن حميد، وهو صاحب المسند المعروف.

٣. ابن المنذر، وهو المفسر الكبير.

٤. ابن أبي حاتم، صاحب التفسير وغيره من الكتب المعتمدة.

٥. الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة.

٦. ابن عساكر، حافظ الشام.

فقد أورد السيوطي هذا الحديث بذيـل الآية المذكورة، ونسبه إلى هؤلاء الأعلام، وهم يرونه عن

عبدالوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس.

و رواه الحافظ ابن الأثير بإسناده عن «عبدالرزاق، حدّثنا عبدالوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن

عبّاس... (ثم قال):

ورواه عفّان بن مسلم، عن وهيب، عن أيوب، عن مجاهد، عن ابن عباس؛ مثله»^(٢).

(١) الدرّ المنثور ٢ / ١٠٠.

(٢) أسد الغابة ٣ / ٦٠١.

هذا، ووردت الرواية في:

١. تفسير القرطبي: «عن عبدالرزاق: أخبرنا عبدالوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس، أنه

قال: نزلت في علي...»^(١)

٢. تفسير البغوي: «روي عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما...»^(٢)

٣. تفسير ابن كثير: «قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، أخبرنا يحيى ابن يمان، عن

عبدالوهاب بن مجاهد بن جبر، عن أبيه، قال: كان لعلّي أربعة دراهم... .

و كذا رواه ابن جرير، من طريق عبدالوهاب بن مجاهد، وهو ضعيف.

لكن رواه ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس أنّها نزلت في عليّ ابن طالب»^(٣)

٤. تفسير الشوكاني: «وأخرج عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم

والطبراني وابن عساكر، من طريق عبدالوهاب بن مجاهد، عن أبيه، عن ابن عباس، في هذه الآية... .

وعبدالوهاب ضعيف، ولكن قد رواه ابن مردويه من وجه آخر عن ابن عباس»^(٤)

٥. تفسير الألوسي: «واختلف في من نزلت، فأخرج عبدالرزاق وابن المنذر، عن ابن عباس رضي

الله تعالى عنهما أنّها نزلت في عليّ كرم الله تعالى وجهه... .

و في رواية الكلبي: قال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما حملك على هذا؟ قال:

حملني أن أستوجب على الله تعالى الذي وعدني؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا

إنّ ذلك لك»^(١)

(١) الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي ٣ / ٣٤٧.

(٢) معالم التنزيل ١ / ٣٩٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم ١ / ٧٠٨.

(٤) فتح القدير ١ / ٢٩٤.

وتلخص:

١. أنه قد أخرج المحدثون والمفسرون وأصحاب الكتب في أسباب النزول نزول الآية في الأمير عليه السلام، فإن كان هؤلاء الأئمة الأعلام، والحفاظ الثقات، كاذبين على ابن عباس، فما ذنبنا؟!

وإن كانت تفاسيرهم باطلة، وهم جهال، فما ذنبنا؟!

٢. لكنّ الحديث بالسند المذكور ليس بكذب، وإلا لم يورده ابن أبي حاتم في تفسيره الذي نصّ ابن تيميّة على خلوه من الأكاذيب.^(٢)

و هذا أحد مواضع تناقضات ابن تيميّة في منهاجه، وما أكثرها!!

٣. على إنّه لو كان الإسناد المذكور ضعيفاً، فقد روى عن ابن عباس بغير هذا الإسناد، وقد تقدّم عن أسد الغابة، كما تقدّم التصريح بذلك من ابن كثير والشوكاني؛ فهل جهل به ابن تيميّة ومقلدوه، أو تجاهلوه عناداً وكنموه؟!

تنبيه:

قال بعض الكذابين: «إنّ الآية نزلت في أبي بكر حين تصدّق بأربعين ألف دينار! عشرة بالليل وعشرة بالنهار وعشرة في السرّ وعشرة في العلانية!».

أورده النسفي^(٣)، والخطيب الشرييني^(٤).

(١) روح المعاني ٣ / ٤٨.

(٢) منهاج السنّة ٧ / ١٣.

(٣) تفسير النسفي ١ / ١٥٣.

(٤) تفسير السراج المنير ١ / ١٨٣.

وتعرّض له الآلوسي فقال: «وقال بعضهم: إنّها نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، تصدّق بأربعين ألف... تعقبه الإمام السيوطي بأنّ حديث تصدّقه بأربعين ألف دينار رواه ابن عساكر في تاريخه عن عائشة رضي الله تعالى عنها، وخبر أنّ الآية نزلت فيه لم أقف عليه...»^(١)

أقول:

ويا ليته وضع لا على لسان ابنته عائشة!!

ولربّما كان واضعه جاهلا بمقدار الأربعين ألف دينار!!

ولعله كان يرى أنّ هذه إحدى تصدّقات أبي بكر!!

ثمّ جاء أئمّة القوم يذكرون في البحوث الكلاميّة أنّ أبابكر كان «ضعيف الحال، عديم

المال»^(٢)!!

(١) روح المعاني ٣ / ٤٨.

(٢) شرح المقاصد ٥ / ٢٦٠.

البرهان الثامن والعشرون

ما رواه أحمد بن حنبل عن ابن عباس قال: ليس من آية في القرآن (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) إلاّ وعليّ رأسها وأميرها وشريفها وسيدها. ولقد عاتب الله عزّ وجلّ أصحاب محمد صلّى الله عليه وآله في القرآن وما ذكر عليّاً إلاّ بخير.

و هذا يدلّ على أنه أفضل فيكون هو الإمام

قال ابن تيميّة:

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بصحّة النقل، وليس هذا في مسند أحمد ولا مجرّد روايته له - لو رواه - في الفضائل يدلّ على أنه صدق، فكيف ولم يروه أحمد لا في المسند ولا في الفضائل، وإنما هو من زيادات القطيعي...

الثاني: إن هذا كذب على ابن عباس...

الثالث: إن هذا الكلام ليس فيه مدح لعلي، فإنّ كثيراً ما يخاطب الناس بمثل هذا في مقام عتاب، كقوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) فإن كان علي رأس هذه الآية، فقد وقع منه هذا الفعل الذي أنكره الله وذمّه...

الرابع: هو ممّن شمله الخطاب وإنّ لم يكن هو سبب الخطاب، فلا ريب أن اللفظ شمله كما

يشتمل غيره، وليس في لفظ الآية تفريق بين مؤمن ومؤمن.

الخامس: إن قول القائل عن بعض الصحابة: إنه رأس الآيات وأميرها وشريفها وسيدها، كلام لاحققة له...

السادس: إن قول القائل: لقد عاتب الله أصحاب محمد في القرآن وما ذكر علياً إلا بخير، كذب معلوم، فإنه لا يعرف أن الله عاتب أبابكر في القرآن... كما نقل ذلك عن غيره، فإن علياً لما خطب بنت أبي جهل... وقال النبي صلى الله عليه (وآله) وسلّم: وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً، لما قال له ولفاطمة: ألا تصليان؟

فقالا: إنما أنفسنا بيد الله سبحانه وتعالى.

أقول:

لقد جهل الرجل أو تجاهل مراد ابن عباس من هذا الكلام، فإنه يريد أن علياً عليه السلام رأس المؤمنين وأميرهم وشريفهم وسيدهم، سواء كانت الآيات التي خوطب بها المؤمنون شاملةً له أولاً. ولذا كان هذا الحديث من الدلائل على أفضلية الإمام عليه السلام، لوضوح أن من كان سيّد المؤمنين وأميرهم هو الإمام لهم والمقدّم عليهم. هكذا كانت عقيدة ابن عباس في علي عليه السلام. و ممّا يشهد بكون ذلك عقيدته: حديث الخصائص العشر المرّوي عنه بالأسانيد الصحيحة التي لا كلام لأحد في صحّتها وثبوتها.

لكن ابن تيميّة قد كرّر الافتراء على ابن عباس بأنه كان يفضّل أبابكر وعمر على الإمام عليه السلام، وأنه كان يفتي بقولهما ويقدمه على قول الإمام، بل كان يعيبه ويأخذ عليه في أشياء من اموره - والعياذ بالله - .

ثم إن الكلام المذكور قد رواه عن ابن عباس:

ابن أبي حاتم الرازي في تفسيره كما في الصّواعق.

والطبراني كما في الصّواعق.

وأبونعيم الإصفهاني في الحلية

وابن مردويه، كما في كشف الغمة في معرفة الأئمة

وابن عساكر في تاريخ دمشق

وأبو العبّاس محبّ الدين الطبري في ذخائر العقبى عن أحمد عن ابن عباس.

وغيرهم...

فسواء كان الحديث في المسند أو في الفضائل، برواية أحمد نفسه أو من زيادات القطيعي - الثقة

الصّدوق عندهم، حتى قال الخطيب: لم أر أحداً ترك الاحتجاج به^(١) - فهو كلام ثابت عن ابن عباس.

قال ابن أبي حاتم - في تفسيره الذي التزم فيه بالصّحة ونصّ ابن تيميّة على خلّوه من

الموضوعات^(٢) - : حدثنا أبي، ثنا سهل بن عثمان العسكري، حدثني عيسى بن راشد قال: سمعت علي

بن بزيمة قال: سمعت عكرمة يحدث عن ابن عبّاس قال: ما أنزل آية...^(٣)

وقال الطبراني: حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي،^(٤) ثامنجاب بن الحارث، ثنا عيسى بن

راشد... مثله^(٥)

وقال ابن عساكر: أخبرنا أبو غالب ابن البنا، أنا محمد بن أحمد بن الآبنوسي، أنا أبو الحسن

الدارقطني، نا محمد بن القاسم بن زكريا المحاربي، ناعباد بن يعقوب، نا موسى بن عثمان عن

(١) تاريخ بغداد ٤ / ٧٣.

(٢) منهاج السنّة ١٣/٧.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ١ / ١٩٦.

(٤) وهو المطّين.

(٥) المعجم الكبير ١١ / ٢٦٤.

الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال: ما أنزل الله آية (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) إلاّ علي رأسها وأميرها.^(١)

و قال أبونعيم: حدثنا محمد بن عمر بن غالب، ثنا محمد بن أحمد بن أبي خيثمة، قال ثنا عبّاد بن يعقوب، ثنا موسى بن عثمان الحضرمي عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلّم: ما أنزل الله آيةً فيها «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» إلاّ وعلي رأسها وأميرها.

لم نكتبه مرفوعاً إلاّ من حديث ابن أبي خيثمة، والناس روه موقوفاً.^(٢)

و رواه ابن عساكر بسند آخر، ليس فيه أحدٌ ممّن ذكر، فهو عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، وفيه: إلاّ وعلي بن أبي طالب كبيرها وأميرها.

فهذا طرف من أسانيد القوم، وقد عرفت منها رواية جمع من أكابر الأئمة الحفاظ كالمطيين والدارقطني أيضاً، بحيث لا يمتري منصف في ثبوته، وقد عرفت معناه آنفاً.

فالحديث من أدلة إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بلا كلام.

وأما ما ذكره ابن تيميّة من قضيّة خطبة ابنة أبي جهل، فهي قضيّة مفتعلة، وقد وضعنا في إثبات وضعها رسالةً مفردة. وكذا ما روه عن الزهري - الذي كان شرطّي بني اميّة - من قضيّة صلاة علي والزهراء.

(١) تاريخ دمشق ٣٦٢/٤٢.

(٢) حلية الأولياء ٦٤/١.

البرهان التاسع والعشرون

قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).

من صحيح البخاري عن كعب بن عجرة قال: سألتنا رسول الله صلى الله عليه وآله فقلنا: يا رسول الله، كيف الصلاة عليكم أهل البيت، فإن الله قد علمنا كيف نسلم؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد.

ومن صحيح مسلم: قلنا يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ فقال:

قولوا: اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم.

ولا شك في أن علياً أفضل آل محمد، فيكون أولى بالإمامة.

قال ابن تيمية:

والجواب: إنه لا ريب أن هذا الحديث صحيح متفق عليه، وأن علياً من آل محمد الداخلين في قوله: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. ولكن ليس هذا من خصائصه، فإن جميع بني هاشم داخلون... ومعلوم أن دخول كل هؤلاء في الصلاة والتسليم لا يدل على أنه أفضل من كل من لم يدخل في ذلك، ولا أنه يصلح بذلك للإمامة... وليس علي أفضل أهل البيت، بل أفضل أهل البيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنه داخل في أهل البيت...

وليس إذا كان علي أفضل أهل البيت بعد رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] يجب أن يكون أفضل الناس بعده، لأن بني هاشم أفضل من غيرهم، فإن رسول الله منهم، وأمّا إذا خرج منهم، فلا يجب أن يكون أفضلهم بعده أفضل ممّن سواهم...

وهذا كلّ بناءً على أنّ الصّلاة والسلام على آل محمّد وأهل بيته تقتضي أن يكونوا أفضل من سائر أهل البيوت. وهذا مذهب أهل السنّة والجماعة الذين يقولون: بنو هاشم أفضل قريش وقريش أفضل العرب والعرب أفضل بني آدم، وهذا هو المنقول عن أئمة السنّة.

أقول:

إنّه لاخلاف في أنّ النبي صَلَّى الله عليه وآله أفضل بني هاشم، الذين هم أفضل قريش، الذين هم أفضل العرب، كما في الأحاديث المتفق عليها.

ولا خلاف في أنّ عليّاً من أهل بيته الذين هم أفضل بني هاشم...

فعليّ أفضل بني هاشم وقريش والعرب.

و من كان الأفضل كان هو الإمام بعد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله بلافضل.

وقال الرازي - في الوجوه الدالّة على اختصاص علي وفاطمة والحسين بمزيد التعظيم - :

«الثالث: إنّ الدعاء للآل منصب عظيم، ولذلك جعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة وهو قوله:

اللّهُمَّ صَلِّ...»

وقد تعقّب بعض علمائنا هذا الكلام بما يعجبني نقله بطوله، قال:

«فائدة: قال القاضي النعمان: أجمل الله في كتابه قوله (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى

النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) فبينه النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلّم

لأمّته، ونصب أوليائه لذلك من بعده، وذلك معجز لهم لا يوجد إلّا فيهم، ولا يعلم إلّا فيهم، فقال

حين سألوا عن الصلاة عليه قولوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ.

فَالصَّلَاةُ الْمَأْمُورُ بِهَا عَلَى النَّبِيِّ وَآلِهِ لَيْسَتْ هِيَ الدَّعَاءُ لَهُمْ كَمَا تَزْعُمُ الْعَامَّةُ، إِذْ لَا نَعْلَمُ أَحَدًا دَعَا لِلنَّبِيِّ فَاسْتَحْسَنَهُ، وَلَا أَمْرًا أَحَدًا بِالدَّعَاءِ لَهُ، وَإِلَّا لَكَانَ شَافِعًا فِيهِ. وَلَئِنَّهُ لَوْ كَانَ جَوَابَ قَوْلِهِ تَعَالَى (صَلُّوا عَلَيْهِ) اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ رَدًّا لِأَمْرِهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَ لِغَيْرِهِ: إِفْعَلْ كَذَا، فَقَالَ: إِفْعَلْ أَنْتَ. وَلَوْ كَانَتْ الصَّلَاةُ الدَّعَاءَ، لَكَانَ قَوْلُنَا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، بِمَعْنَى: اللَّهُمَّ ادْعُ لَهُ، وَهَذَا لَا يَجُوزُ.

وَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ عِنْدَ ذِكْرِهِ يَصَلُّونَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، فَلَمَّا تَغَلَّبَ بَنُو أُمَيَّةٍ قَطَعُوا الصَّلَاةَ عَنِ آلِهِ فِي كِتَابِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ، وَعَاقَبُوا النَّاسَ عَلَيْهَا بَغْضًا لِآلِهِ الْوَاجِبَةَ مَوَدَّتِهِمْ، مَعَ رَوَايَتِهِمْ أَنَّ النَّبِيَّ سَمِعَ رَجُلًا يَصَلِّي عَلَيْهِ وَلَا يَصَلِّي عَلَى آلِهِ فَقَالَ: لَا تَصَلُّوا عَلَى الصَّلَاةِ الْبِتْرَةِ، ثُمَّ عَلَّمَهُ مَا ذَكَرْنَاهُ أَوْلًا. فَلَمَّا تَغَلَّبَ بَنُو الْعَبَّاسِ أَعَادُوهَا وَأَمَرُوا النَّاسَ بِهَا، وَبَقِيَ مِنْهُمْ بَقِيَّةٌ إِلَى الْيَوْمِ لَا يَصَلُّونَ عَلَى آلِهِ عِنْدَ ذِكْرِهِ.

هَذَا فَعَلَهُمْ، وَلَمْ يَدْرِكُوا أَنَّ مَعْنَى الصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ سِوَى الدَّعَاءِ لَهُمْ - وَفِيهِ شَمَّةٌ لِهَضْمَةِ مَنْزِلَتِهِمْ، حَيْثُ إِنَّ فِيهِ حَاجَةً مَّا إِلَى دَعَاءِ رَعِيَّتِهِمْ - فَكَيْفَ لَوْ فَهَمُوا أَنَّ مَعْنَى الصَّلَاةِ هُنَا الْمَتَابَعَةُ؟! وَمِنْهُ الْمَصْلِيُّ مِنَ الْخَيْلِ، فَأَوَّلُ مَنْ صَلَّى النَّبِيُّ - أَيُّ تَبَعٍ - جَبْرِيلُ، حِينَ عَلَّمَهُ الصَّلَاةَ، ثُمَّ صَلَّى عَلَى النَّبِيِّ، إِذْ هُوَ أَوَّلُ ذَكَرَ صَلَّى بِصَلَاتِهِ، فَبَشَّرَهُ اللَّهُ النَّبِيُّ أَنَّهُ يَصَلِّي عَلَيْهِ بِإِقَامَةٍ مِنْ يَنْصِبُهُ مَصْلِيًّا لَهُ فِي أُمَّتِهِ، وَذَلِكَ لَمَّا سَأَلَ النَّبِيُّ بِقَوْلِهِ: (وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي) عَلِيًّا (اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي) ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: (صَلُّوا عَلَيْهِ) أَيُّ: اعْتَقِدُوا وَايَةَ عَلَى وَسَلَّمُوا لِأَمْرِهِ. وَقَوْلُ النَّبِيِّ: قَوْلُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ. أَيُّ: اسْأَلُوا اللَّهَ أَيُّ يَقِيمُ لَهُ وَوَايَةَ وَوَايَةَ يَتَّبِعُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا كَمَا كَانَ فِي آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَقَوْلُهُ: وَبَارِكْ عَلَيْهِمْ، أَيُّ: أَوْقِعِ النَّمُوَّ فِيهِمْ، فَلَا تَقْطَعِ الْإِمَامَةَ عَنْهُمْ.

ولفظ الآل وإن عمّ غيرهم إلا أنّ المقصود هم، لأنّ في الأتباع والأهل والأولاد فاجرو كافر لا

تصلح الصّلاة عليه.

فظهر أنّ الصّلاة عليه هي اعتقاد وصيّته والأئمة من ذرّيّته، إذ بهم كمال دينهم وتمام النعمة

عليهم، وهم الصّلاة التي قال الله إنّها تنهى عن الفحشاء والمنكر، لأنّ الصّلاة الراتبة لا تنهى عن

ذلك في كثير من الموارد»^(١)

(١) الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم ١/١٩٠-١٩١.

البرهان الثلاثون

قوله تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ)

من تفسير الثعلبي، وطريق أبي نعيم، عن ابن عباس في قوله تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ)

قال: علي وفاطمة (بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ) النبي صَلَّى الله عليه وآله (يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْؤُ

وَالْمَرْجَانُ) الحسن والحسين صَلَّى الله عليه وآله.

و لم يحصل لغيره من الصحابة هذه الفضيلة، فيكون أولى بالإمامة.

قال ابن تيمية:

والجواب: إن هذا وأمثاله إنما يقوله من لا يعقل ما يقول، وهذا بالهذيان أشبه منه بتفسير

القرآن...

ثم ذكر أشياء أخرى لاجابة لذكرها.

أقول:

هذا الحديث رواه الثعلبي وأبو نعيم وابن مردويه والسيوطي وغيرهم من العلماء والحفاظ من أهل

السنة، روه بأسانيد مختلفة عن جماعة من الصحابة: ابن عباس وأبي ذر وسلمان وأبي سعيد الخدري

وأنس بن مالك... فإن كان هؤلاء كلهم لا يعقلون ما يقولون... فما ذنبنا؟!!

البرهان الحادي والثلاثون

قوله تعالى: (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)

من طريق الحافظ أبي نعيم عن ابن الحنفية قال: هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفي تفسير الثعلبي عن عبدالله بن سلام قلت: من هذا الذي عنده علم الكتاب؟ فقال: إنما ذلك

علي بن أبي طالب.

وهذا يدل أنه أفضل، فيكون هو الإمام.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بصحة النقل عن ابن سلام وابن الحنفية.

الثاني: إنه بتقدير ثبوته، ليس بحجة مع مخالفة الجمهور لهما.

الثالث: إن هذا كذب عليهما.

الرابع: إن هذا باطل قطعاً.

الخامس: إن الله سبحانه وتعالى قد ذكر الاستشهاد بأهل الكتاب في غير آية.

السادس: إنه لو قدر أن علياً هو الشاهد، لم يلزم أن يكون أفضل من غيره.

أقول:

لم يصرح ابن تيمية بأن المراد عبدالله بن سلام، كما ورد في غير واحد من كتب التفسير عندهم^(١)، ولعله لعلم الجميع ببطلان ذلك القول، لأن عبدالله بن سلام إنما أسلم بالمدينة والآية مكية، وقد روى ذلك جماعة من كبار المفسرين، كابن جرير الطبري وابن المنذر النيسابوري، بأسانيدهم عن سعيد بن جبير: أنه سئل عن هذه الآية أهو عبدالله بن سلام؟

فقال: كيف، وهذه السورة مكية؟^(٢)

فإذن، من المقصود من (مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)؟

روى الثعلبي والحاكم الحسكاني بإسنادهما عن عبدالله بن عطاء قال: كنت جالساً مع أبي جعفر في المسجد، فرأيت عبدالله بن سلام جالساً في ناحية، فقلت لأبي جعفر: زعموا أن الذي عنده علم الكتاب عبدالله بن سلام.

فقال: إنما ذلك علي بن أبي طالب^(٣)

ورواه الفقيه ابن المغازلي الشافعي بإسناده عن علي بن عباس قال: دخلت أنا وأبو مريم علي عبدالله بن عطاء، قال أبو مريم: حدثت علياً بالحديث الذي حدثتني عن أبي جعفر. قال:

كنت عند أبي جعفر جالساً، إذ مرّ عليه ابن عبدالله بن سلام، قلت: جعلني الله فداك، هذا ابن الذي عنده علم من الكتاب؟ قال: لا، ولكنه صاحبكم علي بن أبي طالب، الذي نزلت فيه آيات من كتاب الله - عز وجل - الذي (عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ). (أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ) و (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ)^(٤).

(١) الدر المنثور ٤/٦٦٩، تفسير ابن كثير ٢/٥٠٢، تفسير الرازي ١٩/٧٦.

(٢) الدر المنثور ٤/٦٦٩، تفسير القرطبي ٩/٢٢٠ وغيرهما.

(٣) الكشف والبيان - تفسير الثعلبي ٥/٣٠٢، شواهد التنزيل ١/٤٠٢.

(٤) مناقب علي بن أبي طالب / ٣١٣.

و هذا هو قول أهل البيت عليهم السلام، وقد رواه الثعلبي وأبو نعيم عن محمد بن الحنفية،
والشيخ القندوزي الحنفي عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام وعن زيد بن علي رضوان
الله عليه.

على أن الآية المباركة لا تصدق إلا على أمير المؤمنين، فمن هو العالم بعلم الكتاب غيره؟
إنه الذي نصّ النبي صلى الله عليه وآله في الحديث الصحيح على أنه مع القرآن والقرآن معه
لايفترقان^(١)

و هو الذي قال: والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيهم أنزلت وأين أنزلت^(٢)
و هو الذي قال: سلوني عن كتاب الله، فإنه ليس آية إلا وقد عرفت أبليل نزلت أم بنهار، في
سهل أو جبل^(٣)

ثم إن دلالة الآية على إمامة أمير المؤمنين واضحة، لأنّ قوله تعالى: **(قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)** ظاهر في اقتران شهادته بشهادة الله عزّ وجلّ، ومن كان
كذلك فهو في العلم والفضل والكمال مقدّم على غيره، مضافاً إلى دلالة الآية على العصمة،
ولا معصوم بعد النبي سواه، فهو الإمام من بعده.

(١) المستدرک علی الصحیحین ١٣٤/٣.

(٢) حلية الأولياء ٦٧/١، أنساب الأشراف ٩٩/١.

(٣) أنساب الأشراف ٩٩/١، الإستيعاب ١١٠٧/٣.

البرهان الثاني والثلاثون

قوله تعالى: (يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ)

روى أبو نعيم مرفوعاً إلى ابن عباس قال: أول من يكسى من حلل الجنة إبراهيم لخلته من الله، ومحمد صلى الله عليه وآله لأنه صفوة الله، ثم عليّ يزفُ بينهما إلى الجنان. ثم قرأ ابن عباس: (يَوْمَ

لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ)، قال: عليّ وأصحابه.

وهذا يدلّ على أنه أفضل من غيره، فيكون هو الإمام.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بصحة النقل، لاسيما في مثل هذا الذي لا أصل له.

الثاني: إن هذا كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث.

الثالث: إن هذا باطل قطعاً، لأن هذا يقتضي أن يكون علي أفضل من إبراهيم ومحمد، لأنه

وسط وهما طرفان، وأفضل الخلق إبراهيم ومحمد، فمن فضل عليها عليّاً كان أكفر من اليهود والنصارى.

الرابع: إنه قد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: أول من يكسى يوم

القيامة إبراهيم. وليس فيه ذكر محمد ولا علي. وتقديم إبراهيم بالكسوة لا يقتضي أنه أفضل من محمد

مطلقاً.

الخامس: إن قوله تعالى: (يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ...) نصّ عام في المؤمنين... فدخل علي في هذه الآية كدخل الثلاثة، بل هم أحق بالدخول فيها. فلم يثبت بها أفضليته ولا إمامته.

أقول:

هذا حديث اتفق الخاصة والعامة على نقله عن ابن عباس، وليس بكذب، ولا هو باطل، لعدم اقتضاء كون الأمير عليه السلام بينهما أن يكون أفضل من النبي الأكرم وسيدنا إبراهيم عليه السلام، لكن ابن تيمية يفسر الكلام برأيه تمهيداً لردّه.

و على الجملة، فإنّ المراد بـ (الَّذِينَ آمَنُوا) في الآية هو مولانا أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه المنتجبون، وإذا كان عليه السلام مع إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وآله في الرّاف إلى الجنان، فهو أفضل الناس بعد رسول الله، وإذا كان أفضل من غيره فيكون هو الإمام من بعده.

و يبقى أن نشيرها إلى أنّ ثمة أدلة من الكتاب والسنة على أفضلية الإمام من إبراهيم عليه السلام وغيره من الأنبياء السابقين، ومنها آية المباهلة وحديث التشبيه، كما تقدّم في الكتاب.

البرهان الثالث والثلاثون

قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ).

روى الحافظ أبو نعيم بإسناده إلى ابن عباس قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (وَأَلَّهُ) لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «هُمْ أَنْتَ وَشِيعَتُكَ، تَأْتِي أَنْتَ وَشِيعَتُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَاضِينَ مَرْضِيِينَ، وَيَأْتِي عَدُوُّكَ غَضَابًا مَقْمَحِينَ».

وَإِذَا كَانَ خَيْرَ الْبَرِيَّةِ، وَجِبَ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْإِمَامَ.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بصحة النقل، وإن كنا غير مرتابين في كذب ذلك.

الثاني: إن هذا مما هو كذب موضوع باتفاق العلماء وأهل المعرفة بالمنقولات.

الثالث: أن يقال: هذا معارض بمن يقول: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم النواصب

كالخوارج وغيرهم... وهو وإن كان باطلا بلا ريب، فحجج الرافضة أبطل منه، والخوارج أعدل وأصدق وأتبع للحق من الرافضة...

الوجه الرابع: أن يقال: قوله: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) عام...

الوجه الخامس: أن يقال: من المعلوم المتواتر أن ابن عباس كان يوالي غير شيعة علي أكثر مما

يوالي كثيراً من الشيعة...

الوجه السادس: أنه قال قبل ذلك (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا...) وهذا يبين أن هؤلاء من سوى

المشركين وأهل الكتاب...

أقول:

أولاً: ليس الراوي لهذا الحديث أبو نعيم وحده حتى يقال بأن مجرد روايته ليست بحجة، فقد رواه

جمع كبير من كبار الحفاظ، كما يظهر من الأسانيد في كتب التفسير والحديث، روه عن

أمير المؤمنين عليه السلام وجابر وابن عباس وبريدة وأبي برزة الأسلمي.

وهو المروي عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام.

ولنذكر بعض الأسانيد ونصوص الكلمات:

قال ابن جرير الطبري: وقد حدثنا ابن حميد قال: حدثنا عيسى بن فرقد عن أبي الجارود، عن

محمد بن علي (أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : أنت يا علي وشيعتك»^(١)

وقال ابن عساكر: «أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنبأنا عاصم بن الحسن، أنبأنا أبو عمر بن

مهدي، أنبأنا أبو العباس بن عقدة، أنبأنا محمد بن أحمد بن الحسن القطواني، أنبأنا إبراهيم بن أنس

الأنصاري، أنبأنا إبراهيم بن جعفر بن عبدالله بن محمد ابن مسلمة، عن أبي الزبير، عن جابر بن

عبدالله الأنصاري قال: كنا عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأقبل علي بن أبي طالب، فقال النبي:

قد أتاكم أخي. ثم التفت إلى الكعبة فضر بها بيده ثم قال: والذي نفسي بيده أن هذا وشيعته لهم

الفائزون يوم القيامة. ثم قال: إنه أولكم إيماناً معي وأوفاكم بعهد الله وأقومكم بأمر الله وأعدلكم في

الرعية وأقسمكم بالسوية وأعظمكم عند الله مزية. قال: ونزلت (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُم خَيْرُ الْبَرِيَّةِ).

(١) تفسير الطبري ٣٠ / ١٧١.

فكان أصحاب محمد - صلى الله عليه وآله - إذا أقبل علي قالوا: قد جاء خير البرية.

أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنبأنا أبو القاسم بن مسعدة، أنبأنا حمزة بن يوسف، أنبأنا أبو أحمد بن عدي، أنبأنا الحسن بن علي الأهوازي، أنبأنا معمر بن سهل، أنبأنا أبو سمرة أحمد بن سالم، أنبأنا شريك، عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: علي خير البرية.

قال أبو أحمد: وهذا قد رواه غير أبي سمرة عن شريك. وروي عن غير شريك أيضاً عن الأعمش عن عطية عن جابر بن عبد الله: كنا نعدّ علياً من خيارنا. ولا يسنده هكذا إلا أبو سمرة^(١)

و قال الحاكم الحسكاني: حدّثنا الحاكم أبو عبد الله الحافظ - أقرأه وأملاه علينا - حدّثنا عبد الباقي بن قانع الحافظ - إملاء ببغداد - حدّثنا أحمد بن موسى بن إسحاق الحمّار - بالكوفة - ، حدّثنا القاسم بن الضحّاك، حدّثنا الحسن بن علي البرّاز، عن عمرو بن شمر، قال: سمعت محمد بن جحادة يحدث عن جابر الجعفي، عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: تلا النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)، فوضع يده على كتف علي، وقال: هو أنت شيعتك - يا علي - ترد أنت وشيعتك يوم القيامة رواء مرويين، ويرد عدوك عطاشاً مقمحين^(٢).

و قال الخوارزمي: أخبرني سيّد الحفّاظ أبو منصور شهردار بن شيرويه بن شهردار الديلمي - فيما كتب إليّ من همدان - ، أخبرنا عبدوس بن عبد الله بن عبدوس الهمداني كتابة، حدّثنا الشيخ أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد البرّاز - ببغداد - ، حدّثني القاضي أبو عبد الله الحسين بن هارون بن محمد بن محمد الضبي، حدّثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الحافظ أنّ محمد بن أحمد

(١) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ٣٧١.

(٢) شواهد التنزيل ٤٦٤/٢ (١١٣١).

القطواني حدّثهم، قال: حدّثنا إبراهيم بن أنس الأنصاري، حدّثنا إبراهيم بن جعفر بن عبد الله بن محمّد ابن مسلمة، عن أبي الزبير، عن جابر، قال: كنّا عند النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأقبل علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: قد أتاكم أخي، ثمّ التفت إلى الكعبة، فضربها بيده، ثمّ قال: والذي نفسي بيده، إنّ هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة. ثمّ قال: إنّهُ أولكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد الله تعالى، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعيّة، وأقسمكم بالسويّة، وأعظمكم عند الله مزيّة.

قال ونزلت فيه: **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ).**

قال: فكان أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا أقبل علي عليه السلام قالوا: قد جاء

خير البريّة.^(١)

و رواه بإسناد له آخر عن يزيد بن شراحيل الأنصاري - كاتب علي - قال: سمعت علياً يقول: حدّثني رسول الله صلّى الله عليه وآله وأنا مسنده إلى صدري، فقال: أي علي، ألم تسمع قول الله تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ)**؟ أنت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض، إذا جثت الامم للحساب، تدعون غزاً محجّلين^(٢)

و قال الطبراني: حدّثنا علي بن سعيد الرازي، قال حدّثنا محمد بن عبيد المحاربي، قال حدّثنا عبد الكريم أبو يعقوب، عن جابر، عن أبي الطفيل، عن عبد الله بن يحيى:

أنّ علياً أتى يوم البصرة بذهب أو فضة، فنكته وقال: ابيضّي واصفرّي وغزّي غيري، غزّي أهل الشام غداً إذا ظهروا عليك. فشقّ قوله ذلك على الناس، فذكر ذلك له، فأذن في الناس، فدخلوا عليه

(١) المناقب ١١١ - ١١٢ (١٢٠).

(٢) المناقب: ٢٦٥.

فقال: إن خليلي صَلَّى الله عليه وآله وسلّم قال: «يا عليّ، إنك ستقدم على الله وشيعتك راضين

مرضيين، ويقدم عليه عدوك غضاباً مقمحين، ثم جمع عليّ يده إلى عنقه يريهم كيف الإقماح.

لم يرو هذا الحديث عن أبي الطفيل إلاّ جابر. تفرد به عبدالكريم أبو يعقوب^(١)

فالحديث الذي رواه من المفسّرين:

الثعلبي، والطبري، والحبري، والسيوطي، والشوكاني، والآلوسي وغيرهم،

ورواه من المحدثين الكبار جماعة كبيرة، منهم:

أبوالعباس ابن عقدة الكوفي

أبوالقاسم ابن السمرقندي

حمزة بن يوسف

أبو أحمد بن عدي

الحاكم النيسابوري

ابن قانع

شهردار بن شيرويه الديلمي

القاضي أبو عبدالله المحاملي

أبوالقاسم الطبراني

ابن عساكر الدمشقي

ابن مردويه الإصفهاني

جلال الدين السيوطي

(١) المعجم الأوسط ٤/٥٥٥.

إنّ هذا الحديث كيف يكون كذباً موضوعاً باتّفاق العلماء؟

وأما دلّالته على الإمامة، فواضحة جدّاً، وأين أئمة القوم من هذا الذي ورد في حق

علي عليه السلام كتاباً وسنّة؟

وأما ما تقوّه به الرّجل من السبّ والشتّم للشيعّة، فلانتعّرض له وهو به أليق.

البرهان الرابع والثلاثون

قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا).

في تفسير الثعلبي عن ابن سيرين قال: نزلت في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَلِيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ،

زَوْجِ فَاطِمَةَ عَلِيًّا (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا).

ولم يثبت لغيره ذلك، فكان أفضل، فكان هو الإمام.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أولاً: المطالبة بصحة النقل.

وثانياً: إنَّ هذا كذب على ابن سيرين بلاشك.

وثالثاً: إنَّ مجرد قول ابن سيرين الذي خالفه فيه الناس ليس بحجة.

الرابع: أن يقال: هذه الآية في سورة الفرقان وهي مكيّة، وهذا من الآيات المكيّة باتفاق الناس

قبل أن يتزوَّج علي بفاطمة، فكيف يكون ذلك قد أُريد به علي وفاطمة؟

الخامس: إنَّ الآية مطلقة في كلِّ نسب وصره...

السادس: إنه لو فرض أنه أريد بذلك مصاهرة علي، فمجرد المصاهرة لا تدلُّ على أنه أفضل من

غيره باتفاق أهل السنة والشيعة. فإن المصاهرة ثابتة لكلِّ من الأربعة.

أقول:

أولاً: هذا تفسير أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وثانياً: هذا تفسير ابن عباس.

ثالثاً: هذا تفسير جمع من الصحابة.

قال القندوزي الحنفي: أبو نعيم الحافظ وابن المغازلي، أخرجا بسنديهما عن سعيد بن جبير، عن

ابن عباس، قال: «نزلت هذه الآية في الخمسة أهل العبا»

ثم قال - أي ابن عباس - : «المراد من الماء: نور النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان

قبل خلق الخلق، ثم أودعه في صلب آدم، ثم نقله من صلب إلى صلب إلى أن وصل إلى صلب

عبدالمطلب، فصار جزءين: جزء إلى صلب عبدالله، فولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وجزء إلى

صلب أبي طالب، فولد علياً، ثم ألف النكاح، فزوّج علياً بفاطمة، فولد حسناً وحسيناً».

أيضاً: الثعلبي، وموفق بن أحمد الخوارزمي، عن أبي صالح، عن ابن عباس.

أيضاً: ابن مسعود، وجابر، والبراء، وأنس، وأمّ سلمة، قالوا:

«نزلت في الخمسة أهل العبا»^(١).

ورابعاً: هذا تفسير السدي، كما روى الحاكم الحسكاني عن طريق الحافظ ابن عقدة حيث قال:

أخبرونا عن ابن عقدة قال: حدثنا محمد بن منصور قال: حدثنا أحمد بن عبدالرحمن، قال: حدثنا

الحسن بن محمد بن فرقد الأسدي قال: حدثنا الحكم بن ظهير قال حدثنا السدي في قوله تعالى:

(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا...) قال: نزلت في النبي صلى الله عليه وآله وعلي، زوّج فاطمة

علياً وهو ابن عمّه وزوج ابنته، كان نسباً وكان صهراً^(٢)

وخامساً: هذا تفسير ابن سيرين.

(١) ينابيع المودة ١/٣٥٥-٣٥٦.

(٢) شواهد التنزيل ١/٥٣٨.

فقد رواه الثعلبي عنه بإسناده^(١)، وكذا الحسكاني^(٢).

و في تفسير القرطبي^(٣) وأبي حيان^(٤): قال ابن سيرين: نزلت هذه الآية في

النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلّم وعلي رضي الله عنه، لأنه جمعه معه نسب وصهر. قال ابن عطية:
فاجتماعها وكادة حرمة إلى يوم القيامة.

فتبين أنّ هذا القول هو القول الحقّ المتفق عليه، وأنه ليس بكذب على ابن سيرين. وبذلك ظهر

أنّ الآية ليست مكينة، وبطل القول بكونها مطلقة في كلّ نسب وصهر.

وأما المعارضة بأنّ المصاهرة ثابتة للثلاثة أيضاً، فجهل أو تجاهل، لأنّ الآية جمعت بين النسب

والصهر، وهذا يختصّ بأمير المؤمنين دونهم، كما لا يخفى على من له أدنى فهم.

وأما دلالة الآية على الإمامة فظاهرة.

(١) تفسير الثعلبي ١٤٢/٧.

(٢) شواهد التنزيل ٥٣٨/١.

(٣) تفسير القرطبي ٦١/١٣.

(٤) البحر المحيط ٥٠٧/٦.

البرهان الخامس والثلاثون

قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ).

أوجب الله تعالى علينا الكون مع المعلوم فيهم الصّدق، وليس إلا المعصوم، لتجويز الكذب في غيره، فيكون هو عليّاً، إذ لا معصوم من الأربعة سواه.

في حديث أبي نعيم، عن ابن عباس: إنها نزلت في علي عليه السلام.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

الأول: أبو بكر قد ثبت أنه صديق بالأدلة الكثيرة، فيجب أن تتناوله الآية قطعاً، وأن نكون معه،

وإذا كنّا معه مقرّين بخلافته، امتنع أن نقرّ بأنّ عليّاً هو الإمام دونه.

الثاني: إن كان عليّ صديقاً، فعمر وعثمان أيضاً صديقون.

الثالث: هذه الآية نزلت في كعب بن مالك.

الرابع: هذه الآية نزلت في هذه القصة، ولم يكن أحد يقال إنّه معصوم، لا عليّ ولا غيره، فعلم أنّ

الله أراد مع الصادقين لم يشترط كونه معصوماً.

الخامس: إنّه قال: (مَعَ الصَّادِقِينَ) وهذه صيغة جمع، وعليّ واحد، فلا يكون هو المراد وحده.

السادس: إنّ قوله: (مَعَ الصَّادِقِينَ) إمّا أن يراد: كونوا معهم في الصّدق وتوابعه، فاصدقوا كما

يصدق الصادقون ولا تكونوا مع الكاذبين، كما في قوله: (وَأَزْكُوا مَعَ الرَّاِكِعِينَ).

وإمّا أن يراد به: كونوا مع الصادقين في كلّ شيء وإن لم يتعلّق بالصّدق.

والثاني باطل.

فإذا كان الأول هو الصحيح، فليس هذا أمراً بالكون مع شخص معين، بل المقصود: اصدقوا

ولا تكذبوا.

السابع: إذا أريد: كونوا مع الصادقين مطلقاً، فذلك لأنّ الصدق مستلزم لسائر البرّ، فهذا وصف

ثابت لكل من اتّصف به.

الثامن: إنّ الله أمرنا أن نكون مع الصادقين، ولم يقل مع المعلوم فيهم الصدق، ولسنا مكلفين

في ذلك بعلم الغيب.

التاسع: هب أنّ المراد: مع المعلوم فيهم الصدق، لكنّ هذا العلم كالعلم في قوله: (فإنّ

عَلِمْتُمْوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ) والإيمان أخفى من الصدق، فإذا كان العلم المشروط هناك يمتنع أن يقال فيه

ليس إلاّ العلم بالمعصوم، كذلك هنا يمتنع أن يقال: لا يعلم إلاّ صدق المعصوم.

العاشر: هب أنّ المراد من علمنا صدقه، لكن يقال: أنّ أبابكر وعمر وعثمان ونحوهم ممّن علم

صدقهم، وإنّهم لا يتعمّدون الكذب، وإنّ جاز عليهم الخطأ أو بعض الذنوب، فإنّ الكذب أعظم.

الحادي عشر: إنّ لو قدر أنّ المراد به المعصوم، لا نسلم الإجماع على انتفاء العصمة عن غير

على، فإنّ كثيراً من الناس الذين هم خير من الرافضة يدعون في شيوخهم هذا المعنى وإنّ غيروا

عبارته.

أقول:

هنا مطالب:

الأول:

إنّ رواة نزول الآية الكريمة في النّبىّ وأهل بيته الطاهرين، من أئمة أهل السنّة المشهورين،
كثيرون، نكتفي هنا بذكر أسماء جماعة منهم:

١. مالك بن أنس، إمام المالكيّة، المتوفّى سنة ١٧٩، وقع في طريق رواية الحاكم الحسكاني في
شواهد التنزيل، وكذا في طريق غيره.

٢. الحسين بن الحكم الحبري، المتوفّى سنة ٢٨٦، رواه في تفسيره: ٢٧٥.

٣. أبو يوسف يعقوب بن يوسف الفسوي، المتوفّى سنة ٢٧٧، رواه في تاريخه.

٤. أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن سعيد، ابن عقدة الكوفي، المتوفّى سنة ٣٣٢، وقع في طريق
رواية ابن عساكر.

٥. أبوبكر محمّد بن عمر، ابن الجعابي، البغدادي، المتوفّى سنة ٣٥٥، وقع في طريق رواية
الحاكم الحسكاني، في شواهد التنزيل.

٦. أبو عمر عبدالواحد بن محمّد، ابن مهدي الفارسي، البغدادي، المتوفّى سنة ٤١٠، وقع في
طريق رواية ابن عساكر.

٧. أبوبكر أحمد بن موسى، ابن مردويه، الاصفهاني، المتوفّى سنة ٤١٠، رواه عنه غير واحد،
منهم السيوطي في الدر المنثور.

٨. أبو إسحاق أحمد بن محمّد بن إبراهيم، الثعلبي، النيسابوري، المتوفّى سنة ٤٢٧، وقع في
طريق رواية الحموي في فرائد السمطين.

٩. أبو نعيم أحمد بن عبدالله، الأصفهاني، المتوفّى سنة ٤٤٣، وقع في طريق غير واحد، منهم
الخوارزمي في المناقب.

١٠. عبيدالله بن عبدالله بن أحمد، الحاكم الحسكاني، الحنفي، النيسابوري، المتوفى بعد سنة ٤٧٠، في كتابه شواهد التنزيل لقواعد التفضيل ١:٢٥٩ فما بعد، بطريق عديدة.

١١. أبوالقاسم إسماعيل بن أحمد، ابن السمرقندي، البغدادي، المتوفى سنة ٥٣٦، وقع في طريق رواية ابن عساكر.

١٢. الموفق بن أحمد، الخطيب الخوارزمي، المكي، المتوفى سنة ٥٦٨، رواه في كتابه مناقب علي بن أبي طالب: ٢٨٠.

١٣. أبوالغلاء، الحسن بن أحمد، العطار الهمداني، المتوفى سنة ٥٦٩، وقع في طريق رواية الخوارزمي.

١٤. أبوالقاسم علي بن الحسن، ابن عساكر، الدمشقي، المتوفى سنة ٥٧١، رواه في تاريخه، بترجمة أميرالمؤمنين عليه السلام ٣٦١:٤٢.

١٥. يوسف بن قزغلي البغدادي، سبط ابن الجوزي، المتوفى سنة ٦٥٤، رواه في كتابه تذكرة خواص الأمة: ٢٥، قال: «قال علماء السير: معناه كونوا مع علي وأهل بيته، قال ابن عباس، علي سيد الصادقين».

١٦. أبوعبدالله، محمد بن يوسف القرشي، الكنجي، المقتول سنة ٦٥٨، رواه في كتابه كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ٢٣٦.

١٧. إبراهيم بن محمد، الحموي، الخراساني، المتوفى سنة ٧٣٠، رواه في كتابه فرائد السمطين في فضائل المرتضى البتول والسبطين ٣٧٠:١.

١٨. أبوالحجاج جمال الدين يوسف بن عبدالرحمن المرزي المتوفى سنة ٧٤٢، رواه في كتابه، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ٨٤:٥.

١٩. جمال الدين، محمد بن يوسف، الحنفي، الزرندي، المدني، المتوفى سنة ٧٥٠، رواه في

كتابه نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرضى والبتول والسبتين: ٩١.

٢٠. جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، المتوفى سنة ٩١١، رواه في تفسيره الدرّ

المنثور في التفسير بالمأثور ٣١٦: ٤.

٢١. شهاب الدين أحمد بن حجر، المكي، المتوفى سنة ٩٧٣، رواه في كتاب الصواعق المحرقة:

٢٣٣، باب الآيات النازلة فيهم.

٢٢. القاضي محمد بن علي الشوكاني، المتوفى سنة ١٢٥٠، رواه في تفسيره فتح القدير ٤١٤: ٢.

٢٣. شهاب الدين الألوسي، البغدادي، المتوفى سنة ١٢٧٠، رواه في تفسيره الكبير روح المعاني

٤٥ : ١١.

٢٤. الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي، الحنفي، المتوفى سنة ١٢٩٤ رواه في كتابه ينابيع

المودّة: ١ : ٣٤٨ و ٣٥٨.

والخلاصة:

إنّ القول بنزول الآية في رسول الله وعلى والأئمة من أهل البيت عليهم السلام هو القول

المتفق عليه، وإنّ قول هؤلاء وروايتهم حجة على أهل السنة بلا ريب.

الثاني:

إنّ أقوال الإمام أبي جعفر الباقر والإمام جعفر الصادق عليهما السلام، من أئمة أهل البيت،

وابن عباس وغيره من الصحابة، وكذا غير واحد من التابعين وأعلام المفسرين... بكون المراد من

(الصادقين) في الآية هم النبي وأهل بيته الطاهرون... مشهورة جداً، وقد رواها كابر العلماء من

الفريقين في كتبهم في التفسير والحديث والفضائل بأسانيد وطرق جمة، ولو أردنا إيرادها كلها لطلال بنا المقام... ونحن ننتقي في هذا المقام جملة من عيون تلك الأسانيد النظيفة، وبذلك نكتفي:

١. الإمام الصادق عليه السلام:

قال الحافظ المزي: «و قال محمد بن الصلت الأسيدي، عن أبيه، عن جعفر بن محمد، في قوله

تعالى: (اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال: محمد وعلي»^(١)

وهذا ما رواه الحافظ المزي، ولم يتكلم عليه بشيء.

وأسنده الحافظ الحاكم الحسكاني قال: «أخبرنا أبو الحسن الفارسي، قال: أخبرنا أبو بكر ابن

الجبالي، قال: حدثنا محمد بن الحرث، قال: حدثنا أحمد بن حجاج، قال: حدثنا محمد بن الصلت،

قال: حدثني أبي، عن جعفر بن محمد، في:

قوله: (اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) قال: محمد وعلي»^(٢).

أقول:

محمد بن الصلت بن الحجاج الأسيدي، أبو جعفر الكوفي، الأصم، ثقة من كبار العاشرة، مات في

حدود العشرين.

كذا قال الحافظ، وعلم عليه علامة رواية البخاري والترمذي والنسائي وابن ماجه، عنه.^(٣)

(١) تهذيب الكمال ٥ / ٨٤.

(٢) شواهد التنزيل ١: ٢٥٩ / ٣٥٠.

(٣) تقريب التهذيب ٢ / ١٧١.

وأبوه: الصلت بن الحجاج، روى عنه يحيى بن سعيد القطان، قاله ابن أبي حاتم عن أبيه.^(١)
وذكره ابن حبان في الثقات فقال: كوفي يروي عن جماعة من التابعين، روى عنه أهل الكوفة، كما
ذكر الحافظ.^(٢)

٢. ابن عباس:

قال الحبري: «حدّثنا حسن بن حسين، قال: حدّثنا حبان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن
عباس، في قوله: (اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِيْنَ)، نزلت في علي بن أبي طالب خاصّةً». ^(٣)
وقد بيّنا صحّة هذا السند في بحثنا. فليراجع.

٣. عبدالله بن عمر:

قال الحافظ ابن شهر آشوب السروي^(٤): «تفسير^(٥) أبي يوسف يعقوب بن سفيان: حدّثنا مالك بن
أنس، عن نافع، عن ابن عمر، قال: (يا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) أمر الله الصّحابة أن يخافوا الله.
ثم قال: (وَكَوْنُوا مَعَ الصّٰدِقِيْنَ) يعني: مع محمّد وأهل بيته». ^(٦)

هذا السند صحيح بلا كلام.

(١) الجرح والتعديل ٤ / ٤٤٠.

(٢) لسان الميزان ٣ / ١٩٤.

(٣) تفسير الحبري: ٢٧٥.

(٤) توجد ترجمته في: الوافي بالوفيات ٤ / ١٦٤، بغية الوعاة ١ / ١٨١، البلغة في علماء النحو واللغة
- للفيروزآبادي - : ٢٧٨. وغيرها من مصادر أهل السنة.

(٥) كذا، والصحيح أنه «تاريخ» واسم الكتاب «المعرفة والتاريخ»، وقد ذكر إسناده في أول الكتاب، قال: «إسناد
تاريخ الفسوي، عن أبي عبدالله المالكي، عن محمّد بن الحسين بن الفضل القطان، عن ابن درستويه النحوي،
عن يعقوب بن سفيان» المناقب ١ / ٢٣.

و«ابن درستويه» هو عبدالله بن جعفر بن درستويه النحوي، وهو راويته وخاتمة أصحابه، كما ذكر ذلك الذهبي في
سير أعلام النبلاء ١٣ / ١٨١.

(٦) مناقب آل أبي طالب ٣ / ١١١.

وقد أسنده الحافظ الحاكم الحسكاني، قال: «أخبرنا عقيل، قال: أخبرنا علي، قال: أخبرنا محمد، قال: حدثنا أبو علي الحسن بن عثمان الفسوي بالبصرة، قال: حدثنا يعقوب بن سفيان الفسوي، قال: حدثنا ابن قعنب، عن مالك بن أنس، عن نافع، عن عبدالله بن عمر، في قوله تعالى: (اتَّقُوا اللَّهَ) قال: أمر الله أصحاب محمد بأجمعهم أن يخافوا الله.

ثم قال لهم: (وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) يعني: محمداً وأهل بيته».^(١)

و«يعقوب بن سفيان الفسوي» المتوفى سنة ٢٧٧ وصفه الذهبي بـ: «الإمام الحافظ الحجّة الرّحال، محدث إقليم فارس» قال: «وله تاريخ كبير جمّ الفوائد».^(٢)

وتوجد ترجمته في: تهذيب التهذيب ١١: ٣٣٨، وتذكرة الحفاظ ٢: ٥٨٢، والبداية والنهاية ١١: ٥٩، وشذرات الذهب ٢: ١٧١ وغيرها.

و«ابن قعنب» وهو «عبدالله بن مسلمة» من رجال الصحاح الستة.

أقول:

فهذه هي الرواية المسندة عند القوم عن عبدالله بن عمر، فليتحقق عمّا نسب إليه في تفسير ابن كثير، والله العالم.

الثالث:

وتدلُّ الآية المباركة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام والمعصومين من عترة رسول ربّ العالمين، بمقتضى الأحاديث الواردة في ذيلها، بكتب التفسير والحديث والمناقب، وذلك لأنّ «الكون مع الصادقين» ليس هو الكون الخارجي، وإنّما المراد هو الاتّباع والافتداء في القول والعمل، وهذا

(١) شواهد التنزيل ١: ٢٦٢ / ٣٥٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣ / ١٨٠.

الأمر مطلق، إذ لم يقل: كونوا مع الصادقين في محال كذا، أو في القول الفلاني، بل الكلام مطلق غير مقيد بقيد أصلاً.

فإذا ورد الأمر الكتابي بالاتباع مطلقاً، ثم جاءت السنة المعتمدة وعيّنت الشخص المتبوع، كانت النتيجة وجوب اتباع هذا الشخص المعين، وكان الشخص معصوماً، لأن الله سبحانه وتعالى لا يأمر باتباع من لا تؤمن عليه مخالفة أحكامه عن عمد أو خطأ، وإذا كان معصوماً كان إماماً.

وإذا كانت الآية دالة على العصمة، بطل حمل (الصادقين) فيها على مطلق المهاجرين والأنصار، أو خصوص الثلاثة الذين تخلفوا، أو خصوص أبي بكر وعمر، لعدم عصمة هؤلاء بالإجماع. ومن هنا يظهر، أن لا علاقة للآية بالثلاثة الذين تخلفوا في غزوة تبوك، وإنما جاءت بعد ذكر قصّتهم وتوبة الله عليهم.

وقد أذعن الفخر الرازي وهو إمام المفسرين عند القوم بدلالة الآية على العصمة وعدم إرادة الذين تخلفوا أو غيرهم - ممّا ذكره بعض المفسرين - من (الصادقين)... وهذه عبارته:

«قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ):

واعلم أنّه تعالى لمّا حكم بقبول توبة هؤلاء الثلاثة، ذكر ما يكون كالزاجر عن فعل ما مضى، وهو التخلف عن رسول الله في الجهاد، فقال: (يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ) في مخالفة أمر الرسول (وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) يعني مع الرسول وأصحابه في الغزوات، ولا تكونوا متخلفين عنها وجالسين مع المنافقين في البيوت».

إذن الآية المباركة لاعلاقة لها بالمتخلفين، وليسوا المقصودين من (الصادقين).

ثم تعرّض لدلالة الآية على العصمة في المسألة الأولى من مسائلها فقال: «وفي الآية مسائل:

المسألة الأولى: إنَّه تعالى أمير المؤمنين بالكون مع الصادقين، ومتى وجب الكون مع الصادقين، فلا بُدَّ من وجود الصادقين في كلِّ وقت، وذلك يمنع من إطباق الكلِّ على الباطل، ومتى امتنع إطباق الكلِّ على الباطل، وجب إذا أطبقوا على شيء أن يكونوا محقِّين. فهذا يدلُّ على أنَّ إجماع الأمة حجة^(١).

فاعترف الفخر الرازي هنا بدلالة الآية على وجود الصادقين في كلِّ وقت، وبدلالة الآية على العصمة.

إلَّا أنَّه نزلها على الأمة، فقال بعصمة الأمة.

قال هذا ولم يعبأ بالأحاديث الواردة في ذيلها!

ثمَّ أورد على نفسه قائلاً: «فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال: المراد بقوله (وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)

أي: كونوا على طريقة الصادقين؟ كما أنَّ الرجل إذا قال لولده: كن مع الصالحين، لا يفيد إلا ذلك.

سَلَّمنا ذلك، لكن نقول: إنَّ هذا الأمر كان موجوداً في زمان الرسول فقط، فكان هذا أمراً بالكون

مع الرسول، فلا يدلُّ على وجود صادق في سائر الأزمنة.

سَلَّمنا ذلك، لكن لم لا يجوز أن يكون الصادق هو المعصوم الذي يمتنع خلوه زمان التكليف عنه

كما تقوله الشيعة؟».

فأجاب عن السؤالين الأولين، وأثبت دلالة الآية على وجود الصادقين في كلِّ زمان، فلا يختصُّ

بزمان الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، ودلالاتها على ضرورة وجود المعصوم في كلِّ زمان قال:

«فكانت الآية دالَّةً على أنَّ من كان جائز الخطأ وجب كونه مقتدياً بمن كان واجب العصمة».

(١) تفسير الرازي ١٦ / ٢٢٠ - ٢٢١.

ثم تعرّض للجواب عن السؤال الثالث، فقال: «قوله: لم لا يجوز أن يكون المراد هو كون المؤمن

مع المعصوم الموجود في كل زمان؟

قلنا: نحن نعرف بأنه لأبّد من معصوم في كل زمان، إلاّ أنا نقول: ذلك المعصوم هو مجموع

الأئمة، وأنتم تقولون: ذلك المعصوم واحد منهم».

فإلى هنا حصل الوفاق في دلالة الآية على وجود المعصوم في كل زمان.

إنّما الخلاف هو: أنّ أهل السُنّة - كما قال - يقولون: «ذلك المعصوم هو مجموع الأئمة» والشيعيّة

الإماميّة يقولون: «ذلك المعصوم واحد منهم».

إلاّ أنّ هذا الخلاف إنّما يقع عندما ينظر إلى الآية وحدها، لكنّ القرآن الكريم نفسه يأمر في مثل

هذه الحالات بالرجوع إلى السُنّة المعتبرة ويقول: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا

شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)^(١) ويقول أيضاً:

(فَإِنْ تَنَارَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ...)^(٢).

إذن، لأبّد من الرجوع إلى قول الرسول الصادق الأمين الذي (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ

إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)^(١)... وقد وجدنا أصحابه يروون عنه أنّ المراد من (الصادقين) في هذه الآية هو

علي عليه السلام، أو هو والأئمة من أهل البيت.

فكانت السُنّة رافعةً للخلاف، ومعينةً للقول بأنّ الإمام المعصوم هو «عليّ» والأئمة من العترة

«في كل زمان»... .

أمّا القول الآخر، فلا دليل عليه، وإنّما هو اجتهاد في مقابلة النصّ الصريح.

(١) سورة النساء ٤: ٦٥.

(٢) سورة النساء ٤: ٦٥.

وقد حاول الفخر الرازي إبطال هذا الاستدلال بالاجتهاد كذلك، فقال:

«هذا باطل، لأنّه تعالى أوجب على كلّ واحد من المؤمنين أن يكون مع الصادقين، وإنّما يمكنه ذلك لو كان عالماً بأنّ ذلك الصادق من هو، لا الجاهل بأنّه من هو، فلو كان مأموراً بالكون معه كان ذلك تكليف ما لا يطاق، وإنّه لا يجوز».

وإذا وصل الأمر إلى هنا، فهو سهلٌ، لأنّ معرفة الإمام الصادق المعصوم في كلّ زمان ممكنة، وإلاّ لم يقل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةً جاهليّة»^(٢)... إذن، يجب البحث والتحقيق عن الإمام المعصوم في كلّ زمان مقدّمةً لإطاعته وأتباعه والاقتراء به، وطريق ذلك هو نفس الكتاب والسُنّة، والشيعّة الإماميّة في جميع استدلالاتها أخذة بهما كما قلنا سابقاً.

وتلخّص:

أنّ الآية تدلّ على وجود المعصوم في كلّ زمان، وعلى وجوب أتباعه على سائر المؤمنين، ثمّ إنّ السُنّة المعتمدة عرّفته وعيّنته، فكان المعصوم الواجب الاتّباع في كلّ زمان أمير المؤمنين والأئمّة الأطهار من العترة النبويّة... وهذا هو المطلوب.

وبعد

فقد بيّنا كيفيّة الاستدلال بالآية على العصمة للإمامة، ولا شيء من الوجوه التي ذكرها ابن تيميّة يصلح لأن يكون جواباً عنه.

(١) سورة النجم ٥٣: ٣ و ٤.

(٢) هذا الحديث بهذا اللفظ في «شرح المقاصد ٥: ٢٣٩» لسعد الدين التفتازاني، المتوفّى سنة ٧٩٣، وفي بعض المصادر الأخرى، وقد أخرج هذا الحديث بألفاظ مختلفة في أمّهات مصادر الحديث، ولا بُدّ وأن ترجع كلّها إلى المعنى الذي دلّ عليه هذا اللفظ.

أما الوجهان: الأول والثاني، فمصادرة.

وأما الوجهان: الثالث والرابع، فلا فائدة فيهما، لأنَّ سبب النزول غير مخصَّص، إن كانت الآية

متعلِّقة بقضية كعب بن مالك.

وأما الوجهان: السادس والسابع، فتغافل عن الأحاديث الواردة في ذيل الآية، المفسَّرة لها،

والمبيَّنة للمراد من (الصَّادِقِينَ) فيها... ومن الواضح أنَّ الاستدلال بالآية إنّما هو بالنظر إلى تلك

الأحاديث.

وأما الوجهان: الثامن والتاسع، فتجاهل لوجه الاستدلال بالآية، فإنَّ الأمر بالكون مع شخص أو

أشخاص على الإطلاق، لا يجوز إلاَّ مع ثبوت عصمة الشخص أو الأشخاص، لأنَّ المراد من (كُونُوا

مَعَ) هو الاتِّباع والإطاعة والانقياد المطلق.

وعلى هذا، فالَّذين ثبتت عصمتهم بالأدلة القطعيَّة من الكتاب والسُّنة هم رسول الله وأهل بيته

الَّذين أذهب الله عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً.

وأما الوجه العاشر، فمصادرة.

وأما الوجه الحادي عشر، فخروج عن الإجماع. ودعوى أنَّ كثيراً من الناس يدَّعون في شيوخهم

هذا المعنى، واضحة الفساد، ولو كان هناك من يدَّعي ذلك، فدعواه مردودة عند الكلِّ.

وعلى الجملة، فإنَّنا لم نجد في هذه الوجوه مناقشةً علميَّةً للاستدلال، ولا جواباً عن الأحاديث

الواردة في ذيل الآية المباركة، اللهمَّ إلاَّ ما جاء في الوجه الخامس:

«إنَّه قال (مَعَ الصَّادِقِينَ) وهذه صيغة جمع، وعلى واحد، فلا يكون المراد وحده».

فنقول:

أولاً: الموارد التي جاءت الآية المباركة فيها بصيغة الجمع والمراد شخص واحد، كثيرة في القرآن الكريم، ولعلنا نفصل الكلام في ذلك عند الكلام على بعض الآيات الآتية.

وثانياً: إذا لم يكن المراد علي عليه السلام وحده، فالذي يكون مراداً معه في الآية هو مثله في العصمة، فلذا ورد في بعض الأحاديث: «محمد وعلي» وفي بعضها الآخر: «محمد وأهل بيته» وحينئذ، تكون الآية دالة على إمامة سائر الأئمة أيضاً، ولا ارتباط بينها وبين غيرهم مطلقاً.

هذا موجر الكلام على ما أتى به ابن تيمية في هذا المقام، وأغلب الظن أن المتقول أيضاً يعلم بعدم الجدوى فيه، فلم ير الإطالة واكتفى بالإحالة!

وبعد، فإن الإطناب في الجواب، بتكثير الوجوه، وتصوير الشقوق، بما هو خارج عن البحث، أو مصادرة بالمطلوب، أو اجتهاد في مقابل النصوص، تضييع للوقت، وتضليل للناس... .

إن علماء الإمامية الاثني عشرية لا يخرجون في استدلالاتهم عن حدود الكتاب والسنة المعتمدة ودلالة العقل السليم... .

وقد رأيت الاستدلال هنا قائم بالآية المباركة، وبالأحاديث الواردة في كتب الفريقين في تفسيرها، أما الآية فلا ينكرها لا ابن تيمية ولا غيره، وأما الأحاديث، فتلك موجودة في كتب القوم.

فهل بالإمكان إنكار وجودها فيها؟! أو نفي كون روايتها من أهل السنة؟! أو نفي كون أصحاب تلك الكتب من حفاظ الحديث؟!!

وعلى الجملة، ليس الاستدلال إلا بالكتاب والسنة، فما هو الجواب عنه؟! وأي فائدة في الانتقال من محل البحث إلى قضايا أخرى؟!!

إن هذه الأساليب من ابن تيمية لتذكرنا قول صفي الدين الهندي له، فإنه لما عقد مجلساً لمناظرته، قال لابن تيمية في أثناء البحث:

«أنت مثل العصفور، تنطّ من هنا إلى هنا، ومن هنا إلى هنا!»^(١)

وكذلك ابن روزبهان، إلاّ أنّه أهون من ابن تيميّة في بعض الأحيان! فإنّه لم يذكر من الوجوه

الأحد عشر!! إلاّ نزول الآية في قضية كعب، ثمّ قال:

«وإنّ صحّ دلّ على الفضيلة، لا على النصّ».^(٢)

فهذا ما ذكره ابن روزبهان، وقد عرفت الجواب عنه، فإنّ الحديث مشهور مستفيض وبعض

أسانيد صحّحة، وإنّ الآية المباركة بضميمة الأحاديث الواردة في تفسيرها دالّة على عصمة

أميرالمؤمنين عليه السلام، فهي دالّة على إمامته بعد رسول الله الصادق الأمين، فأين الجواب؟!

(١) الدرر الكامنة بأعيان المائة الثامنة، للحافظ ابن حجر العسقلاني ٤ / ١٥ ترجمة صفى الدين الهندي، المتوفى

سنة ٧١٥.

(٢) إبطال الباطل، في الردّ على «نهج الحقّ» للعلامة الحلّي، مطبوع مع «إحقاق الحق ٣ / ٣٠٠» ومع «دلائل

الصدق» في الردّ عليه.

البرهان السادس والثلاثون

قوله تعالى: (وَأَزْكُوا مَعَ الرَّاِكِعِينَ).

من طريق أبي نعيم عن ابن عباس: أنها نزلت في رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم علي عليه السلام خاصة، وهما أول من صَلَّى ورُكِع.

وهو يدل على أفضليته، فيدل على إمامته.

قال ابن تيمية:

الجواب من وجوه:

أحدها: إنا لا نسلّم صحّة هذا ولم يذكر دليلاً على صحته.

الثاني: إنّ هذا كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث.

الثالث: إنّ هذه الآية في سورة البقرة وهي مدنيّة باتفاق المسلمين...

الرابع: إنّ قوله مع الراكعين صيغة جمع، ...

الخامس: إنه قال لمريم (اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاِكِعِينَ)...

السادس: إنّ الآية مطلقة.

السابع: إنه لو كان المراد الركوع معهما لانقطع حكمها بموتهما.

الثامن: إنّ قول القائل علي أول من صَلَّى مع النبي صَلَّى الله عليه [وآله] ممنوع.

التاسع: إنه لو كان أمراً بالركوع معه، لم يدل ذلك على أن من ركع معه يكون هو الإمام.

أقول:

هذا الحديث عن ابن عباس، رواه الحسين بن الحكم الحبري في تفسيره، قال:

حدثنا حسن بن حسين العرني قال: حدثنا حبان بن علي العنزي، عن الكلبي، عن أبي صالح عن

ابن عباس في قوله: (وَأَرْكَعُوا) قال: مما نزل في القرآن خاصةً في رسول الله صَلَّى الله عليه وآله

وعلي بن أبي طالب وأهل بيته عليهم السلام من سورة البقرة (وَأَرْكَعُوا مَعَ الرَّائِعِينَ). إنها نزلت في

رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب، وهما أول من صَلَّى ورَكَع^(١).

قال الحسكاني: وأخبرنا به الجوهري، عن محمد بن عمران، عن علي بن محمد ابن عبيد عن

الحبري^(٢).

قلت: وهؤلاء من أكابر الحفاظ المتقين، كما لا يخفى.

وبهذا الإسناد رواه الحافظ أبو نعيم عن ابن عباس، وفي طريقه الحافظ محمد بن عثمان بن

أبي شيبه الكوفي.

وعن طريق أبي نعيم رواه الخوارزمي في المناقب^(٣)

كما رواه الحافظ سبط ابن الجوزي عن مجاهد عن ابن عباس^(٤).

فرواة هذا الحديث عن ابن عباس هم جمع من حفاظ الحديث وأعلام المحدثين، كابن أبي شيبه

والجوهري والمرزباني وأبي نعيم وغيرهم... فلو كانوا يروون الكذب الموضوع - باتفاق أهل العلم

بالحديث - فما ذنبنا؟

(١) تفسير الحبري: ٢٣٥.

(٢) شواهد التنزيل ١ / ١١١.

(٣) مناقب علي: ٢٨٠.

(٤) تذكرة الخواص من الامة: ١٣.

وإذا كان هؤلاء يعتقدون - فيمن يعتقد - بأن علياً عليه السلام أول عن صلى مع النبي صلى الله

عليه وآله، فما ذنبنا؟

فالآية الكريمة من الآيات الدالة على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، لكونها أمرًا بالإقتداء به -

كالإقتداء بالنبي صلى الله عليه وآله - ومثل هذه الآية لم ينزل في حق غيره من الصحابة باتفاق

المسلمين.

ولا ينافي ذلك نزول الآية بالمدينة - لو كانت مدنيّة - كما لا يخفى، كما لا ينافي ذلك أمر مريم

بالركوع مع الراكعين.

البرهان السابع والثلاثون

قوله تعالى: (وَاجْعَلْ لِي وِزِيرًا مِّنْ أَهْلِي)

من طريق أبي نعيم عن ابن عباس قال: أخذ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِيدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَيُدِي وَنَحْنُ بِمَكَّةَ وَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ. ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ سَأَلَكَ، وَأَنَا مُحَمَّدُ نَبِيِّكَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَشْرَحَ لِي صَدْرِي وَتَحُلَّ عَقْدَةَ مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي، وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي، عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي».

قال ابن عباس: فسمعت منادياً ينادي: يا أحمد قد أوتيت ما سألت.

وهذا نص في الباب.

قال ابن تيمية:

والجواب:

المطالبة بالصحة كما تقدّم. أولاً.

الثاني: إنّ هذا كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث، بل هم يعلمون أنّ هذا من أسمع

الكذب على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

الثالث: إنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا كَانَ بِمَكَّةَ فِي أَكْثَرِ الْأَوْقَاتِ لَمْ يَكُنْ ابْنُ عَبَّاسٍ قَدْ

ولد.

الرابع: إنّهم قد قدّموا في قوله (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) وحديث التصدّق بالخاتم في الصلاة:

أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ دَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ، وَهَذَا قَدْ ذَكَرُوا أَنَّهُ قَدْ دَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ بِمَكَّةَ قَبْلَ تِلْكَ

الواقعة بسنين، فإذا كان قد دعا بهذا في مكة وقد استجيب له، فأى حاجة إلى الدعاء به بعد ذلك بالمدينة بسنين متعددة؟

الخامس: صرّحوا بأنّ عليّاً كان شريكه في أمره كما كان هارون شريك موسى، وهذا قول من يقول بنبوّته، وهذا كفر صريح، وليس هو قول الإماميّة وإنما هو من قول الغالية.

أقول:

هذا الحديث رواه جمع كبير من حفاظ الحديث وأهل العلم به، واليك نصوص روايات بعضهم:

أخرج القطيعي في زيادات فضائل الصحابة قال:

فيما كتب إلينا عبدالله بن غنّام أيضاً يذكر أن عباد بن يعقوب حدّثهم قال: حدثنا علي بن عابس، عن الحارث بن حصيرة عن القاسم قال: سمعت رجلاً من خثعم يقول سمعت أسماء بنت عميس تقول: سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] يقول:

اللهمّ أقول كما قال أخي موسى: اللهمّ اجعل لي وزيراً من أهلي، عليّاً أخي (اشدّد به أُرزي).^(١)
وقال ابن عدي:

ثنا أحمد بن الحسين الصوفي، ثنا أحمد بن عبد الملك الأودي قال: ثنا أحمد بن المفضل، ثنا جعفر الأحمر، عن عمران بن سليمان، عن حصين التغلبي عن أسماء بنت عميس، قالت: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «أقول كما قال أخي موسى عليه السلام: (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاخْلُ عُقْدَةَ مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي) إلى آخر الآية.

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢ / ٦٧٨.

قال الشيخ: وجعفر الأحمر له أحاديث يروونها عن أهل «الكوفة» غير ما ذكرته وهو يروي شيئاً من الفضائل، وهو في جملة متشيعة «الكوفة»، وهو صالح في رواية الكوفيين.^(١)

وقال السيوطي:

أخرج ابن مردويه والخطيب وابن عساكر، عن أسماء بنت عميس قالت: رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بازاء ثبير وهو يقول: «أشرق ثبير أشرق ثبير، اللهم اني أسألك بما سألك أخي موسى أن تشرح لي صدري وأن تيسر لي أمري وأن تحل عقدة من لساني (يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا).

وأخرج السلفي في الطيوريات بسند واه، عن أبي جعفر محمد بن علي قال: لما نزلت (وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - على جبل، ثم دعا ربه وقال «اللهم اشدد أزري بأخي علي» فأجابه إلى ذلك.^(٢)

وقال ابن عساكر:

أبوالقاسم هبة الله بن عبدالله، أنبأنا أبو بكر الخطيب، أنبأنا أبو بكر محمد بن عمر النرسي، أنبأنا محمد بن عبدالله بن إبراهيم الشافعي، أنبأنا أحمد بن الحسين أبو الحسن، أنبأنا أحمد بن عبد الملك الأودي، أنبأنا أحمد بن المفضل، أنبأنا جعفر الأحمر، عن عمران بن سليمان، عن حصين التغلبي، عن أسماء بنت عميس، قالت:

(١) الكامل لابن عدي ٢ / ٣٧٧ ترجمه جعفر الأحمر الكوفي.

(٢) الدر المنثور ٥ / ٥٦٦.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقول كما قال أخي موسى: (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي)، (وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي)، علياً أخي، (اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي) إلى آخر الآيات.^(١)
وقال الحسكاني:

حدّثني أبو الحسن محمد بن القاسم [الفيقيه] الصيدلاني، قال: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الشعراني، قال: حدّثنا أبو علي أحمد بن علي بن رزين الباشاني، قال: حدّثني المظفر بن الحسن الأنصاري، قال: حدّثنا السندي بن علي الوراق، قال: حدّثنا يحيى بن عبد الحميد الحماني، عن قيس بن الربيع، عن الأعمش، عن عباية ابن ربيعي، قال:

بينما عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ أقبل رجل متعمّم بعمامة، فجعل ابن عباس يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قال الرجل: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال ابن عباس: سألتك بالله من أنت؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال: أيها الناس، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني، فأنا جندب بن جنادة البدري أبوذر الغفاري، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم بهاتين وإلا فصمّتا، ورأيت بهاتين وإلا فعميتا وهو يقول: علي قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، ومخذول من خذله.

أما إنّي صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً من الأيام صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد، فلم يعطه أحد، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد أنّي سألت في مسجد رسول الله، فلم يعطني أحد شيئاً، وكان علي راکعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنى - وكان يتختم فيها - ، فأقبل السائل حتّى أخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين النبي، فلمّا فرغ النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إنّ أخي موسى سألك، فقال: (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي *)

وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي *
هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي)، فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: (سَنَشُدُّ عَضُدَكَ
بِأَخِيكَ). اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك، اللهم فاشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واجعل لي وزيراً من
أهلي، علياً أخي، اشدد به أزري.

قال أبوذر: فوالله ما استتم رسول الله الكلام حتى هبط عليه جبرئيل من عند الله وقال: يا
محمد، هنيئاً [لك] ما وهب الله لك في أخيك.

قال: وما ذاك جبرئيل؟ قال: أمر الله أمّتك بموالاته إلى يوم القيامة، وأنزل قرآناً عليك: (إِنَّمَا
وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ).^(١)
أقول:

فالحديث مروى عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، وعن أسماء بنت عميس
وابن عباس وأبي ذر الغفاري.
ومن الرواة له: القطيعي وابن عدي والخطيب والسلفي وابن مردويه وابن عساكر والسيوطي، فهل
قد رووا هذا الحديث وهم يعلمون أن هذا من أسمع الكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله؟
سبحانك هذا بهتان عظيم.

وقد عرفت صحّة سند الحديث عن أسماء من كلام الحافظ ابن عدي.
ووجه الاستدلال واضح، وليس القول بأنّ علياً كان شريك النبي صلى الله عليه وآله في أمره، هو
القول بنبوته، كما لا يخفى على أهل الفهم.

(١) شواهد التنزيل ١ / ٢٢٩ - ٢٣١ (٢٣٥).

البرهان الثامن والثلاثون

قوله تعالى: (إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ).

من مسند أحمد بن حنبل، بإسناده إلى زيد بن أبي أوفى قال: دخلت على رسول الله صَلَّى الله عليه وآله مسجده، فذكر قصة مؤاخاة رسول الله صَلَّى الله عليه وآله بين أصحابه، فقال علي: لقد ذهبت روحي وانقطع ظهري حين فعلت بأصحابك ما فعلت، غيري! فإن كان هذا من سخط علي فلك العتبي والكرامة. فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: «والذي بعثني بالحق نبياً ما اخترتك إلا لنفسي، فأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لاني بعددي، وأنت أخي ورفيقي وأنت معي في قصري في الجنة مع ابنتي فاطمة، وأنت أخي ورفيقي. ثم تلا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: (إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ). والمتحابون في الله ينظر بعضهم إلى بعض».

والمؤاخاة تستدعي المناسبة والمشاكلة، فلما اختص علي بمؤاخاة رسول الله صَلَّى الله عليه وآله كان هو الإمام.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بصحة هذا الإسناد، وليس هذا الحديث في مسند أحمد ولا رواه أحمد لا في المسند ولا في الفضائل ولا إينه. فقول هذا الرافضي: من مسند أحمد كذب وافتراء على المسند، وإنما هو من زيادات القطيعي. وهذا الإسناد مظلم انفرد به عبدالمؤمن بن عباد أحد المجروحين...

الوجه الثاني: إن هذا مكذوب مفترى باتفاق أهل المعرفة.

الثالث: إن أحاديث المؤاخاة كلّها كذب...

الرابع: إن قوله في هذا الحديث: أنت أخي ووارثي باطل...

الوجه الخامس: إن النبي صلى الله عليه [وآله] قد أثبت الأخوة لغير علي...

أقول:

أولاً: قد نقل هذا الحديث بعض علماء أهل السنة، كصاحب ينابيع المودة عن المسند، وبعضهم

عن فضائل الصحابة لأحمد كسبب ابن الجوزي والمتقي صاحب كنز العمال.

وثانياً: إن كان من زيادات القطيعي، فإنه من كبار الحفاظ الثقات.

وثالثاً: إن كان عبدالمؤمن من المجروحين، فهو من الموثقين كذلك، فقد أورده ابن حبان في

كتاب الثقات.

ورابعاً: قد رواه سبط ابن الجوزي بطريق ليس فيه عبدالمؤمن.

لكن المهم تكذيبه المؤاخاة.

فلقد سعى جاداً لتكذيب خبر المؤاخاة، وأصرّ على ذلك في عدّة مواضع من كتابه، وقد بيّنا كذبه

في (المدخل) ونعيد هنا مختصر ما ذكرناه هناك:

لقد آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلّم بين أصحابه، وكان من ذلك أن آخى بين أبي بكر و

عمر... فقال علي عليه السلام له: أخيت بين أصحابك ولم تّواخ بيني وبين أحد؟ فقال رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلّم: «أنت أخي في الدنيا والآخرة».

راجع: الترمذي ٥/٥٩٥، الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/١٦، المستدرک على الصحيحين ٣/١٥ -

١٦، مصابيح السنّة ٤/١٧٣، الإستيعاب ٣/١٠٩٩، البداية والنهاية ٧/٣٧١، الرياض النضرة ٣/١٢٤،

مشكاة المصابيح ٣/١٧٢١، الصواعق المحرقة: ١٢٢، تاريخ الخلفاء: ١٧٠، وغيرها...

وهذه الروايات هي عن جمٍّ غفير من الأصحاب، وعلى رأسهم: أميرالمومنين عليه السلام، ومنهم: عبدالله بن عباس، وأبو ذر الغفاري، وجابر بن عبدالله الأنصاري، وعمر بن الخطاب، وأنس بن مالك، وعبدالله بن عمر، وزيد بن أرقم...

وفي بعض الروايات: أجاب علياً بقوله: «والذي بعثني بالحق ما أحرّتك إلاّ لنفسي، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبيّ بعدي، وأنت أخي ووارثي». ومن رواته: أحمد بن حنبل في المناقب، الحديث: ١٤١، وابن عساكر بترجمة علي عليه السلام برقم ١٠٨/١١٤٨، والمتقي في كنز العمال ١٠٦/١٣ عن أحمد في المناقب.

وتجد خبر المؤاخاة، وأنه أخي بينه وبين علي عليه السلام في سائر كتب السير والتواريخ، فراجع: سيرة ابن هشام ١٥٠/٢، السيرة النبوية لابن حبان: ١٤٩، عيون الأثر لابن سيد الناس ٢٣٠/١، السيرة الحلبية ٢٠/٢، وفي هامشها سيرة زيني دحلان ٢٩٩/١.

ولقد أحسن غير واحد من الحفاظ والعلماء الأعلام، حيث عنوا بالردّ على ابن تيمية في هذا المقام، وإليك نصّ عبارة الحافظ ابن حجر - وهو عندهم شيخ الإسلام - فإنّه بعد أن ذكر من أخبار المؤاخاة عن: الواقدي، وابن سعد، وابن إسحاق، وابن عبدالبر، والسهيلي، وابن كثير، وغيرهم قال: «وأنكر ابن تيمية في كتاب الردّ على ابن المطهر الرافضي المؤاخاة بين المهاجرين وخصوصاً مؤاخاة النبي صلّى الله عليه وسلّم لعلي، قال: لأنّ المؤاخاة شرّعت لإرفاق بعضهم بعضاً، والتأليف لقلوب بعضهم على بعض، فلا معنى للمؤاخاة النبي لأحد منهم، ولا لمؤاخاة مهاجري لمهاجري.

وهذا ردّ للنص بالقياس، وإغفال عن حكمة المؤاخاة، لأن بعض المهاجرين كان أقوى من بعض

بالمال والعشيرة والقوى، فأخى بين الأعلى والأدنى...

قلت: أخرجه الضياء في المختارة من المعجم الكبير للطبراني. وابن تيمية يصرّح بأن أحاديث المختارة أصح وأقوى من أحاديث المستدرک...»^(١).

وقال الزرقاني المالكي تحت عنوان «ذكر المؤاخاة بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين»: «وكانت - كما قال ابن عبد البر وغيره - مزتين، الأولى بمكة قبل الهجرة، بين المهاجرين بعضهم بعضاً على الحق والمواساة، فأخى بين أبي بكر وعمر و... وهكذا بين كل اثنين منهم إلى أن بقي علي فقال: أخيت بين أصحابك فمن أخي؟ قال: أنا أخوك.

وجاءت أحاديث كثيرة في مواخاة النبي صلى الله عليه وسلم لعلي، وقد روى الترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي: أما ترضى أن أكون أخاك؟ قال: بلى؟ قال: أنت أخي في الدنيا والآخرة.

وأنكر ابن تيمية هذه المؤاخاة بين المهاجرين، خصوصاً بين المصطفى وعلي، وزعم أن ذلك من الأكاذيب، وأنه لم يؤاخ بين مهاجري ومهاجري، قال: لأنها شرعت لإرفاق بعضهم بعضاً... وردّه الحافظ بأنه ردّ للنص بالقياس...»^(٢).

وبما ذكرنا كفاية لمن أراد الرشاد والهداية.

(١) فتح الباري، كتاب مناقب الأنصار، باب كيف أخى النبي بين الصحابة ٢٧١/٧.

(٢) شرح المواهب اللدنية ١ / ٢٧٣.

البرهان التاسع والثلاثون

قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ...)(الآية).

من كتاب الفردوس لابن شيرويه، يرفعه عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لو يعلم الناس متى سَمِّيَ علي أمير المؤمنين ما أنكروا فضله. سَمِّيَ أمير المؤمنين وآدم بين الروح والجسد، قال الله عزَّ وجلَّ: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا) قالت الملائكة: بلى. فقال تبارك وتعالى: أنا ربُّكم ومحمد نبيُّكم وعليُّ أميركم»

وهو صريح في الباب.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: منع الصَّحة.

الثاني: إنَّ هذا الحديث كذب موضوعٌ باتفاق أهل العلم بالحديث.

الثالث: إن الذي في القرآن أنه قال: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ) ليس فيه ذكر النبيِّ ولا

الأمير...

الرابع: إن الأحاديث المعروفة في هذا، التي في المسند والسنن والموطأ وكتب التفسير وغيرها،

ليس فيها شيء من هذا

الخامس: إن الميثاق أخذ على جميع الذرية، فيلزم أن يكون علي أميراً على الأنبياء كلهم من

نوح إلى محمد صلى الله عليه [وآله] وهذا كلام المجانين...

أقول:

لا حاجة للبحث عن قضية الذر، وإنما الاستدلال بالجملة الاولى: لو يعلم الناس... والجملة

الأخيرة: فقال تبارك وتعالى: أنا ربكم...

وهذا الحديث رواه صاحب كتاب فردوس الأخبار، وابن تيمية لا ينكر ذلك، وإنما يقول بوجود

الأحاديث الموضوعية في هذا الكتاب، ولكن وجود الموضوعات لا يختص بكتاب الفردوس، بل كل

كتب القوم كذلك، حتى كتاب البخاري. ولكن من أن يثبت أن هذا الحديث من الأحاديث الموضوعية

المدرجة فيه؟

البرهان الأربعون

قوله تعالى: (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ).

أجمع المفسرون على أن صالح المؤمنين هو علي.

وروى أبونعيم بإسناده إلى أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ

هذه الآية: (وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ)، قال: صالح

المؤمنين علي بن أبي طالب.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: قوله: أجمع المفسرون... كذب مبين.

الثاني: أن يقال: كتب التفسير مملوءة بنقيض هذا.

الثالث: أن يقال: لم يثبت القول بتخصيص علي به عمّن قوله حجة، والحديث المذكور كذب

موضوع.

الرابع: أن يقال قوله (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) اسم يعمّ كلّ صالح.

الخامس: أن يقال: إن الله جعل في هذه الآية صالح المؤمنين مولى رسول الله صلى الله عليه

[وآله] وسلّم، كما أخبر أن الله موله. ومن المعلوم أنّ كلّ من كان صالحاً من المؤمنين كان مالياً

للنبي صلى الله عليه وسلّم قطعاً.

أقول:

هذا الحديث رواه ابن أبي حاتم بإسناده عن علي عليه السلام، حيث قال:

حدثنا علي بن الحسين، حدثنا محمد بن أبي عمر، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، قال أخبرني رجل ثقة يرفعه إلى علي قال قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] في قوله تعالى: (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) قال هو علي ابن أبي طالب.^(١)

ورواه غيره عن علي عليه السلام كذلك.

ورواه الحاكم الحسكاني عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، قال:

فراة بن إبراهيم، قال: حدثنا الحسين بن الحكم، حدثنا الحسن بن الحسين، عن الحسين بن سليمان، عن سدير الصيرفي، عن أبي جعفر [محمد بن علي الباقر]، قال: لقد عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً أصحابه مرتين. أما مرة حيث قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، وأما الثانية، فحيث نزلت هذه الآية: (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ) الآية، أخذ رسول الله بيد علي، فقال: أيها الناس، هذا صالح المؤمنين.

وقال: أخبرنا أبو عبدالله الدينوري قراءة، قال: حدثنا محمد بن خلف بن حيّان، قال: حدثنا إسحاق بن محمد بن مروان، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا إبراهيم بن عيسى، حدثنا علي بن علي، قال: حدثني أبو حمزة الثمالي، قال: حدثني عبدالله بن عطاء، عن أبي جعفر، قال: (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) علي بن أبي طالب.^(٢)

ورواه أهل البيت عن أسماء بنت عميس، رواه الثعلبي بإسناده عنهم فقال: أخبرنا عبدالله بن حامد الوزان، أخبرنا عمر بن الحسن، حدثنا أحمد بن الحسن، حدثنا أبي، حدثنا حصين بن مخارق عن

(١) تفسير ابن كثير ٧ / ٥٦، الدر المنثور ٨ / ٢٢٤.

(٢) شواهد التنزيل ٢ / ٣٥٠.

موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عن أسماء بنت عميس، قالت: سمعت النبي صلى الله عليه [وآله]

يقول: (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ) هو علي بن أبي طالب.^(١)

ورواه الحاكم الحسكاني كذلك.^(٢)

ورواه عنها جماعة من المفسرين كالقرطبي والشوكاني والآلوسي^(١)

ورواه جماعة عن ابن عباس وحذيفة بن اليمان، منهم ابن عساكر قال:

أخبرنا أبوالمعالى عبدالله بن محمد بن سهل بن المحب العمري الصوفي، أنبأنا أبو بكر أحمد بن علي بن عبدالله بن عمر بن خلف، أنبأنا الحاكم الإمام أبو عبدالله الحافظ، أنبأنا أبو جعفر محمد بن عبيدالله بن علي العلوي النقيب - بالكوفة - ، أنبأنا أبو الحسن علي بن إبراهيم الخزاز، أنبأنا محمد بن أبي السوداء النهدي، عن وكيع، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن حذيفة، قال:

دخلت على النبي صلى الله عليه وآله، فقال: كيف أنتم إذا اختصم السلطان والقرآن؟ فقلنا: وأنى

يكون ذلك؟ قال: إذا قالوا: القرآن مخلوق، برئ الله منهم وأنا منهم بري وصالح المؤمنين.

قال النبي صلى الله عليه وآله: صالح المؤمنين علي بن أبي طالب.

وقال أخبرنا أبو الحسن علي بن المسلم الفقيه، أنبأنا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الحافظ، أنبأنا

أبو نصر عبد الوهاب بن عبدالله بن عمر المرّي، أنبأنا عبد الرحمان ابن عمران الشيباني، أنبأنا أبو قتيبة

المسلم بن الفضل، أنبأنا محمد بن يونس الكديمي، أنبأنا أحمد بن معمر الأسدي، أنبأنا الحكم بن

ظهير، عن السدي:

عن ابن عباس، في قوله عزّ وجلّ: (وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ)، قال: هو علي ابن أبي طالب.^(٢)

(١) تفسير الثعلبي ٩ / ٣٤٨.

(٢) شواهد التنزيل ٢ / ٣٤٤.

فظهر ثبوت الإجماع من أهل البيت عليهم السلام على أن المراد من «صالح المؤمنين» في

الآية هو الإمام علي عليه السلام،

وهو ما رواه المفسرون من أهل السنّة، كابن أبي حاتم والثعلبي وابن مردويه وابن كثير والسيوطي

والقرطبي والشوكاني والألوسي وغيرهم.

فالحديث متفق عليه بين الفريقين.

ودلالته على الإمامة واضحة.

كما لا يخفى دلالتها على الذمّ الشديد لعائشة وحفصة. وقد أوضحنا ذلك بالتفصيل في بعض

مؤلفاتنا.

(١) تفسير القرطبي ١٨ / ١٩٢، فتح القدير ٥ / ٢٥٢، روح المعاني ٢٨ / ١٥٣.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ٣٦١.

المنهج الثالث

في الأدلة المستندة إلى السنة المنقولة عن النبي (ص)

وهي إثنا عشر:

الأول

حديث الدار

ما نقله الناس كافة: أنه لما نزل قوله تعالى: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ). جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بني عبدالمطلب في دار أبي طالب وهم أربعون رجلاً، وأمر أن يصنع لهم فخذ شاة مع مُدٍّ من البُرِّ، ويُعَدُّ لهم صاعاً من اللبن، وكان الرجل منهم يأكل الجذعة في مقعد واحد ويشرب الفَرْق من الشراب في ذلك المقام، فأكلت الجماعة كلها من ذلك اليسير حتى شبعوا ولم يتبين ما أكلوا، فبهرهم بذلك وتبين لهم آية نبوته.

ثم قال: «يا بني عبدالمطلب إن الله بعثني بالحق إلى الخلق كافة، وبعثني إليكم خاصة فقال: (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)، وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان، تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنة وتنجون بهما من النار: شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فمن يجنبي إلى هذا الأمر ويؤازرنني على القيام به، يكن أخي

ووصيي ووزيرى ووارثى وخليفتى من بعدى»؟ فلم يجب أحد منهم. فقال أمير المؤمنين: أنا يا رسول الله
أؤازرك على هذا الأمر فقال: «إجلس».

ثم أعاد القول على القوم ثانية فأصمتوا وقمت فقلت مثل مقالتي الأولى، فقال: «إجلس».
ثم أعاد على القوم مقالته ثالثة، فلم ينطق أحد منهم بحرف، فقمت فقلت: أنا أؤازرك يا رسول الله
على هذا الأمر!

فقال: «إجلس، فأنت أخي ووصيي ووزيرى ووارثى وخليفتى من بعدى»!
فنهض القوم وهم يقولون لأبي طالب: ليُهنك اليوم أن دخلت في دين ابن أخيك، فقد جعل ابنك
أميراً عليك.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

الأول: المطالبة بصحة النقل، وما ادّعاه من نقل الناس كافةً، من أظهر الكذب عند أهل العلم
بالحديث، فإنّ هذا الحديث ليس في شيء من كتب المسلمين... بل لو قدر أن هذا الحديث من رواية
أهل الثقة والعدالة، وقد روى آخرون من أهل الثقة والعدالة ما يناقض ذلك، لوجب النظر في الروايتين
أيّهما أثبت وأرجح؟

الثاني: إنا نرضى منه من هذا النقل العام بأحد شيئين، إمّا بإسناد... وإمّا قول رجل من أهل
الحديث الذين يعتمد الناس على تصحيحهم.

الثالث: إن هذا الحديث كذب عند أهل المعرفة بالحديث، فما من عالم يعرف الحديث إلاّ وهو
يعلم أنه كذب موضوع... وقد رواه ابن جرير والبخاري بإسناد فيه عبدالغفار بن القاسم بن فهد أبو مريم

الكوفي وهو مجمع على تركه... ورواه ابن أبي حاتم، وفي إسناده عبدالله بن عبدالقدوس، وهو ليس بثقة... وإسناد الثعلبي أضعف.

الرابع: إن بني عبدالمطلب لم يبلغوا أربعين رجلاً حين نزلت هذه الآية...

الخامس: قوله: إن الرجل منهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق من اللبن. فكذب على القوم...

السادس: إن قوله للجماعة: من يجيبني إلى هذا الأمر... كلام مفترى على النبي صلى الله عليه [وأله] وسلّم...

السابع: إن حمزة وجعفرًا وعبيدة بن الحارث أجابوا إلى ما أجابه علي من الشهادتين والمعونة على هذا الأمر.

الثامن: إن الذي في الصحاح في نزول هذه الآية غير هذا.

أقول:

لا يخفى التناقض في كلامه، فهو في الوقت الذي ينكر وجود هذا الحديث في كتب الحديث والتفسير، يعترف برواية ابن أبي حاتم وابن جرير والبخاري والثعلبي والواحدي والزمخشري وغيرهم. وفي الوقت الذي يزعم كون الحديث موضوعاً، يذكر اثنين من أسانيدهم، فيطعن في الأوّل - وهو رواية ابن جرير والبخاري - براويهما «عبدالغفار بن القاسم»، وفي الثاني - وهو رواية ابن أبي حاتم - براويهما «عبدالله بن عبدالقدوس»، ولو كان طعنه حقاً، ولم يكن للحديث سند غير ما ذكر، لكان الحديث ضعيفاً لا كذباً موضوعاً.

ثم أقول:

لقد روى الشيخ علي المتقي الهندي هذا الحديث في كتاب كنز العمال بعدة ألفاظ، عن جمع كثير من أئمة الحديث، ونحن نورد هنا محلّ الحاجة، ومن أراد النصوص الكاملة فليرجع إليه:

(٣٦٤٠٨) - «...عن عليٍّ، قال: لَمَّا نزلت هذه الآية (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) جمع النبيِّ

صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم من أهل بيته، فاجتمع ثلاثون، فأكلوا وشربوا، فقال لهم: من يضمن عتِّي ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي؟ وقال رجل: يا رسول الله؟ أنت كنت بحراً، من يقوم بهذا؟! ثم قال الآخر: فعرض هذا على أهل بيته واحداً واحداً.

فقال عليٌّ: أنا.

حم، وابن جرير وصححه، والطحاوي، والضياء»^(١).

(٣٦٤١٩) - «...عن عليٍّ، قال: لَمَّا نزلت هذه الآية على رسول الله (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ

الْأَقْرَبِينَ)... تكلم النبيُّ صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم فقال: يا بني عبدالمطلب! إنِّي - والله - ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ما جئتمكم به، إنِّي قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيتكم يؤازرنني على أمري هذا؟^(٢)

فقلت - وأنا أحدثهم سنّاً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً - : أنا يا نبيَّ الله أكون

وزيرك عليه.

فأخذ برقبتي فقال: إنَّ هذا أخي ووصيِّي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا. فقام القوم

يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع وتطيع لعليّ.

ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبونعيم والبيهقي معاً في الدلائل»^(٣).

(١) كنز العمال ١٣ / ١٢٨ - ١٢٩، و«حم»: رمز أحمد في المسند، و«الضياء»: هو المقدسي صاحب كتاب المختارة.

(٢) وفي تفسير البغوي ٤: ٢٧٨ - الملتزم فيه بالصحة - توجد هنا إضافة: «ويكون أخي ووصيِّي وخليفتي فيكم».

(٣) كنز العمال ١٣ / ١٣١ - ١٣٣.

(٣٦٤٦٥) - «... عن عليّ، قال: لَمَّا نزلت هذه الآية (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) دعا بني

عبدالمطلب... ثمّ قال لهم - ومديده - : من يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووليكم من بعدي؟! فمددت وقلت: أنا أبايعك، وأنا يومئذ أصغر القوم، عظيم البطن، فبايعني على ذلك... (قال: وذلك الطعام أنا صنعته.

ابن مردويه».^(١)

(٣٦٥٢٠) - «... عن عليّ أنّه قيل له: كيف ورثت ابن عمك دون عمك؟! فقال:

جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بني عبدالمطلب... فقال: يا بني عبدالمطلب! إنني بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامّة، وقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم، فأبيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي؟ فلم يقم إليه أحد، فقمت إليه - وكنت من أصغر القوم - فقال: اجلس. ثمّ قال ثلاث مرّات. كلّ ذلك أقوم إليه فيقول لي: اجلس. حتّى كان في الثالثة ضرب بيده على يدي. قال: فلذلك ورثت ابن عمي دون عمي.

حم، وابن جرير، والضياء».^(٢)

أقول:

وهذا سند الرواية الأولى - التي رواها المتّقّي برقم (٣٦٤٠٨) عن أحمد، وابن جرير وصحّحه، والطحاوي، والضياء - في مسند أحمد: «أسود بن عامر، ثنا شريك، عن الأعمش، عن المنهال، عن عباد بن عبد الله الأسدي، عن عليّ».^(٣)

(١) كنز العمال ١٣ / ١٤٩.

(٢) كنز العمال ١٣ / ١٧٤.

(٣) مسند أحمد ١ / ١٧٨.

وهذا سند الرواية الأخيرة - التي رواها برقم (٣٦٥٢٠) عن أحمد، وابن جرير، والضياء - في مسند أحمد: «عَفَّان، ثنا أبو عوانة، عن عثمان بن المغيرة، عن أبي صادق، عن ربيعة بن ناجذ، عن علي رضي الله عنه، قال: جمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بني عبدالمطلب...»^(١)

وقد أخرج الحافظ الهيثمي الرواية الأولى، ثم قال: «رواه أحمد، ورجاله ثقات»^(٢).

وأخرج النسائي أيضاً الرواية الأخيرة - بسند أحمد بن حنبل نفسه - في خصائص سيدنا أميرالمؤمنين عليه السلام،^(٣) وأهل العلم يعلمون بأن هذا الكتاب جزء من سنن النسائي... ولا يخفى عليهم أيضاً صحة السند المذكور.

وأخرجه الهيثمي: «عن علي، قال: لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا علي! اصنع رجل شاة بصاع من طعام واجمع لي بني هاشم... فأكلوا وشربوا، فبدرهم رسول الله فقال: أيكم يقضي عني ديني؟ قال: فسكت وسكت القوم. فأعاد رسول الله المنطق. فقلت: أنا يا رسول الله. فقال: أنت يا علي، أنت يا علي».

رواه البزار - واللفظ له - وأحمد باختصار، والطبراني في الأوسط باختصار أيضاً، ورجال أحمد وأحد إسنادي البزار رجال الصحيح غيرشريك وهو ثقة»^(٤).

أقول:

ويضاف إلى جهة السند:

-
- (١) مسند أحمد ١ / ٢٥٧.
(٢) مجمع الزوائد ٨ / ٣٠٢.
(٣) خصائص أميرالمؤمنين علي: ٩٩، ح ٦٦.
(٤) مجمع الزوائد ٨ / ٣٠٢.

١. الحديث من روايات تفسير الطبري، وابن أبي حاتم الرازي، والبغوي، وقد احتجَّ ابن تيمية في منهاج السنة بهذه الكتب،^(١) ووصف الطبري وابن أبي حاتم - في جماعة من المفسرين - بأنهم: «لم يذكروا الموضوعات»،^(٢) وبأنهم: «الذين لهم في الإسلام لسان صدق، وتفاسيرهم متضمنة للمنقولات التي يعتمد عليها في التفسير».^(٣)

٢. الحديث من روايات كتاب المختارة للضياء المقدسي، وهو ممن التزم بالصحة، بل قال الحافظ ابن حجر - لإثبات صحة أحد الأحاديث - : «قلت: وأخرجه الضياء في المختارة من المعجم الكبير للطبراني... (قال:) وابن تيمية يصرح بأنَّ أحاديث المختارة أصحَّ وأقوى من أحاديث المستدرک».^(٤)

٣. الحديث من جملة الفضائل العشر المختصة بأمير المؤمنين عليه السلام، في الصحيح عن ابن عباس.^(٥)

فظهر:

أولاً: إنّ هذا الحديث موجود في سنن النسائي،^(٦) ومسند أحمد، ومسند البزار، وفي المعجم الأوسط للطبراني، والمختارة للضياء، وغيرها من كتب الحديث... كما عرفت.

ورواه ابن إسحاق صاحب المغازي...

وهو في كثير من التفاسير المعتمدة.

(١) انظر احتجاجه بتفسير البغوي في: منهاج السنة ١ / ٤٥٧.

(٢) منهاج السنة ٧ / ١٣.

(٣) منهاج السنة ٧ / ١٧٨ - ١٧٩.

(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٧ / ٢١٧.

(٥) وهو في المسند وخصائص علي والمستدرک وقد صحَّه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٦) السنن الكبرى ٥ / ١٢٥ : ٨٤٥١.

وعرفت أنّ عدّة من أسانيدِه صحيحة، باعتراف الحافظ الهيثمي، الذي هو عندهم من نقاد الحديث، وأنّ جمعاً من أكابرهم يقولون بصحّته... وأنّ البيهقي وأبانعيم الأصبهاني يجعلان القضية من دلائل النبوة.

فكلام ابن تيمية يشتمل على أكاذيب لا كذبة واحدة.

وثانياً: قد عرفت أنّ غير واحد من أسانيدِه الصحيحة ليس فيه «عبد الغفار بن القاسم» ولا «عبد الله بن عبد القدوس».

وثالثاً: إنّ «عبد الغفار بن القاسم» ليس بمجمع على تركه، بل هو مختلف فيه...

قال الحافظ ابن حجر: «قال أبو حاتم: ليس بمتروك، وكان من رؤساء الشيعة».^(١)

ونقلوا عن شعبة بن الحجاج أنّه كان يروي عنه، ويثني عليه، ويقول: لم أر أحفظ منه.^(٢)

وعن ابن عقدة أنّه كان يثني عليه ويطريه؛ قال ابن عدي؛ وتجاوز الحدّ في مدحه حتّى قال: لو

انتشر علم أبي مريم وخزج حديثه لما احتاج الناس إلى شعبة. قال ابن عدي: وإنّما مال إليه ابن عقدة

هذا الميل لإفراطه في التشيع.^(٣)

قلت: وإنّما تكلم من تكلم في أبي مريم، لأنّه كان يحدّث ببلايا عثمان وعائشة.^(٤)

وقد بحثنا عن هذا الموضوع في محلّه بالتفصيل، وذكرنا أنّ في رجال الصّحاح من يتكلم في

الشيخين فضلاً عن عثمان، وأنّ التشيع أو الرّفص غير مضرّ بالوثاقة... ولا حاجة إلى الإعادة.

(١) تعجيل المنفعة: ٢٩٧.

(٢) تعجيل المنفعة: ٢٩٧.

(٣) الكامل - لابن عدي - ٧: ١٨.

(٤) تعجيل المنفعة: ٢٩٧.

ورابعاً: إنّ «عبدالله بن عبدالقدّوس» من رجال البخاري في التعاليق، ومن رجال الترمذي، وأخرج له أبو داؤد، وذكره ابن حبان في الثقات.

وقال البخاري: هو في الأصل صدوق إلاّ أنّه يروي عن أقوام ضعاف، وقال يحيى ابن المغيرة:

أمرني جرير أن أكتب عنه حديثاً، وقال ابن عدي: عامّة ما يرويه في فضائل أهل البيت.^(١)

وهذا هو الذنب الوحيد!! ولذا قال الحافظ في التقریب: «صدوق رمي بالرفض».^(٢)

وقد ثبت أنّ الرفض غير مضرّ.

وخامساً: إنّ التشكيك في صحّة الحديث بأنّ بني عبدالمطلب ما كانوا يبلغون الأربعين، وأنهم ما

كانوا بهذا القدر يأكلون، لا يصغى إليه ولا رواج له عند الذين يفهمون.

والمعارضة بما ورد في بعض كتبهم في شأن نزول الآية غير مسموعة، لأنّها فرع الصحّة وهي

أوّل الكلام، على أنّ المتفق عليه مقدّم على المنفرد به لو صحّ سنده.

(١) تهذيب التهذيب ٥ / ٢٦٥.

(٢) تقریب التهذيب ١ / ٤٣٠.

الثاني

حديث الغدير

الخبر المتواتر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: أنه لما نزل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ)، خطب الناس في غدير خم وقال للجمع كله: «أيها الناس، أأست أولى منكم بأنفسكم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله!» فقال له عمر: بخ بخ، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة!
والمراد بالمولى هنا الأولى بالتصرف، لتقدم التقرير منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بقوله: أأست أولى منكم بأنفسكم؟

قال ابن تيمية:

حديث الموالاة قد رواه الترمذي وأحمد في مسنده عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «من كنت مولاه فعلى مولاه». وأما الزيادة وهي قوله: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه...» الخ، فلا ريب أنه كذب.
ونقل الأثر في «سننه» عن أحمد أن العباس سأله عن حسين الأشقر، وأنه حدّث بحديثين: أحدهما: قوله لعليّ: إنك ستعرض على البراءة مني فلا تبرأ. والآخر: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. فأذكره أبو عبدالله جداً، لم يشك أن هذين كذب.
وكذلك قوله: أنت أولى بكل مؤمن ومؤمنة، كذب أيضاً.

وأما قوله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» فليس هو في الصحاح، لكن هو مما رواه العلماء، وتنازع الناس في صحته، فنُقل عن البخاري وإبراهيم الحربي وطائفة من أهل العلم بالحديث أنهم طعنوا فيه وضعّفوه، ونُقل عن أحمد بن حنبل أنه حسّنه كما حسّنه الترمذي، وقد صنّف أبو العباس ابن عقّدة مصنّفًا في جمع طرقه.

وقال ابن حزم: والذي صح من فضائل عليّ فهو قول النبي صلّى الله عليه وسلّم: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي» وقوله: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله». وهذه صفة واجبة لكلّ مسلم ومؤمن وفاضل، وعهده صلّى الله عليه وآله وسلّم: أن عليّاً «لا يحبه إلاّ مؤمن ولا يبغضه إلاّ منافق». وقد صح مثل هذا في الأنصار أنهم «لا يبغضهم من يؤمن بالله واليوم الآخر».

قال: «وأما من كنت مولاه فعليّ مولاه»، فلا يصح من طريق الثقات أصلاً. وأمّا سائر الأحاديث التي يتعلّق بها الروافض فموضوعة، يعرف ذلك من له أدنى علم بالأخبار ونقلها». فإن قيل: لم يذكر ابن حزم ما في الصحيحين من قوله: «أنت مني وأنا منك» وحديث المباهلة والكساء.

قيل: مقصود ابن حزم: الذي في الصحيح من الحديث الذي لا يُذكر فيه إلاّ عليّ. وأمّا تلك ففيها ذكر غيره، فإنه قال لجعفر: «أشبهت خلقي وخلقي» وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا». وحديث المباهلة والكساء فيهما ذكر عليّ وفاطمة وحسن وحسين رضي الله عنهم، فلا يرد هذا على ابن حزم. ونحن نجيب بالجواب المرّكب فنقول: إن لم يكن النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قاله فلا كلام، وإن كان قاله، فلم يرد به قطعاً الخلافة بعده، إذ ليس في اللفظ ما يدلّ عليه. ومثل هذا الأمر العظيم يجب أن يبلغ بلاغاً مبيّناً.

وليس في الكلام ما يدل دلالة بيّنة على أن المراد به الخلافة. وذلك أن المولى كالولي. والله تعالى قال: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا) وقال: (وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ) فبيّن أن الرسول وليّ المؤمنين، وأنهم مواليه أيضاً، كما بيّن أن الله وليّ المؤمنين، وأنهم أولياؤهم، وأن المؤمنين بعضهم أولياء بعض. فالموالاة ضدّ المعادة، وهي تثبت من الطرفين، وإن كان أحد المتواليين أعظم قدراً، وولايته إحسان وتفضل، وولاية الآخر طاعة وعبادة، كما أن الله يحب المؤمنين، والمؤمنون يحبونه. فإن الموالاة ضدّ المعادة والمحاربة والمخادعة، والكفار لا يحبّون الله ورسوله، ويحادّون الله ورسوله ويعادونه.

وقد قال تعالى: (لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ) وهو يجازيهم على ذلك، كما قال تعالى: (فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ)

وهو وليّ المؤمنين وهو مولاهم يخرجهم من الظلمات إلى النور. وإذا كان كذلك، فمعنى كون الله وليّ المؤمنين ومولاهم، وكون الرسول وليّهم ومولاهم، وكون عليّ مولاهم، هي الموالاة التي هي ضدّ المعادة.

والمؤمنون يتولّون الله ورسوله الموالاة المضادّة للمعادة، وهذا حكم ثابت لكلّ مؤمن. فعليّ رضي الله عنه من المؤمنين الذين يتولّون المؤمنين ويتولّونه.

وفي هذا الحديث إثبات إيمان عليّ في الباطن، والشهادة له بأنه يستحقّ الموالاة باطناً وظاهراً، وذلك يردّ ما يقوله فيه أعداؤه من الخوارج والنواصب، لكن ليس فيه أنه ليس للمؤمنين مولى غيره، فكيف ورسول الله صلّى الله عليه وسلّم له موالى، وهم صالحو المؤمنين، فعليّ أيضاً له مولى بطريق الأولى والأخرى، وهم المؤمنون الذين يتولّونه.

وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّ أَسْلَمَ وَغَفَاراً وَمَزِينَةً وَجَهِينَةَ وَقَرِيشاً وَالْأَنْصَارَ لَيْسَ لَهُمْ مَوْلَى دُونَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، وَجَعَلَهُمْ مَوَالِيَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا جَعَلَ صَالِحَ الْمُؤْمِنِينَ مَوَالِيَهُ وَاللَّهُ وَرَسُولَهُ مَوَالَهُمْ.

وفي الجملة، فرق بين الوليِّ والمولى ونحو ذلك وبين الوالي. فباب الولاية - التي هي ضدَّ العداوة - شيء، وباب الولاية - التي هي الإمارة - شيء.

والحديث إنما هو في الأولى دون الثانية. والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقل: من كنت واليه فعلى واليه. وإنما اللفظ «من كنت مولاه فعلي مولاه».

وأما كون المولى بمعنى الوالي، فهذا باطل، فإن الولاية تثبت من الطرفين؛ فإن المؤمنين أولياء الله، وهو مولاهم.

وأما كونه أولى بهم من أنفسهم، فلا يثبت إلا من طرفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وكونه أولى بكلِّ مؤمن من نفسه من خصائص نبوته، ولو قُدِّرَ أنه نصَّ على خليفة من بعده، لم يكن ذلك موجباً أن يكون أولى بكلِّ مؤمن من نفسه، كما أنه لا يكون أزواجه أمهاتهم. ولو أريد هذا المعنى لقال: من كنت أولى به من نفسه فعلى أولى به من نفسه. وهذا لم يقله، ولم ينقله أحد، ومعناه باطل قطعاً؛ لأنَّ كون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أولى بكلِّ مؤمن من نفسه، أمر ثابت في حياته ومماته، وخلافة على - لو قدر وجودها - لم تكن إلا بعد موته، لم تكن في حياته، فلا يجوز أن يكون عليٌّ خليفة في زمنه، فلا يكون حينئذٍ أولى بكلِّ مؤمن من نفسه، بل ولا يكون مولى أحد من المؤمنين، إذا أُريد [به] الخلافة.

وهذا مما يدلّ على أنه لم يُردِ الخلافة؛ فإن كونه وليّ كلّ مؤمن، وصف ثابت له في حياة النبي صلى الله عليه وسلّم، لم يتأخر حكمه إلى الموت. وأما الخلافة، فلا يصير خليفة إلا بعد الموت. فعلم أن هذا ليس هذا.

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلّم هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم في حياته وبعد مماته إلى يوم القيامة، وإذا استخلف أحداً على بعض الأمور في حياته، أو قُدِّرَ أنه استخلف أحداً على بعض الأمور في حياته، أو قُدِّرَ أنه استخلف أحداً بعد موته، وصار له خليفة بنص أو إجماع، فهو أولى بتلك الخلافة وبكلّ المؤمنين من أنفسهم، فلا يكون قط غيره أولى بكلّ مؤمن من نفسه، لا سيّما في حياته.

وأما كان عليّ وغيره مولى كلّ مؤمن، فهو وصف ثابت لعليّ في حياة النبي صلى الله عليه وسلّم وبعد مماته، وبعد ممات عليّ، فعلي اليوم مولى كلّ مؤمن، وليس اليوم متولياً على الناس. وكذلك سائر المؤمنين بعضهم أولياء بعض أحياءً وأمواتاً.

أقول:

الكلام في حديث الغدير في جهات:

الجهة الأولى: في متن الحديث:

لقد روي حديثُ الغدير في كتب الفريقين بأسانيد كثيرة جداً، واللفظ الذي ذكره العلامة يشتمل على أربعة جمل، وقد ورد بهذا اللفظ في عدّة من الكتب المعتمدة عند أهل السنّة:

قال أحمد بن حنبل: «حدثنا عفان، قال: حدثنا حماد بن سلمة قال: حدثنا زيد ابن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب، قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلّم في سفر، فنزلنا بغدير خم، ونودي فينا الصلّاة جامعة، وكسح لرسول الله صلى الله عليه وسلّم بين شجرتين، فصلّى الظهر، وأخذ بيد عليّ، فقال: أستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى. قال: أستم تعلمون أني

أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى. قال: فأخذ بيد علي فقال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. قال: فلقية عمر. فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة^(١)

وقال الحافظ ابن كثير الدمشقي: «وقال عبدالرزاق: أنا معمر، عن علي بن زيد، بن جدعان، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى نزلنا غدیر خم، فبعث منادياً ينادي، فلما اجتمعنا قال: أأست أولى بكم من أنفسكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله، قال: أأست أولى بكم من آبائكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله قال: أأست أولى بكم من آبائكم؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. فقال عمر بن الخطاب: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت اليوم ولي كل مؤمن»^(٢).

وقال الحافظ ابن كثير: «وقال الحافظ أبويعلى الموصلي والحسن بن سفيان: ثنا هديّة، ثنا حماد بن سلمة، عن علي بن زيد وأبي هارون، عن عدي بن ثابت عن البراء قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع، فلما أتينا على غدیر خم، كسح لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحت شجرتين، ونودي في الناس: الصلاة جامعة، ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً وأخذ بيده فأقامه عن يمينه فقال: أأست أولى بكل امرئ من نفسه؟ قالوا: بلى. قال: فإن هذا مولى من أنا مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. فلقية عمر بن الخطاب فقال: هنيئاً لك أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة»^(١).

وقال ابن أبي شيبة:

(١) فضائل الصحابة ٢ / ٥٩٦ .

(٢) تاريخ ابن كثير ٧ / ٢٧٨ .

«حدثنا عفان قال ثنا حماد بن سلمة قال: أخبرنا علي بن زيد عن عدي بن ثابت عن البراء قال: كُتِبَ مع رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم في سفر قال: فنزلنا بغدير خم قال: فنودي: الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم تحت شجرة فصلَّى الظهر، فأخذ بيد علي، فقال: أستم تعلمون أني أولى المؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: أستم تعلمون أني بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فأخذ بيد علي فقال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. قال: فلقية عمر بعد ذلك فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة»^(٢).

قال علي المتقي الهندي: «مسند البراء بن عازب [قال]: كُتِبَ مع رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم في سفر، فنزلنا بغدير خم، فنودي الصلاة جامعة، وكسح لرسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلَّم تحت شجرة فصلَّى الظهر، فأخذ بيد علي، فقال: أستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، فقال: أستم تعلمون أني بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى. فأخذ بيد علي فقال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، فلقية عمر بعد ذلك فقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة. ش»^(١).

فهذه رواية جماعة من الحفاظ الأعلام بالإسناد الصحيح للفظ المذكور.

وروى جماعة حديث الغدير بلفظ ليس فيه تهئية عمر بن الخطاب منهم:

أحمد بن حنبل، إذ رواه بسند صحيح عن سعيد بن وهب وزيد بن بثير قالوا: نشد علي الناس في الرحبة: من سمع رسول الله صَلَّى اللهُ عليه [وآله] يقول يوم غدیر خم إلا قام. فقام من قبل سعيد ستة

(١) المصدر ٥ / ١٥٩.

(٢) المصنف ٧ / ٥٠٣.

ومن قبل زيد ستة، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] يقول لعلي رضي الله عنه يوم غدیر خم:

أليس الله أولى بالمؤمنين؟ قالوا: بلى. قال: اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».^(٢)

والنسائي قال: أخبرني هارون بن عبدالله البغدادي الحمال قال: حدثنا مصعب بن المقدم قال: حدثنا فطر بن خليفة عن أبي الطفيل. وأخبرنا أبو داود قال: حدثنا محمد ابن سليمان، قال: حدثنا فطر عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، قال: جمع علي الناس في الرحبة فقال: أنشد بالله كل امرئ سمع من رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم قال يوم غدیر: أستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وهو قائم، ثم أخذ بيد علي فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه. اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. قال أبو الطفيل: فخرجت وفي نفسي منه شيء، فلقيت زيد بن أرقم وأخبرته، فقال: ما تشك!! أنا سمعته من رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم. واللفظ لأبي داود».^(٣)

وقال الحافظ ابن كثير: «وقال أبو يعلى وعبدالله بن أحمد في مسند أبيه: ثنا القواريري، ثنا يونس بن أرقم، ثنا يزيد بن أبي زياد، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: شهدت علياً في الرحبة يناشد الناس: أنشد بالله من سمع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم يقول يوم غدیر خم: من كنت مولاه فعلي مولاه لَمَّا قدم فشهد، قال عبدالرحمن: فقام اثنا عشر بدياً، كأنني أنظر إلى أحدهم عليه سراويل، قالوا: نشهد أنا سمعنا رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم يقول يوم غدیر خم: ألت أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجي

(١) كنز العمال ١٣ / ١٣٤ رقم ٣٦٤٢٠ و «ش» رمز لابن أبي شيبة.

(٢) مسند أحمد ١ / ١١٨.

(٣) خصائص علي: ٧٨ رقم ٨٨.

أمهاتهم؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(١).

وقال ابن ماجة: «حدثنا علي بن محمد، ثنا أبو الحسين، أخبرني حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب [رضي الله عنه] قال: أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجته التي حج، فنزل في بعض الطريق، فأمر الصلاة جامعة، فأخذ بيد علي [رضي الله عنه] فقال: أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى، قال: أأست أولى بكل مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، اللهم عاد من عاداه»^(٢).

وقال ابن أبي عاصم: حدثنا سليمان بن عبيد الله الغيلاني، ثنا أبو عامر، ثنا كثير بن زيد، عن محمد بن عمر بن علي، عن أبيه، عن علي: أن النبي صلى الله عليه وسلم قام بحفرة الشجرة بخم - وهو أخذ بيد علي - فقال: أيها الناس، أأستم تشهدون أن الله ربكم؟ قالوا: بلى، قال: أأستم تشهدون أن الله ورسوله أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى، وأن الله ورسوله مولاكم؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فإن هذا مولاه.^(٣)

ومنهم من لم يرو الدعاء والتهنئة:

أخرج أحمد وابن أبي شيبة بسند صحيح عن بريدة في حديث: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا بريدة، أأست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه»^(٤).

(١) تاريخ ابن كثير ٢٧٦/٧.

(٢) سنن ابن ماجة ٤٣/١.

(٣) كتاب السنّة، باب: من كنت مولاه فعلي مولاه.

(٤) مسند أحمد ٣٤٧/٥، كنز العمال ١٣/١٣٣.

وأخرج النسائي بسند صحيح عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله صَلَّى الله عليه وآله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن ومؤمنة من نفسه؟

قالوا: بلى نشهد لأنك أولى بكل مؤمن من نفسه. قال: فإني من كنت مولاه فهذا مولاه. وأخذ بيد علي. (١)

وأخرج الطحاوي بسنده عن علي عليه السلام: إن النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم حضر الشجرة نجم، فخرج أخذًا بيد علي فقال: يا أيها الناس، أستم تشهدون أن الله ربكم؟ قالوا: بلى. قال: أستم تشهدون أن الله ورسوله أولى بكم من أنفسكم وأن الله ورسوله مولاكم؟ قالوا: بلى. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم بدلن تضلوا بعدي. كتاب الله بأيديكم وأهل بيتي. (٢)

وأما قوله صَلَّى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه، فقد رواه الكل بأسانيد لا تحصى.

الجهة الثانية: سند الحديث

إن الحديث بجمله الأربع متواتر عندنا، فقد ورد في كتب الفريقين بالأسانيد الكثيرة التي لا يشك معها في صدوره عن النبي صَلَّى الله عليه وآله.

أما قوله «من كنت مولاه...» فقد نصَّ غير واحد من أئمة الحفاظ على تواتره، قال الحافظ ابن كثير قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي: أتيقن أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله [قاله]. (٣)

الجهة الثالثة: دلالة الحديث

ويتبين دلالة حديث الغدير على الإمامة بذكر أمور:

(١) خصائص علي: ٧٢ رقم ٧٩.

(٢) مشكل الآثار ٢١١/٢ - ٢١٢.

(٣) تاريخ ابن كثير ٧ / ٦٨١.

الأول قوله صلى الله عليه وآله: «ألت أولى...» إشارة إلى قوله تعالى: (النبي أولى

بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم)^(١):

قال البغوي: «يعني من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه عليهم ووجوب طاعته عليهم»^(٢)

وقال الزمخشري: (النبي أولى بالمؤمنين) في كل شيء من امور الدنيا والدين من

أنفسهم».^(٣)

وقال البيضاوي: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) في الامور كلها، فإنه لا يأمرهم

ولا يرضى منهم إلا بما فيه صلاحهم، بخلاف النفس. فلذلك أطلق، فيجب عليهم أن يكون أحب

إليهم من أنفسهم وأمره أنفذ فيهم من أمرها وشفقتهم عليه أتم من شفقتهم عليها».^(٤)

الثاني قوله عليه وآله السلام: «من كنت مولاه فعلي مولاه» متفرع على قوله: ألت... فالمراد

من «المولى» هو «الأولى». ولذا جاء في كثير من الروايات: «فمن كنت مولاه» بقاء التفريع، من ذلك:

رواية أحمد من طريق ابن نمير^(٥)

ورواية اخرى له من طريق عفان بن مسلم^(٦)

ورواية النسائي من طريق قتيبة بن سعيد^(٧)

ورواية أبي يعلى والحسن بن سفيان^(٨)

(١) سورة الاحزاب: آيه ٦.

(٢) تفسير البغوي ٤٣٧/٣.

(٣) الكشاف ٢٥١/٣.

(٤) تفسير البيضاوي ٢٣٩/٢.

(٥) مسند أحمد ٣٦٨/٤.

(٦) مسند أحمد ٢٨١/٤.

(٧) خصائص علي: ٧٢ رقم ٧٩.

(٨) تاريخ ابن كثير ٢٧٦/٧.

ورواية الطبراني في الكبير والضياء في المختارة^(١)

ورواية ابن جرير عن ميمون أبي عبدالله^(٢)

الثالث إنه يشهد بكون «المولى» بمعنى «الأولى» قوله تعالى في سورة الحديد: (مَا أَوَكَّمُ النَّارُ

هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) قال الكلبي: قال الكلبي: يعني أولى بكم. وهو قول الزجاج والفراء

وأبي عبيدة^(٣)

قلت: وهو قول الأخفش والثعلبي والأعلم والزوزني والبغوي والزمخشري وغيرهم في تفسير الآية

المذكورة. وكذا قول ثعلب والمبرد والرماني وغيرهم في معنى الكلمة.

الرابع وإنه يشهد بذلك كون «المولى» بمعنى «ولي الأمر»، «المتولي للامور» و«المتصرف في

الأمر» و«المليك» ونحو ذلك، كما لا يخفى على من يراجع التفاسير في قوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ

مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا)^(٤) و (ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ)^(٥) و (أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى

الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)^(٦) ونحوها.

الخامس وإنه يشهد بذلك أمور أخرى في حديث الغدير:

منها: التهئية. وقد رواها: ابن أبي شيبه وأحمد والفسوي والثعلبي والخطيب التبريزي وابن كثير

والمقريزي وغيرهم. وقد تقدّم بعض الأحاديث.

(١) جواهر العقدين للسمهودي: ٢٣٥.

(٢) كنز العمال ١٣/١٠٤.

(٣) تفسير الرازي ٢٩/٢٢٨.

(٤) سورة محمد: آية ١١.

(٥) سورة الأنعام: آية ٦٢.

(٦) سورة البقرة: آية ٢٨٦.

ومنها: قول أبي أيوب الأنصاري وجماعة لأئمة المؤمنين عليه السلام: «السَّلام عليك «يا مولانا»

فلَمَّا قال لهم: كيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟ قالوا: سمعنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ:

من كنت مولاه فعلي مولاه.

ومن رواته: أحمد وابن أبي شيبَةَ والطبراني وابن كثير والقاري وغيرهم.

هذا موجز الكلام على حديث الغدير في جهاته المختلفة، وقد ظهر أَنَّهُ حديث مقطوع بصدوره،

وَأَنَّهُ يدلُّ على الإمامة والولاية.

فما ذكره ابن تيميَّة تعصَّبُ أوجهلُّ.

الثالث:

قوله صَلَّى الله عليه وآله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى

إلا أنه لا نبيَّ بعدي».

أثبت له جميع منازل هارون من موسى صَلَّى الله عليه وآله، للإستثناء.

ومن جملة منازل هارون: أنه كان خليفة لموسى، ولو عاش بعده لكان خليفة أيضاً، وإلا لزم تطرق

النقص إليه. ولأنه خليفة مع وجوده وغييبته مدّة يسيرة، وبعد موته وطول الغيبة أولى بأن يكون خليفة.

قال ابن تيميّة ما ملّخصه بلفظه:

والجواب: إنّ هذا الحديث ثبت في الصحيحين بلا ريب وغيرهما، وكان النبي صَلَّى الله عليه

[وآله] قال له ذلك في غزوة تبوك، وقول القائل: هذا بمنزلة هذا، وهذا مثل هذا، هو كتشبيه الشيء

بالشيء، لا يقتضي المساواة في كلّ شيء، وقوله: بمنزلة هارون من موسى، أي: مثل منزلة هارون.

وبالجملة، فالاستخلافات على المدينة ليست من خصائصه، ولا تدلّ على الأفضلية، ولا على

الإمامة، بل قد استخلف عدداً غيره. ولم يقل أحد من العقلاء إن من استخلف شخصاً على بعض

الامور وانقضى ذلك الاستخلاف: إنه يكون خليفة بعد موته على شيء. ولكن الرافضة من أجهل الناس

بالمعقول والمنقول.

أقول:

هذا حديث المنزلة المقطوع بصدوره عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، وهو من أجَلِّ الأحاديث في باب الإمامة وأوضحها دلالةً على ذلك. وذلك، لأنَّ النبيَّ قد أثبت لأئمة المؤمنين جميع منازل هارون من موسى.

أمَّا أنه أثبت جميعها له، فللإستثناء، لأنَّ الإستثناء من أدلَّة العموم، كما نصَّ العلماء في مباحث العموم ونحصوص من الكتب الاصولية:

قال البيضاوي في منهاج الوصول: «ومعيار العموم جواز الإستثناء، فإنه يخرج ما يجب اندراجه لولاه، وإلا لجاز من الجمع المنكر»

وقال الجلال المحلِّي في شرح جمع الجوامع للسبكي: «ومعيار العموم الاستثناء، فكلَّ ما صحَّ الاستثناء منه ممَّا لاحصر فيه فهو عام، للزوم تناوله للمستثنى...»

وقال محبُّ الله البهاري في مسلم الثبوت بعد أن ذكر الصيغ الدالة على العموم: «لنا جواز الاستثناء، وهو معيار العموم».

وأما منازل هارون من موسى، فقد دلَّ عليها القرآن الكريم:

قال تعالى: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاخْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشُدُّ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي...)

وقال: (وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ).

فكانت منازل هارون من موسى:

١. الخلافة، إذ قال له: أخلفني في قومي.

٢. الوزارة. فقد طلب موسى من الله أن يجعل له وزيراً من أهله.

٣. الأخوة. قال: هارون أخي.

٤. شدّ الأزر، فكان موسى - وهو من الأنبياء أولي العزم - قد طلب من الله عزّ وجلّ أن يشدّ

بهارون أزره.

٥. الشركة في الأمر. وهذا شأن عظيم، فقد كان هارون نبياً وشريكاً لموسى في رسالته.

وقد أثبت الحديث جميع هذه المنازل لأئمة المؤمنين عليه السلام (إلا النبوة).

ومن جملة المنازل: أنه كان خليفة لموسى، ولو عاش بعده لكان خليفة أيضاً.

وفيهما ما يدلّ على الأفضليّة، وبيان ذلك في أدلّة أفضليّته.

ويتلخص كلام ابن تيميّة في أمرين:

أحدهما: أنّ النبيّ لم يخاطب عليّاً - عليهما الصّلاة والسلام - بهذا الخطاب إلاّ ذلك اليوم في

غزوة تبوك.

وهذا جهلٌ منه أو تجاهل!

وقد كتبت سابقاً رسالةً في موارد حديث المنزلة، وصحّحت بعض أسانيدها، وأنا ذاكرٌ هنا خلاصة

تلك الرسالة:

المورد ١ و ٢: المؤاخاة الأولى والثانية. روى ذلك: أحمد بن حنبل،^(١) والطبراني،^(٢) وأبو نعيم،^(٣)

وابن عساكر،^(٤) وغيرهم...

(١) كما في كنز العمال ٩: ١٦٧ ح ٢٥٥٥٤، وج ١٣: ١٠٥ ح ٣٦٣٤٥.

(٢) المعجم الكبير ١١ / ٧٥ ح ١١٠٩٢.

(٣) كما في طريق ابن عساكر.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ٥٢ - ٥٣ وص ١٦٩.

رووه عن ابن أبي أوفى، ومحدوج بن زيد الذهلي، وعبدالله بن العباس، وأنس ابن مالك، وعمر بن الخطاب، ويعلى بن مزة.

وسياتي بعض الكلام على قضية المؤاخاة وأنها كانت مرتين، وأن ابن تيمية كذبها بالمرّة.

المورد ٣ و ٤: عند ولادة الحسن وولادة الحسين عليهما السلام. روى ذلك: الملاء في

سيرته،^(١) ومحّب الدين الطبري،^(٢) والخورزمي عن البيهقي بسنده، عن الإمام عليّ ابن موسى الرضا، عن آبائه، عن أسماء بنت عميس.^(٣)

المورد ٥: يوم خيبر. روى ذلك بالأسانيد: ابن المغازلي،^(٤) والموقّ الخوارزمي،^(٥) وأبو عبدالله

الكنجي.^(٦)

المورد ٦: عند النهي عن الرقاد في المسجد. روى ذلك: ابن عساكر.^(٧)

المورد ٧: عند سدّ الأبواب. روى ذلك: ابن المغازلي الشافعي.^(٨)

وسياتي الكلام على حديث سدّ الأبواب.

المورد ٨: يوم خرج متكئاً على عليّ. روى ذلك: المتّقّي الهندي عن جماعة،^(٩) وابن عساكر،^(١٠)

عساكر،^(١٠) وغيرهم.

(١) وسيلة المتعبدين ٥ / ٢٢٥.

(٢) ذخائر العقبى: ٢٠٩.

(٣) مقتل الحسين ١ / ٨٧ - ٨٨.

(٤) مناقب عليّ بن أبي طالب: ٢٣٧ / ٢٨٥.

(٥) المناقب للخوارزمي: ١٢٨ / ١٤٣.

(٦) كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب: ٢٦٤.

(٧) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ١٣٩.

(٨) مناقب عليّ بن أبي طالب: ٢٥٥ - ٣٠٣.

(٩) كنز العمال ١٣: ١٢٢ ح ٣٦٣٩٢.

(١٠) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ١٦٧.

المورد ٩: في بيت أم سلمة. روى ذلك: الطبراني،^(١) وابن عساكر،^(٢) وغيرهما.

المورد ١٠: في قضية يرويه أنس بن مالك. روى ذلك: ابن مردويه.^(٣)

المورد ١١: في قضية بنت حمزة عليه السلام. روى ذلك: النسائي،^(٤) وابن عساكر.^(٥)

المورد ١٢: يوم غدیر خمّ. روى ذلك ابن خلّكان في تاريخه.^(٦)

المورد ١٣: في كلام له مع عقيل. روى ذلك: ابن عساكر.^(٧)

أقول:

إنّ عدداً من أحاديث هذه الموارد صحيح بلا ريب، ونحن نكتفي بواحد منها - ومن شاء المزيد

فليرجع إلى الأسانيد وإلى الرسالة التي ألفتها في هذا الموضوع - :

قال أبو القاسم الطبراني: «حدّثنا محمود بن محمّد المروزي، قال: حدّثنا حامد ابن آدم، قال:

حدّثنا جرير، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عبّاس، قال: لَمَّا آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ

أَصْحَابِهِ، بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَلَمْ يُؤَآخِ بَيْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، خَرَجَ عَلَيَّ

مَغْضَبًا، حَتَّى أَتَى جَدُولًا مِنَ الْأَرْضِ، فَتَوَسَّدَ ذِرَاعَهُ، فَسَفَّ عَلَيْهِ الرِّيحَ، فَطَلَبَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

وَسَلَّمَ حَتَّى وَجَدَهُ، فَوَكَزَهُ بِرِجْلِهِ فَقَالَ لَهُ:

(١) المعجم الكبير ١٢: ١٨ ح ١٢٣٤١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ٤٢.

(٣) وعنه في كشف الغمّة في معرفة الأئمّة ١ / ٣٤٣.

(٤) خصائص أمير المؤمنين عليّ: ٨٨.

(٥) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ١٧٠.

(٦) وفيات الأعيان ٥ / ٢٣١.

(٧) تاريخ مدينة دمشق ٤١ / ١٧ - ١٨.

قم، فما صلحت أن تكون إلا أبا تراب، أغضبت عليّ حين واخيت بين المهاجرين والأنصار، ولم
أُؤاخ بينك وبين أحد منهم؟ أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه ليس بعدي
نبي؟!^(١)

ألا من أحبك حُفّ بالأمن والإيمان، ومن أبغضك أماته الله ميتة الجاهليّة وحوسب بعمله في
الإسلام». ^(١)

* فأما «الطبراني»: فهو الحافظ الإمام الثقة الغني عن الترجمة.

* وأما «محمود بن محمد المروزي»، فقد ترجم له الخطيب في تاريخه، وذكر أنه قدم بغداد
وحدث بها...

قال: «روى عنه: محمد بن مخلد، وعبد الصمد بن علي الطستي، وأبو سهل بن زياد، وإسماعيل
بن علي الخطبي، وأبو علي بن الصّوّاف، له أحاديث مستقيمة».
ثم روى عن طريقه حديثاً، وأرخ وفاته بسنة سبع وتسعين. ^(٢)

* وأما «حامد بن آدم»، فقد أخرج عنه الحاكم في المستدرک، ^(٣) وذكره ابن حبان في الثقات، ^(٤)
وقال الذهبي: مشاه ابن عدي. ^(١)

هذا، ولم يذكروا في المقابل إلا تكلم السعدي الجوزجاني فيه، لكنه لا يصلح لمعارضة التوثيق؛
لأن ابن عدي تعقّب بقوله: «وحامد بن آدم هذا يروي عن عبدالله بن المبارك، ومحمد بن الفضل بن
عطية، والفضل بن موسى، والنضر بن محمد، والنضر ابن شميل، وعامة المراوذة...»

(١) المعجم الكبير ١١ / ٧٥ ح ١١٠٩٢.

(٢) تاريخ بغداد ١٣ / ٩٤.

(٣) لسان الميزان ٢ / ١٦٣.

(٤) الثقات ٨ / ٢١٨.

ولم أر في حديثه إذا روى عن ثقة شيئاً منكراً، وإنما يؤتى ذلك إذا حدّث عن ضعيف»^(٢) ... هذا أولاً.

وثانياً: فإنّ السعدي الجوزجاني لا يعتمدون على تجريحاته، كما نصّ عليه الحافظ ابن حجر العسقلاني وغيره.

هذا، ولم يذكر الرجل في شيء من كتب الضعفاء والمتروكين للنسائي والبخاري والدارقطني، وأورده الذهبي في المغني^(٣) فلم يذكر إلاّ قرح الجوزجاني، وقد عرفت ما فيه. والظاهر وقوع الخلط على ابن حجر بينه وبين رجل آخر، فليتمل. وعلى الجملة، فهذا القدر يكفينا للاحتجاج على ضوء القواعد المقررة. * وأما «جرير» و «ليث» و«مجاهد»، فأئمة أعلام عندهم بلا خلاف بينهم.

وتلخص:

أولاً: إنّ حديث المنزلة صحيح سنداً، بل هو من أشهر الأحاديث المتواترة عن رسول الله، فالطعن في سنده تعصّب.

وثانياً: إنّ ناظر إلى الآيات الواردة في منازل هارون من موسى، وهي: «الأخوة»^(٤) و«الوزارة»^(٥) و«القراية القريبة»^(٦) و«الخلافة»^(١) و«شدّ الأزر»^(٢).

(١) المغني ١ / ٢٢٩.

(٢) الكامل في الضعفاء ٣ / ٤٠٩.

(٣) المغني في الضعفاء ١ / ٢٢٩.

(٤) سورة مريم ١٩ : ٥٣.

(٥) سورة طه ٢٠ : ٢٩، سورة الفرقان ٢٥ : ٣٥، سورة القصص ٢٨ : ٣٤.

(٦) سورة طه ٢٠ : ٢٩ و ٣٠.

وثالثاً: إنّ لفظه ظاهر في عموم المنزلة؛ لاشتماله على «اسم الجنس المضاف» وعلى

«الإستثناء» وهو معيار العموم، كما نصّ عليه الأئمة منهم في مختلف العلوم.

ورابعاً: إنّّه وارد في موارد متعدّدة، كما في كتب القوم المشهورة، وبعضها صحيح سنداً بلا

إشكال، استناداً إلى كتبهم في التراجم والرجال.

(١) سورة الأعراف ٧: ١٤٢.

(٢) سورة طه ٢٠: ٣١.

الرّابع

أنه صلّى الله عليه وآله استخلفه على المدينة مع قصر مدة الغيبة

فيجب أن يكون خليفته بعد موته. وليس غير علي عليه السلام خليفة له في حال حياته إجماعاً، لأنه لم يعزله عن المدينة، فيكون خليفة له بعد موته فيها، وإذا كان خليفة في المدينة، كان خليفة في غيرها إجماعاً.

قال ابن تيميّة:

والجواب من وجوه:

أحدها: أن نقول على أحد القولين: إنه استخلف أبابكر بعد موته كما تقدّم، وإذا قالت الرافضة: بل استخلف عليّاً. قيل: الراونديّة من جنسكم قالوا: استخلف العباس، وكلّ من كان له علم بالمنقولات الثابتة يعلم أن الأحاديث الدالّة على استخلاف أحد بعد موته إنما تدلّ على استخلاف أبي بكر، ليس فيها شيء يدلّ على استخلاف عليّ ولا العباس، بل كلّها تدلّ على أنه لم يستخلف واحداً منهما. فيقال حينئذ: إن كان النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم استخلف أحداً فلم يستخلف إلا أبابكر، وإن لم يستخلف أحداً، فلا هذا ولا هذا.

فعلى تقدير كون الاستخلاف واجباً على الرسول، لم يستخلف إلا أبابكر، فإن جميع أهل العلم بالحديث والسيرة متفقون على أن الأحاديث الثابتة لا تدلّ على استخلاف غير أبي بكر، وإنما يدلّ ما يدلّ منها على استخلاف أبي بكر. وهذا معلوم بالاضطرار عند العالم بالأحاديث الثابتة.

الوجه الثاني: أن نقول: أنتم لا تقولون بالقياس، وهذا احتجاج بالقياس، حيث قسمتم الاستخلاف في الممات على الاستخلاف في المغيب.

الوجه الثالث: أن يقال: الاستخلاف في الحياة واجب على كل ولي أمر، ولا يلزم من وجوب الاستخلاف في الحياة وجوبه بعد الموت.

الرابع: إنَّ الاستخلاف في الحياة واجب في أصناف الولايات، وهذا الاستخلاف لا يجب بعد الموت باتِّفاق العقلاء بل ولا يمكن، فإنه لا يمكن أن يعيّن للأمة بعد موته من يتولّى كلَّ أمر جزئي.

الوجه الخامس: إن ترك الاستخلاف بعد مماته كان أولى من الاستخلاف، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ علم أن الأمة يولّون أبابكر فاستغنى بذلك عن توليته، وأبوبكر لم يكن يعلم أن الأمة يولّون عمر إذا لم يستخلفه أبوبكر، فكان ما فعله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو اللائق به لفضل علمه، وما فعله صديق الأمة هو اللائق.

الوجه السادس: أن يقال: هب أن الاستخلاف واجب، فقد استخلف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أبابكر على قول من يقول إنه استخلفه، ودلّ على استخلافه على القول الآخر. وقوله: «لأنه لم يعزله عن المدينة» باطل، فإنه لما رجع النبي انعزل علي بنفس رجوعه.

أقول:

أخرج أحمد بسند صحيح حديث المناقب العشر التي اختصَّ بها الإمام عليه السّلام دون الصحابة كلّهم عن ابن عبّاس، وقد جاء فيه:

قال: وخرج بالناس في غزوة تبوك. قال فقال له علي: أخرج معك؟ قال: فقال له نبي الله صلى الله عليه وآله: لا. فبكى علي. فقال له: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبي؟ إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي.^(١)

وأخرجه النسائي وأبو يعلى والحاكم وابن عساكر وابن كثير وغيرهم.

فإذا قال له هذا الكلام وجعله الخليفة بعده على المدينة مع قصر الغيبة، وجب أن يكون خليفته عليها بعد موته، لأنه قال: «لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي».

ولما كان هو الخليفة في حال حياته دون غيره إجماعاً، فهو الخليفة بعد موته.

وعلى الجملة، فإن قوله صلى الله عليه وآله: «لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي» مطلق، أي سواء كان ذهابي قصيرة مدته أو طويلة، فإنك الخليفة، أي فإنك الذي تملأ الفراغ الحاصل من ذهابي، وتقوم مقامي في الأمة.

وإذا كان الأمر كذلك، فأى وقع لما أظن به ابن تيمية وأتى بما لا يسمن ولا يغني؟

(١) مسند أحمد ١ / ٣٣٠ - ٣٣١.

الخامس

مارواه الجمهور بأجمعهم عن النبي صَلَّى الله عليه وآله أنه قال

لأمير المؤمنين عليه السلام:

«أنت أخي ووصيي وخليفتي من بعدي وقاضي ديني».

وهو نصّ في الباب.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بصحّة هذا الحديث، فإنّ هذا الحديث ليس في شيء من الكتب التي تقوم

الحجة بمجرد إسناده إليها، ولا صحّحه إمام من أئمة الحديث.

الثاني: إن هذا الحديث كذب موضوع باتّفاق أهل العلم بالحديث.

قال أبو الفرج بن الجوزي في كتاب «الموضوعات» لما روى هذا الحديث من طريق أبي حاتم

البيستي، حدثنا محمد بن سهل بن أيوب، حدثنا عمّار بن رجاء، حدثنا عبيدالله ابن موسى، حدثنا مطر

بن ميمون الإسكافي، عن أنس: أن النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلّم قال: «إن أخي ووزيرني وخليفتي

من أهلي، وخير من أترك بعدي، يقضي دَينِي، وينجز موعدي: عليّ بن أبي طالب»

قال: هذا حديث موضوع. قال ابن حبان: مطر بن ميمون، يروي الموضوعات عن الأثبات، لا

تحلّ الرواية عنه».

رواه أيضاً من طريق أحمد بن عدي بنحو هذا اللفظ، ومداره على عبيدالله بن موسى، عن مطر بن

ميمون.

وكان عبيدالله بن موسى في نفسه صدوقاً، روى عنه البخاري، لكنه معروف بالتشيع، فكان لتشييعه يروي عن غير الثقات ما يوافق هواه، كما روى عن مطر بن ميمون هذا، وهو كذب. وقد يكون علم أنه كذب ذلك، وقد يكون لهواه لم يبحث عن كذبه، ولو بحث عنه لتبين له أنه كذب هذا، مع أنه ليس في اللفظ الذي رواه هؤلاء المحدثون: «خليفتي من بعدي» وإنما في تلك الطريق: «وخليفتي في أهلي» وهذا استخلاف خاص.

وأما اللفظ الآخر الذي رواه ابن عدي، فإنه قال: «حدثنا ابن أبي سفيان، حدثنا عدي بن سهل، حدثنا عبيدالله بن موسى، حدثنا مطر، عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «عليّ أخي وصاحبي وابن عمي وخير من أترك من بعدي، يقضي ديني وينجز موعدي».

ولا ريب أن مطراً هذا كذاب، لم يرو عنه أحد من علماء الكوفة، مع روايته عن أنس، فلم يرو عنه يحيى بن سعيد القطان، ولا وكيع، ولا أبو معاوية، ولا أبو نعيم، ولا يحيى بن آدم ولا أمثالهم، مع كثرة من بالكوفة من الشيعة، ومع أن كثيراً من عوامها يفضّل عليّاً على عثمان، ويروي حديثه أهل الكتب الستة، حتى الترمذي وابن ماجه قد يرويان عن ضعفاء، ولم يرووا عنه، وإنما روى عنه عبيد الله بن موسى، لأنه كان صاحب هوى متشيعاً، فكان لأجل هواه يروي عن هذا ونحوه، وإن كانوا كذابين.

ولهذا لم يكتب أحمد عن عبيدالله بن موسى، بخلاف عبدالرزاق، وذكر أحمد أن عبيدالله كان يظهر ما عنده بخلاف عبدالرزاق.

ومما افتراه مطر هذا: مارواه أبوبكر الخطيب في «تاريخه» من حديث عبيدالله بن موسى، عن مطر، عن أنس، قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرأى عليّاً مقبلاً، فقال: «أنا وهذا

حجة الله على أمي يوم القيامة» قال ابن الجوزي: «هذا حديث موضوع، والمتهم بوضعه مطر. قال أبو حاتم: يروي الموضوعات عن الأثبات، لا تحل الرواية عنه».

الوجه الثالث: أن دَيْن النبي صَلَّى الله عليه وسلّم لم يقضه عليّ، بل في الصحيح أن النبي صَلَّى الله عليه وسلّم مات ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين وسقاً من شعير ابتاعها لأهله. فهذا الدين الذي كان عليه يقضى من الرهن الذي رهنه، ولم يعرف عن النبي صَلَّى الله عليه وسلّم دَيْن آخر. وفي الصحيح عنه أنه قال: «لا يقتسم ورثتي ديناراً ولا درهماً، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤنه عاملي فهو صدقة». فلو كان عليه دَيْن قُضِيَ مما تركه، وكان ذلك مقدماً على الصدقة، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح.

أقول:

هنا بحوث:

البحث الأول: في لفظ الحديث:

فإن كلمة «ديني» بكسر الدال لايفتحها.

قال العلامة: هذا دليل آخر على إمامة علي عليه السلام. وتقريره: إن

النبي صَلَّى الله عليه وآله قال: أنت أخي ووصيي وخليفتي من بعدي وقاضي ديني - بكسر الدال - . وهذا نص صريح على الولاية والخلافة.^(١)

فأكثر الأصحاب يؤكّدون على أن الدال مكسورة، و«القضاء» هنا بمعنى «الأداء»، فالمعنى: أن الذي يؤدّي الدين إلى الناس بعد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله، وأن على الناس أن يرجعوا إليه - لا إلى غيره - في جميع الامور الدينيّة: هو علي عليه السلام.

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٥٠١.

ولكن ابن تيمية وأمثاله يقرأون الكلمة بفتح الدال حتى لا تفيد المعنى المذكور.

ولو احتمل الوجهان، ففي دلالة الحديث بحمله السابقة على المطلوب كفاية.

ثم إن ألفاظ الحديث مختلفة، فمنها ما يشتمل على كل الجمل، ومنها ما يشتمل على بعضها،

كما سيأتي في البحث الثاني.

هذا، ولا يخفى صدور هذا الكلام منه صلى الله عليه وآله في أول دعوته أيضاً:

قال ابن عساکر:

أخبرنا أبو البركات عمر بن إبراهيم الزيدي العلوي - بالكوفة - أنا أبو الفرج محمد بن أحمد بن

علان الشاهد، أنا محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين، أنا أبو عبدالله محمد بن القاسم بن زكريا

المحاربي، نا عبّاد بن يعقوب، نا عبد الله بن عبد القدوس، عن الأعمش، عن المنهال بن عمر، عن

عبّاد بن عبدالله، عن علي بن أبي طالب قال:

لما نزلت (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا علي اصنع

لي رجل شاة بصاع من طعام، وأعد قعباً من لبن» - وكان القعب: قدر ري رجل - قال: ففعلت، فقال لي

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا علي، إجمع بني هاشم» وهم يومئذ أربعون رجلاً - أو أربعون غير

رجل - فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطعام، فوضعه بينهم، فأكلوا حتى شبعوا، وإنّ منهم لمن

يأكل الجذعة بإدامها، ثم تناولوا القدح فشربوا حتى رووا، وبقي فيه عامته، فقال بعضهم: ما رأينا كالיום

في السحر - يرون أنه أبو لهب - .

ثم قال: «يا علي، اصنع رجل شاة بصاع من طعام، وأعد بقعب من لبن» قال: ففعلت، فجمعهم،

فأكلوا مثل ما أكلوا بالمرة الأولى، وشربوا مثل المرة الأولى، وفضل منه ما فضل المرة الأولى، فقال

بعضهم: ما رأينا كالיום في السحر.

فقال الثالثة: «اصنع رجل شاة بصاع من طعام، وأعد بقعب من لبن»، ففعلت، فقال: «اجمع بني هاشم»، فجمعتهم، فأكلوا وشربوا، فبدرهم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم بالكلام فقال: «أيكم يقضي ديني ويكون خليفتي ووصيي من بعدي؟» قال: فسكت العباس مخافة أن يحيط ذلك بماله، فأعاد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم [الكلام، فسكت] القوم وسكت العباس مخافة أن يحيط ذلك بماله، فأعاد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم الكلام الثالثة، قال: وإني يومئذ لأسوأهم هيئة، إني يومئذ لأحمش الساقين، أعمش العينين، ضخم البطن، فقلت: أنا يا رسول الله، قال: «أنت يا علي، أنت يا علي».

أخبرنا أبو الحسن علي بن المسلم الفقيه [نا] عبد الله بن أحمد، نا أبو الحسن علي ابن موسى بن السمسار، أنا محمد بن يوسف، أنا أحمد بن الفضل الطبري، نا أحمد ابن حسين، نا عبد العزيز بن أحمد بن يحيى الجلودي البصري، نا محمد بن زكريا الغلابي، نا محمد بن عباد بن آدم، نا نصر بن سليمان، نا محمد بن إسحاق، عن عبد الغفار بن القاسم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث بن عبد المطلب، عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب، قال:

لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: **(وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)**، «فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أني متى أناديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمْتُ عليها حتى جاءني جبريل، فقال: يا محمد، إنك إن لم تفعل ما تؤمر به سيعذبك ربك، فاصنع لنا صاعاً من طعام، واجعل عليه رجل شاة، وأمل لنا عساً من لبن، واجمع لي بني عبد المطلب حتى أبلغهم. فصنع لهم الطعام، وحضروا فأكلوا وشبعوا، وبقي الطعام. قال: ثم تكلم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فقال: «يا بني عبد المطلب، أي والله ما أعلم شاباً من العرب جاء قومه بأفضل مما جئتكم به، إني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وإن ربي أمرني أن أدعوكم، فأياكم يوءازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم؟» فأحجم القوم عنها جميعاً

- وإني لأحدثهم سناً - فقلت: أنا يا نبي الله، أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثم قال: «هذا أخي، ووصيّي، وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا».

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لعلي وتطيع.

وأنا محمّد بن يوسف، أنا أبو الحسن محمّد بن أحمد بن عبدالله بن علي بن عبيدالله بن عبدالله بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أنا أبو العباس أحمد بن محمّد بن سعيد الهمداني، أنا أبو الحسن أحمد بن يعقوب الجعفي، نا علي بن الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين، نا إسماعيل بن محمد بن عبدالله بن علي بن الحسين بن علي، حدثني إسماعيل بن الحكم الرافعي عن عبدالله بن عبيدالله بن أبي رافع عن أبيه قال: قال أبو رافع:

جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً، وإن كان منهم لمن يأكل الجذعة، ويشرب الفرق من اللبن، فقال لهم: «يا بني عبد المطلب، إن الله لم يبعث رسولا إلا جعل له من أهله آخاً ووزيراً ووارثاً ووصياً [ومنجزاً لعداته، وقاضياً لدينه، فمن منكم يتابعني على أن يكون أخي ووزير ووصي] وينجز عداتي وقاضي ديني؟ فقام إليه علي بن أبي طالب، وهو يومئذ أصغرهم، فقال له: «إجلس»، وقدّم إليهم الجذعة والفرق [من] اللبن فصدروا عنه حتى أنهلهم وفضل منه فضلة.

فلما كان في اليوم الثاني، أعاد عليهم القول، ثم قال: «يا بني عبدالمطلب، كونوا في الإسلام رؤوساً، ولا تكونوا أذناً، فمن منكم يبايعني على أن يكون أخي ووزير ووصي، وقاضي ديني، ومنجز عداتي؟ فقام إليه علي بن أبي طالب فقال: «إجلس».

فلما كان اليوم الثالث، أعاد عليهم القول، فقام علي بن أبي طالب، فبايعه بينهم، فتفل في فيه، فقال أبو لهب: بس ما جبرت به ابن عمك، إذ أجابك إلى ما دعوته إليه، ملأت فاه بصاقاً.

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن جعفر، أنا أبو الفضل أحمد بن عبد المنعم ابن أحمد بن بُندار، أنا أبو الحسن العتيقي، أنا أبو الحسن الدارقطني، أنا أحمد بن محمد ابن سعيد، نا جعفر بن عبدالله بن جعفر المحمّدي، نا عمر بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن أبيه، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن أبي رافع قال:

كنت قاعداً بعدما بايع الناس أبا بكر، فسمعت أبا بكر يقول للعبّاس: أنشدك الله هل تعلم أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم جمع بني عبد المطلب وأولادهم وأنت فيهم وجمعكم دون قريش، فقال: يا بني عبدالمطلب إنّه لم يبعث الله نبياً إلاّ جعل له من أهله أخاً، ووزيراً، ووصياً، وخليفة في أهله، فمن يقوم منكم بيايعني على أن يكون أخي ووزير ووصي وخليفتي في أهلي؟، فلم يقم منكم أحد، فقال: يا بني عبدالمطلب كونوا في الإسلام رؤوساً ولا تكونوا أذناً، والله ليقومنّ قائمكم أو لتكونن في غيركم ثم لتندمنن. فقام علي من بينكم فبايعه على ما شرط له، ودعاه إليه، أتعلم هذا له من رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم؟ قال: نعم.

وقال الطبراني:

حدثنا محمد بن عبدالله الحضرمي، ثنا إبراهيم بن الحسن الثعلبي، ثنا يحيى بن يعلى، عن ناصح بن عبدالله، عن سماك بن حرب عن أبي سعيد الخدري عن سلمان قال قلت: يا رسول الله لكّل نبي وصي، فمن وصيّك؟ فسكت عني، فلما كان بعد رأني فقال: يا سلمان فأسرعت إليه قلت: لبيك قال: تعلم من وصي موسى؟ قلت: نعم، يوشع ابن نون، قال: «لم؟» قلت: لانه كان أعلمهم، قال: فإنّ وصيّ وموضع سري وخير من أترك بعدي ينجز عدتي ويقضي ديني عليّ بن أبي طالب»^(١).

حدثنا محمد بن عثمان بن ابى شيبه، ثنا محمد بن يزيد - هو أبوهشام الرفاعي - ثنا عبدالله بن محمد الطهوي، عن ليث، عن مجاهد، عن ابن عمر قال: بينما أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في ظل المدينة وهو يطلب علياً رضي الله عنه، إذ انتهينا إلى حائط فنظرنا فيه فنظر إلى علي وهو نائم في الأرض وقد أغبر، فقال: لا ألوم الناس يكتونك أبا تراب، فلقد رأيت علياً تغير وجهه واشتد ذلك، فقال: ألا أرضيك يا علي؟ قال بلى يا رسول الله، قال: أنت أخي ووزير، تقضي ديني وتجز موعدي وتبريء ذمتي، فمن أحبك في حياة مني فقد قضى نحبه، ومن أحبك في حياة منك بعدي ختم الله له بالأمن والإيمان، ومن أحبك بعدي ولم يرك ختم الله له بالأمن والإيمان وأمنه يوم الفزع الأكبر، ومن مات وهو يبغضك - يا علي - مات ميتة جاهلية، يحاسبه الله بما عمل في الإسلام»^(١).

وأخرج أحمد:

حدثنا أسود بن عامر، حدثنا شريك، عن الأعمش، عن المنهال، عن عباد بن عبدالله الأسدي عن علي قال:

لما نزلت هذه الآية (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) قال: جمع النبي صلى الله عليه وآله [وأله] [وسلم من أهل بيته، فاجتمع ثلاثون، فأكلوا وشربوا، قال فقال لهم: من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي؟ فقال رجل - لم يسمه شريك - يا رسول الله، أنت كنت بحراً، من يقوم بهذا؟

قال ثم قال الآخر. قال: فعرض ذلك على أهل بيته. فقال علي: أنا»^(٢)

وقال ابن مردويه:

(١) المعجم الكبير ١٢ / ٤٢٠ - ٤٢١.

(٢) مسند أحمد ١ / ١١١.

حدثنا أحمد بن محمد بن عثمان الصيدلاني، قال: حدثنا المنذر بن محمد بن المنذر، قال: حدثنا أحمد بن موسى الخزاز، قال: حدثنا تليد بن سليمان أبو إدريس، عن جابر، عن محمد بن علي، عن أنس بن مالك، قال:

بينما أنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [إذ] قال: الآن يدخل سيّد المسلمين، وأمير المؤمنين، وخير الوصيين، وأولى الناس بالنبين. إذ طلع علي بن أبي طالب عليه السلام، فأخذ رسول الله عليه السلام يمسح العرق من وجهه ويمسح به وجه علي بن أبي طالب عليه السلام، ويمسح العرق من وجه علي عليه السلام ويمسح به وجهه، فقال له علي عليه السلام: يا رسول الله، نزل في شيء؟ قال: أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي؟ أنت أخي ووزير وخير من أخلف بعدي، تقضي ديني، وتنجز وعدي، وتبين لهم ما اختلفوا فيه من بعدي، وتعلمهم من تأويل القرآن ما لم يعلموا، وتجاهدهم على التأويل كما جاهدتهم على التنزيل.^(١)

وقال ابن عساكر:

قرأت على أبي محمد بن حمزة عن أبي بكر الخطيب، أنا الحسن بن أبي بكر، أنا أبوسهل أحمد بن محمد بن عبدالله القطان، حدثنا الحسن بن العباس الرازي، حدثنا القاسم بن خليفة أبومحمد، حدثنا أبو يحيى التيمي إسماعيل بن إبراهيم، عن مطر أبي خالد، عن أنس بن مالك، في حديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لسلمان:

إنّ أخي ووزير وخليفتي في أهل بيتي، وخير من تركت بعدي، يقضي ديني، وينجز موعدي علي بن أبي طالب.

(١) اليقين في إمرة أمير المؤمنين لابن طاووس: ١٧٩.

وقال القطيعي: حدّثنا الهيثم بن خلف، حدّثنا محمّد بن أبي عمر الدورقي، حدّثنا أسود بن عامر بن شاذان، حدّثنا جعفر بن أحمد، عن مطر، عن أنس بن مالك، قال:

قلت لسلمان الفارسي: سل رسول الله صلّى الله عليه وآله: من وصيّيه؟ فقال له سلمان: يا رسول الله من وصيّك؟ قال: من كان وصيّ موسى؟ قال: يوشع بن نون.

قال: فإنّ وصيّ ووارثي، يقضي ديني، وينجز موعدتي، وخير من أخلف بعدي علي ابن أبي طالب.^(١)

أقول:

وإذ عرفت أنّ للحديث أسانيد كثيرة، وأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قد قال هذا الكلام في مواضع مختلفة، يبقى الكلام في «عبيدالله بن موسى» و «مطر بن ميمون الإسكافي»

أمّا (عبيدالله بن موسى) فهو من رجال الصّحاح الستّة، وقول ابن تيميّة: «كان في نفسه صدوقاً لكنه معروف بالتشيع، فكان لتشيعه يروي عن غيرالثقات ما يوافق هواه» قدح في الرجل، ويرجع هذا القدح بالتالي إلى الصّحاح وأصحابها.

وأما (مطر) فلا جرح مهم له في نفسه، وإنما قال أكثرهم: «منكر الحديث» وأنه «يروى بواطيل»، ومن الواضح عندهم كون حديثنا من البواطيل والمنكرات عندهم، لأنّه ينسف مذهبيهم من الأساس.

فقول ابن تيميّة: «لا ريب أنّ مطراً هذا كذاب» كلام باطل كسائر أقواله في رواية أحاديث مناقب أميرالمؤمنين وفضائله الدالّة على إمامته.

(١) تاريخ مدينة دمشق ٥٦/٤٢.

وأما ابن الجوزي وكتابه الموضوعات، فقد أوردنا فيما تقدم آراء الأعظم فيه وفي كتابه، ولكن ابن تيمية يستند إلى ما في هذا الكتاب فيما كان يوافق هواه.

هذا، وقد أورد علماء الكلام هذا الحديث في أدلة إمامة الامام عليه السلام، ولم يحببوا عنه إلا بأنه خبر واحد.

قال في شرح المواقف:

الرابع: قوله عليه السلام: أخي ووزير وخير من أتركه بعدي، يقضي ديني وينجز وعدي: علي بن أبي طالب.

وأجيب: بأنه لا دلالة للاخوة والوزارة على الأفضلية. وأما باقي الكلام فإنه يدل على أنه خير من يتركه قاضياً لدينه ومنجزاً لوعده، وذلك، لأن قوله «يقضي» مفعول ثان لـ «أتركه» أو حال من مفعوله، وحينئذ فلا يتناول الكل»^(١)

وقال في شرح المقاصد:

الرابع: النصوص الجليلة، مثل: سلّموا على علي بإمرة المؤمنين. أنت الخليفة من بعدي. إنه إمام المتقين. هذا خليفتي عليكم. أنت أخي ووصيي وخليفتي من بعدي وقاضي ديني. بكسر الدال. والجواب: ما مرّ أنها أخبار آحاد في مقابلة الإجماع، وأنها لو صحّت لما خفيت على الصحابة والتابعين والمهرة المتقين من المحدثين، سيّما على أولاده الطاهرين. ولو سلّم، فغايبته إثبات خلافته لانفي خلافة الآخرين.^(٢)

أقول:

(١) شرح المواقف ٣٦٨/٨.

(٢) شرح المقاصد ٥ / ٢٧٦.

إنها نصوصٌ جليّة، وهي متواترةٌ معنًى، ولم تكن خافيةً على الصحابة، إلا أنّ كثيراً منهم كما ذكر التفتازاني نفسه «حاد عن طريق الحق وبلغ حدّ الظلم والفسق، وكان الباعث له الحقد والعناد والحسد واللداد، وطلب الملك والرياسة والميل إلى اللذات والشهوات. إذ ليس كلّ صحابي معصوماً، ولا كلّ من لقي النبي بالخير موسوماً».^(١)

(١) شرح المقاصد ٣١٠/٥.

السادس

المؤاخاة

روى أنس قال: لَمَّا كان يوم المباهلة وأخى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بين المهاجرين والأنصار، وعليّ واقف يراه ويعرف مكانه، ولم يؤاخ بينه وبين أحد، فانصرف عليّ باكي العين، فافتقده النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقال: ما فعل أبو الحسن؟ قالوا: انصرف باكي العين، قال: يا بلال، إذهب فائت به، فمضى إليه وقد دخل منزله باكي العين.

فقال فاطمة: ما يبكيك لا أبكى الله عينيك؟

قال: أخى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف يراني ويعرف مكاني، ولم يؤاخ بيني وبين أحد!

قالت: لا يحزنك الله، لعلّه إنما ادّخرك لنفسه.

فقال بلال: يا عليّ، أجب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

فأتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فقال: ما يبكيك يا أبا الحسن؟ فقال: أخيت بين المهاجرين والأنصار يا رسول الله وأنا واقف تراني وتعرف مكاني، ولم تؤاخ بيني وبين أحد،

قال: إنما ادّخرتك لنفسي، ألا يسرك أن تكون أخا نبيك؟

قال: بلى يا رسول الله، أنّى لي بذلك.

فأخذ بيده، فأرقاه المنبر فقال: اللهم إن هذا مني وأنا منه، ألا إنه مني بمنزلة هارون من موسى،

ألا من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه!

فانصرف علي قرير العين. فأتبعه عمر فقال: بخ بخ يا أباالحسن، أصبحت مولاي ومولى كل

مؤمن!

والمؤاخاة تدل على الأفضليّة، فيكون هو الإمام.

قال ابن تيميّة:

والجواب:

أولاً: المطالبة بتصحيح النقل، فإنه لم يعز هذا الحديث إلى كتاب أصلاً، أرسله إرسالاً على عادة

أسلافه شيوخ الرافضة، يكذبون ويروون الكذب بلا إسناد.

الثاني: إن هذا الحديث موضوع عند أهل الحديث.

الثالث: إن أحاديث المؤاخاة لعلها موضوعة، والتّبي صلى الله عليه [وآله] لم يؤاخ أحداً...

الرّابع: إن دلائل الكذب على هذا الحديث بيّنة.

أقول:

أمّا أن عليّاً عليه السّلام أخو رسول الله صلى الله عليه وآله، فالشواهد عليه في الأحاديث

لا تحصى كثرة.

وأما خصوص حديث المؤاخاة بينهما عليهما السّلام، فقد سعى ابن تيميّة جاداً لتكذيبه، وكزّر ذلك

في مواضع من كتابه^(١) ولولا ثبوته لما وقع هذا الإصرار منه.

لقد أخى النبي صلى الله عليه وآله وسلّم بين أصحابه، وكان من ذلك أن أخى بين أبي بكر

وعمر... فقال علي عليه السلام له: أخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد؟ فقال رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلّم: «أنت أخي في الدنيا والآخرة».

(١) منهاج السنة ٤ / ٣٢ و ٥ / ٧١ و ٧ / ١١٧ و ٧ / ٢٧٩ و ٧ / ٣٦١.

راجع: الترمذي ٥/٥٩٥ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/١٦ ، المستدرک علی الصحیحین ٣ / ١٦-١٥ ، مصابیح السنّة ٤/١٧٣ ، الإستیعاب ٣/١٠٩٩ ، البداية والنهاية ٧/٣٧١ ، الرياض النضرة ٣/١٢٤ ، مشكاة المصابيح ٣/١٧٢١ ، الصواعق المحرقة: ١٢٢ ، تاريخ الخلفاء: ١٧٠ ، وغيرها...

وهذه الروايات هي عن جمٍّ غفير من الأصحاب، وعلى رأسهم:

أمير المؤمنين عليه السّلام، ومنهم:

عبدالله بن عبّاس،

وأبوذر الغفاري،

وجابر بن عبدالله الأنصاري،

وعمر بن الخطاب،

وأنس بن مالك،

وعبدالله بن عمر،

وزيد بن أرقم...

وفي بعض الروايات أجاب عليّاً بقوله: «والذي بعثني بالحق ما أخرتك إلاّ لنفسي، وأنت منّي بمنزلة هارون من موسى غير أنه لانبيّ بعدي، وأنت أخي ووارثي».

ومن رواته: أحمد بن حنبل في المناقب، الحديث: ١٤١ ، وابن عساکر بترجمة علي عليه السلام

برقم ١١٤٨ / ١٠٨ ، والمتقي في كنز العمال ١٣/١٠٦ عن أحمد في المناقب.

وتجد خبر المؤاخاة، وأنّه أخى بينه وبين علي عليه السّلام في سائر كتب السّير والتواريخ، فراجع:

سيرة ابن هشام ٢/١٥٠ ، السيرة النبوية لابن حبان: ١٤٩ ، عيون الأثر لابن سيد الناس ١/٢٣٠ ،

السيرة الحلبية ٢/٢٠ ، وفي هامشها سيرة زيني دحلان ١/٢٩٩ .

ولقد أحسن غير واحد من الحفاظ والعلماء الأعلام، حيث عنوا بالردّ على ابن تيميّة في هذا المقام، وإليك نصّ عبارة الحافظ ابن حجر - وهو عندهم شيخ الإسلام - فإنّه بعد أن ذكر من أخبار المؤاخاة عن: الواقدي، وابن سعد، وابن إسحاق، وابن عبد البر، والسهيلي، وابن كثير، وغيرهم. قال:

«وأذكر ابن تيميّة في كتاب الردّ على ابن المطهر الرافضي المؤاخاة بين المهاجرين وخصوصاً مؤاخاة النبي صلّى الله عليه وسلّم لعلي، قال: لأنّ المؤاخاة شرّعت لإرفاق بعضهم بعضاً، ولتأليف قلوب بعضهم على بعض، فلا معنى لمؤاخاة النبي لأحد منهم، ولا لمؤاخاة مهاجري لمهاجري.

وهذا ردّ للنص بالقياس، وإغفال عن حكمة المؤاخاة، لأنّ بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة والقوى، فأخى بين الأعلى والأدنى...

قلت: وأخرجه الضياء في المختارة من المعجم الكبير للطبراني. وابن تيميّة يصرّح بأنّ أحاديث المختارة أصحّ وأقوى من أحاديث المستدرک...»^(١).

وقال الزرقاني المالكي تحت عنوان «ذكر المؤاخاة بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين»: «وكانت - كما قال ابن عبد البر وغيره - مزّتين، الأولى بمكّة قبل الهجرة، بين المهاجرين بعضهم بعضاً على الحقّ والمواساة، فأخى بين أبي بكر وعمر، و... وهكذا بين كلّ اثنين منهم إلى أن بقي علي فقال: أخيت بين أصحابك فمن أخي؟ قال: أنا أخوك.

وجاءت أحاديث كثيرة في مؤاخاة النبي صلّى الله عليه وسلّم لعلي، وقد روى الترمذي وحسنه والحاكم وصحّحه عن ابن عمر أنه صلّى الله عليه وسلّم قال لعلي: أما ترضى أن أكون أخاك؟ قال: بلى؟ قال: أنت أخي في الدنيا والآخرة.

(١) فتح الباري، كتاب مناقب الأنصار، باب كيف أخى النبي بين الصحابة ٢٧١/٧.

وأُنفكر ابن ءيمية هذه المؤاخاة بين المهاجرين؁ خصوصاً بين المصطفى وعلي؁ وزعم أن ذلك من الأكاذيب؁ وأنه لم يؤاخ بين مهاجري ومهاجري؁ قال: لأنها شرعت لإرفاق بعضهم بعضاً...

ورده الحافظ بأنه ردّ للنص بالقياس...»^(١).

وبما ذكرنا كفاية لمن أراد الرشاد والهداية.

هذا حديث المؤاخاة بألفاظه المختلفة في المصادر المعتمدة عند أهل السنة؁ وقد رأيت كيف أن كبار الحفاظ منهم يردون على ابن تيمية تكذيبه للحديث؁ فيكون هو الكاذب.

وأما اللفظ الذي ذكره العلامة رحمه الله؁ فإنما رواه عن الفقيه ابن المغازلي الشافعي؁ إذ رواه مسنداً عن طريق غير واحد من أعلام الحفاظ؁ عن حميد الطويل؁ عن أنس بن مالك... وهذا نصّ السند حيث قال:

أخبرنا أبو الحسن أحمد بن المظفر العطار قال: أخبرنا أبو محمد ابن السقاء.

وأخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله بن القصاب البيع الواسطي - فيما أذن لي في روايته عنه - قال:

حدثني أبو بكر محمد بن الحسن بن محمد البياسري قال: حدثني أبو الحسن علي بن محمد بن

الحسن الجواهري قال: حدثني محمد بن زكريا بن دويد العبدي قال: حدثني حميد الطويل عن أنس

قال...

(١) شرح المواهب اللدنية ٢٧٣/١.

السابع

حديث الراية في خيبر

ما رواه الجمهور كافة: أن النبي صَلَّى الله عليه وآله لَمَّا حاصر خيبر تسعاً وعشرين ليلة، وكانت الراية لأمير المؤمنين عليه السلام، فلحقه رمد أعجزه عن الحرب، وخرج مرحب يتعرّض للحرب، فدعا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله أبابكر فقال له: خذ الراية، فأخذها في جمع من المهاجرين، فاجتهد ولم يغن شيئاً ورجع منهزماً. فلَمَّا كان من الغد تعرّض لها عمر، فسار غير بعيد، ثم رجع يجنّ أصحابه! فقال النبي صَلَّى الله عليه وآله: جيئوني بعلي. فقيل: إنه أرمدم. فقال: أرونيه تُرووني رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله ليس بفرار. فجاءوه بعلي، فتفل في يده ومسحها على عينيه ورأسه فبرئ، وأعطاه الراية ففتح الله على يده وقتل مرحباً!

ووصفه عليه السلام بهذا الوصف يدلّ على انتفائه عن غيره، وهو يدلّ على أفضليّته، فيكون هو الإمام.

قال ابن تيميّة:

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بتصحيح النقل. وأمّا قوله: رواه الجمهور، فإنّ الثقات الذين رووه لم يرووه هكذا...

الثاني: إن إخباره أن علياً يحبّ الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله حقّ، وفيه ردّ على النواصب، لكنّ

الرافضة الذين يقولون: إن الصحابة ارتدّوا بعد موته لا يمكنهم الاستدلال بهذا.

وقول القائل: إن هذا يدلّ على انتفاء هذا الوصف عن غيره.

فيه جوابان:

أحدهما: إنه إن سلّم ذلك، لا يلزم أن يكون أفضل من غيره، فضلا عن أن يكون مختصاً

بالإمامة.

الثاني: أن يقال: لا نسلم أن هذا يوجب التخصيص.

الثالث: إنه لو قدر ثبوت أفضليته في ذلك الوقت، فلا يدلّ ذلك على أن غيره لم يكن أفضل منه

بعد ذلك.

الرابع: إنه لو قدرنا أفضليته، لم يدل ذلك على أنه إمام معصوم منصوب عليه...

أقول:

هذا حديث الرّاية يوم خيبر، وقد ذكر العلامة مجمل الخبر. وأنا ذاكر بعض نصوص الواقعة عمّن

يراه أهل السنّة ثقةً، ثم ننظر، هل يدلّ على الأفضليّة أو لا يدلّ.

أخرج أحمد:

حدثنا عبد الله، حدثني أبي، ثنا وكيع، عن أبي ليلى، عن المنهال، عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى

قال: كان أبي يسمر مع علي، وكان علي يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف،

ف قيل له: لو سألته، فسأله، فقال:

إن رسول الله صلّى الله عليه وآله بعث إليّ وأنا أرمد العين يوم خيبر، فقلت: يا رسول الله إنني أرمد

العين، قال: فتفل في عيني وقال: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله ليس

بفرّار.

فتشرف لها أصحاب النبي صَلَّى الله عليه [وآله] فأعطانيها.^(١)

وقال البخاري:

حدثني قتيبة بن سعيد، حدثنا يعقوب بن عبدالرحمن بن محمد بن عبدالله بن عبدالقاري عن أبي حازم قال: أخبرني سهل رضي الله عنه قال: النبي صَلَّى الله عليه وآله يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. فبات الناس ليلتهم أيهم يعطي فغدوا كلهم يرجوه، فقال: أين علي؟ فقيل: يشتكي عينيه، فبصق في عينيه ودعاه فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من أن تكون لك حمر النعم.^(٢)

وقال مسلم:

«حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب - يعني ابن عبدالرحمن القاري - عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة. إن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه، قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال: فتساورت لها رجاء أن أدعى لها، قال: فدعا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله علي بن أبي طالب فأعطاه إياها وقال: امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك. قال: فسار علي شيئاً ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ يا رسول الله: علي

(١) مسند أحمد ١ / ٩٩.

(٢) صحيح البخاري ٢٠ / ٤.

ماذا أقاتل الناس؟ قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم إلاّ بحقها، وحسابهم على الله.^(١)

وقال النسائي:

أخبرنا محمد بن بشار بن دار البصري، أخبرنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا عوف عن ميمون، عن أبي عبدالله عبدالسلام، أن عبدالله بن بريدة حدّثه عن بريدة الأسلمي، قال: لما كان يوم خيبر نزل رسول الله صلّى الله عليه وآله بحصن أهل خيبر، أعطى رسول الله صلّى الله عليه وآله اللواء عمر، فنهض معه من نهض من الناس، فلقوا أهل خيبر، فانكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: لأعطينّ اللواء رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله. فلما كان من الغد تصادر أبوبكر وعمر، فدعا عليّاً وهو أرمد، فتغل في عينيه ونهض معه من الناس من نهض...»^(٢)

وقال ابن شيبّة:

حدثنا شاذان قال: حدثنا حماد بن سلمة عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال عمر: إن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: لأدفعنّ اللواء غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله، يفتح الله به. قال عمر: ما تمّنت الإمرة إلا يومئذ، فلما كان الغد تطاولت لها، قال: فقال يا علي! قم اذهب فقاتل ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك، فلما قفا كره أن يلتفت، فقال: يا رسول الله! علام أقاتلهم؟ قال: حتى يقولوا: لا إله إلاّ الله، فإذا قالوها حرمت دماؤهم وأموالهم إلاّ بحقها».

(١) صحيح مسلم ٧ / ١٢٠ - ١٢١.

(٢) خصائص علي: ٥٢ - ٦١.

حدثنا علي بن هاشم قال: حدثنا ابن أبي ليلى، عن المنهال والحكم وعيسى عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: قال علي: ما كنت معنا يا أبا ليلى بخبير؟ قلت: بلى والله، لقد كنت معكم، قال: فإن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله بعث أبا بكر، فسار بالناس فانهزم حتى رجع إليه، وبعث عمر فانهزم بالناس حتى انتهى إليه، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله له ليس بفرار. قال: فأرسل إلي فدعاني فأتيته وأنا أرمد لا أبصر شيئاً، فدفعت إلي الراية، فقلت يا رسول الله! كيف وأنا أرمد لا أبصر شيئاً، فتفل في عيني، ثم قال: اللهم اكفه الحرّ والبرد، قال: فما أذاني بعد حرّ ولا برد»^(١).

وقال البلاذري:

حدثني شجاع بن مخلد ويوسف بن موسى القطان، قالوا: حدثنا جرير بن عبدالحميد الضبي عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يوم خيبر: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. فدعا علياً فبعثه وقال: قاتل حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت. قال: فمشى علي ما شاء الله ثم وقف فلم يلتفت وقال: يا رسول الله على ما أقاتل الناس؟ قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم إلا بحقها وحسابهم على الله».

حدثني روح بن عبدالمؤمن المقرئ، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بلج عن عمرو بن جواب عن ابن عباس قال قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. فأتني بعلي فدفعتها إليه، فجاء بصفية بنت حبي بن أخطب»^(٢).

(١) المصنف ٥٢٢/٨ - ٥٢٣.

(٢) أنساب الأشراف: ٩٣ - ٩٤.

وقال الحاكم:

حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق قال: حدثني بريدة بن سفيان بن بريدة الأسلمي عن سلمة ابن عمرو بن الأكوع رضي الله عنه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبابكر رضي الله تعالى عنه إلى بعض حصون خيبر، فقاتل وجهده ولم يكن فتح. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

أخبرنا أبو قتيبة سالم بن الفضل الأدمي بمكة، ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، ثنا علي بن هاشم عن ابن أبي ليلى عن الحكم وعيسى، عن عبدالرحمن عن أبي ليلى عن علي: إنه قال يا أبا ليلى، أما كنت معنا بخيبر؟ قال بلى والله كنت معكم، قال: فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعث أبابكر إلى خيبر، فسار بالناس وانهزم حتى رجع. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.^(١)

وروى المتقي:

عن عبدالرحمن بن أبي ليلى قال: كان علي يخرج في الشتاء في إزار ورداء ثوبين خفيفين، وفي الصيف في القباء المحشو والثوب الثقيل، فقال الناس لعبد الرحمن: لو قلت لأبيك فإنه يسمر معه، فسألت أبي فقلت: إن الناس قد رأوا من أمير المؤمنين شيئاً استنكروه، قال: وما ذلك؟ قال: يخرج في الحر الشديد في القباء المحشو والثوب الثقيل ولا يبالي ذلك، ويخرج في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين والملائين لا يبالي ذلك ولا يتقي برداً، فهل سمعت في ذلك شيئاً فقد أمروني أن أسألك أن تسأله إذا سمرت عنده، فسمر عنده

فقال: يا أمير المؤمنين! إن الناس قد تفقدوا منك شيئاً، قال: وما هو؟ قال: تخرج في الحر الشديد في القباء المحشو والثوب الثقيل وتخرج في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين وفي

(١) المستدرک علی الصحیحین ٣ / ٣٧ - ٣٩.

الملائين، لا تبالي ذلك ولا تتقي برداً. قال: أو ما كنت معنا يا أبا ليلى بخبير؟ قلت: بلى والله قد كنت معكم، قال: فإن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أبا بكر فسار بالناس فانهزم حتى رجع إليه، وبعث عمر فانهزم بالناس حتى انهى إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله له، ليس بفرار، فأرسل إليّ فدعاني، فأتيته وأنا أرمد لا أبصر شيئاً، فتفل في عيني وقال: اللهم اكفه الحر والبرد! فما أذاني بعده حرّ ولا برد.

(ش، حم، هـ و البزار وابن جرير وصححه، طس، ك، ق في الدلائل، ض).^(١)

أقول:

ثم إن في هذا الحديث نقاطاً تتعلق بالنبى صلى الله عليه وآله وبالوصي أمير المؤمنين وبالشيخين أبي بكر وعمر.

أمّا النبى صلى الله عليه وآله، ففي الحديث بعض معجزه وعلمه بالمغيبات.

فقد اتفقت النصوص على أنه لما أتى بأمر المؤمنين - وهو أرمد - وضع صلى الله عليه وآله من بصاقه على عينيه، فبرأ عليه السلام كأن لم يكن به شيء... .

وأنه دعا لعلّي فقال: «اللهم أذهب عنه الحرّ والبرد» قال علي: «فما وجدت حرّاً ولا برداً منذ

يومئذ».

قال أحمد في المسند: «فتفل في عيني وقال: اللهم...» وفي لفظ: «فبصق في عينه» وفي

البخاري: «فدعا له، فبصق في عينيه، فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء» وكذا عند مسلم. وعند

النسائي: «فبزق نبي الله في كفيه ثم مسح بهما عيني علي» وكذا عند غيرهم.

وكان من دعائه المذكور خروجه في البرد في الملاءتين وفي الحرّ في الثوب الغليظ... كما ذكرت الأخبار... وقوله عليه السلام: «فما رمدت حتى الساعة» كما في الأخبار كذلك.

واتفقت النصوص على أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قد أخبر بأنّ الله سيفتح على يدي عليّ، فوقع كما أخبر... وقد تّبّه على هذا بعض العلماء، كالعيني الحنفي، بشرح الحديث.^(١)

وأما الشيخان، فقد أعطاهما النبيّ صلّى الله عليه وآله الراية، أعطاهما أبا بكر في اليوم الأوّل، وأعطاهما عمر في اليوم الثاني... وهذه بعض النصوص:

فمنها: ما أخرجه ابن أبي شيبة بإسناده عن عليّ... قال: «فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بعث أبا بكر، فسار بالناس فانهزم حتى رجع إليه، وبعث عمر فانهزم بالناس حتى انتهى إليه. فقال رسول الله: لأعطينّ الراية رجلاً...».^(٢)

وفي رواية ابن عساکر: «بعث أبا بكر وعقد له لواءً، فرجع وقد انهزم، فبعث عمر وعقد له لواءً، فرجع منهزماً بالناس. فقال رسول الله: لأعطينّ الراية رجلاً...».^(٣)

ورواه المتقي الهندي عن: ابن أبي شيبة والبخاري وابن جرير - قال: وصحّحه - والطبراني في الأوسط والحكم والبيهقي في الدلائل والضياء المقدسي.^(٤)

ومنها: ما أخرجه الحاكم وابن عساکر وغيرهما من أنّ رسول الله أعطى اللواء عمر ابن الخطاب: «فانكشف عمر وأصحابه، فرجعوا إلى رسول الله يجبّنه أصحابه ويجبّنههم. قال رسول الله: لأعطينّ اللواء غداً رجلاً...».^(١)

(١) عمدة القاري ١٤ / ٢٣٣.

(٢) المصنّف ٨ / ٥٢٢.

(٣) تاريخ دمشق ٤٢ / ١٠٧.

(٤) كنز العمال ١٣ / ٥٣، برقم: ٣٦٣٨٨.

ومنها: ما أخرجه النسائي وجماعة بلفظ: «فأخذ الراية أبوبكر ولم يفتح له، فأخذها من الغد عمر فانصرف ولم يفتح له».^(٢)

ومنها: ما أخرجه البغوي وجماعة قالوا: «فأخذ أبوبكر راية رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ثم نهض فقاتل قتالا شديداً ثم رجع. فأخذها عمر فقاتل قتالا شديداً هو أشدّ من القتال الأول ثم رجع. فأخبر رسول الله بذلك فقال: لأعطين الراية غداً رجلاً...».^(٣)

قال الحافظ الصالحي: «وفي حديث عن علي عند البيهقي: أن الغلبة كانت لليهود في اليومين».^(٤)

وجاء في غير واحد من الكتب عن الصحابة الرواة أنه: «أصاب الناس شدة وجهد» أي: في هذين اليومين، فلما أخبرهم النبي صَلَّى الله عليه وآله بأنه سيعطي الراية غداً رجلاً... قالوا: «بتنا طيبة أنفسنا».

بل، لقد روى أحمد بن حنبل في المسند: أن ذلك قد ساء رسول الله: «فلم يلبثوا أن انهزم عمر وأصحابه، فجاء يجبنهم ويجبنونه، فساء ذلك رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فقال: لأبعثن إليهم رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله يقاتلهم حتى يفتح الله له ليس بفرار...».

وأما علي، فأعطاه النبي صَلَّى الله عليه وآله الراية في اليوم الثالث، ووصفه بأمر:

١. يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله.

(١) المستدرک ٤٠/٣، تاریخ دمشق ٩٣/٤٢.

(٢) أخرجه في السنن الكبرى. ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٠/٦ قال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٣) تفسير البغوي ١٩٦/٤.

(٤) سبل الهدى والرشاد ١٢٤/٥.

٢. كزار غير فزار.

وفي بعض الكتب: ليس بفزار.

٣. لا يخزيه الله أبداً.

٤. جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره.

٥. يفتح الله على يديه.

وذلك كله مذكور في الروايات.

فكان: قتل مرحب اليهودي على يديه.

والفتح على يديه.

ثم إنّه لولا دلالة الحديث على منقبة عظيمة وفضيلة جسيمة لما قال عمر بن الخطاب:

«ما أحببت الإمارة إلا يومئذ».^(١)

ولم يكن هو وحده بل كان معه أبوبكر، فقد جاء في الروايات: «فتبادر لها أبوبكر وعمر».

وفي بعض الروايات: «فتصادر لها أبوبكر وعمر».^(٢)

وفي بعضها: تطاول لها أبوبكر وعمر.^(٣)

بل، كلّ واحد من الصحابة كان يرجو أن يعطاها، وفي بعض الروايات:

«كلّهم يرجوها».^(٤)

(١) أخرجه مسلم وغيره.

(٢) أخرجه النسائي وغيره.

(٣) أخرجه ابن عبد البر وغيره.

(٤) أخرجه البخاري وغيره.

ولم يكن هذا حالهم في ذلك اليوم فقط، فقد روي عن سعد بن أبيوقاص أنه قال لمعاوية لما أمره بسب الإمام عليه السلام:

«أما ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له رسول الله فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النعم...» فذكر فيها حديث الراية... (١).

بل عن عمر بن الخطّاب وعبدالله بن عمر ذلك، قال الحافظ السيوطي:
«وأخرج أبويعلى عن أبي هريرة قال قال عمر بن الخطّاب: لقد أعطى علي ثلاث خصال، لأنّ تكون لي خصلة منها أحبّ إليّ من أن أعطى حمر النعم. فسئل: وما هن؟ قال:
تزوّجه ابنته فاطمة، وسكناه المسجد لا يحلّ لي فيه ما يحلّ، والراية يوم خيبر.
وروى أحمد بسند صحيح عن ابن عمر نحوه» (٢).

بل إنّ أميرالمؤمنين عليه السلام ذكر حديث الراية في مناشدته المطوّلة لأهل الشورى التي ذكر فيها عدّة من فضائله وخصائصه التي لم يشاركه فيها أحد منهم.
وإذا عرفت شأن حديث الزّاية... .

فاعلم أنّ علمائنا يستدلّون به على أفضليّة أميرالمؤمنين عليه السلام من غيره من الصّحابة، لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قد وصفه بأوصاف خاصّة به ومنتفية عن غيره، فهو من الأدلّة الواضحة على أفضليّته، فيكون هو الإمام بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله.
والحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه مسلم وغيره.

(٢) تاريخ الخلفاء: ١٧٢.

الثامن

خبر الطائر

روى الجمهور كافة أن النبي صَلَّى الله عليه وآله أُتِيَ بطائر فقال: «اللهم ائتني بأحبّ خلقك إليّ يأكل معي من هذا الطائر».

فجاء علي عليه السلام فدقّ الباب فقال أنس بن مالك: إن النبي صَلَّى الله عليه وآله على حاجة. فانصرف. ثم قال النبي صَلَّى الله عليه وآله كما قال أولاً، فدقّ علي عليه السلام الباب، فقال أنس: أولم أقل لك إن النبي صَلَّى الله عليه وآله على حاجة؟ فانصرف. فقال النبي صَلَّى الله عليه وآله كما قال في الأوليين، فجاء علي عليه السلام فدقّ الباب أشدّ من الأوليين، فسمعه النبي صَلَّى الله عليه وآله عليه وآله وقد قال له أنس إنه على حاجة، فأذن له بالدخول وقال: «يا علي، ما أبطأك عني»؟ قال: جئت فردّني أنس ثم جئت فردّني ثم جئت الثالثة فردّني! فقال صَلَّى الله عليه وآله: «يا أنس ما حملك على هذا»؟ فقال: رجوت أن يكون الدعاء لأحد من الأنصار! فقال: «يا أنس، أفي الأنصار خيراً من علي؟ أو في الأنصار أفضل من علي»؟

وإذا كان أحبّ الخلق إلى الله تعالى، وجب أن يكون هو الإمام.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بتصحيح النقل...

الثاني: إن حديث الطائر من المكذوبات الموضوعات عند أهل العلم والمعرفة بحقائق النقل. قال أبو موسى المدني: قد جمع غير واحد من الحفاظ طرق حديث الطير للاعتبار والمعرفة، كالحاكم النيسابوري وأبي نعيم وابن مردويه. وسئل الحاكم عن حديث الطير فقال: لا يصح.

الثالث: إن أكل الطير ليس فيه أمر عظيم يناسب أن يجيء أحبّ الخلق إلى الله ليأكل منه.

الرابع: إن هذا الحديث يناقض مذهب الرافضة، فإنهم يقولون إن النبي صلى الله عليه [وآله] كان يعلم أن علياً أحبّ الخلق إلى الله وأنه جعله خليفةً من بعده. وهذا الحديث يدلّ على أنه ما كان يعرف أحبّ الخلق إلى الله.

الخامس: أن يقال: إمّا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف أن علياً أحبّ الخلق إلى الله، أو ما كان يعرف. فإن كان يعرف ذلك، كان يمكنه أن يرسل يطلبه، كما كان يطلب الواحد من الصحابة، أو يقول: اللهم ائتني بعليّ فإنه أحبّ الخلق إليك. فأبيّ حاجة إلى الدعاء والإبهام في ذلك؟! ولو سمى علياً لاستراح أنس من الرجاء الباطل، ولم يغلق الباب في وجه عليّ.

وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يعرف ذلك، بطل ما يدّعون من كونه كان يعرف ذلك. ثم إن في لفظه: «أحبّ الخلق إليك وإليّ» فكيف لا يعرف أحبّ الخلق إليه؟!

السادس: أن الأحاديث الثابتة في الصحاح، التي أجمع أهل الحديث على صحتها وتلقّيها بالقبول، تناقض هذا، فكيف تعارض بهذا الحديث المكذوب الموضوع الذي لم يصحّحوه؟!

يبين هذا لكلّ متأمل ما في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما من فضائل القوم، كما في الصحيحين أنه قال: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً». وهذا الحديث مستفيض، بل متواتر عند أهل العلم بالحديث؛ فإنه قد أخرج في الصحاح من وجوه...

أقول:

يتلخّص كلامه:

أولاً: في تكذيب الحديث.

وثانياً: في ردّه من حيث المعنى.

وثالثاً: في المعارضة بما رووه في فضل أبي بكر.

أما الحديث سنداً:

فإن لهذا الحديث - الذي رووه عن جماعة من الصحابة كأمير المؤمنين وجابر بن عبد الله وأبي الطفيل وأبي سعيد الخدري وأبي رافع وابن عباس وحبشي بن جنادة ويعلى بن مزّة وسفينه وعمرو بن العاص وأنس بن مالك وهو المشهور برواية هذا الحديث - أسانيد كثيرة جداً، حتى ألف جماعة في جمعها كتباً مفردة كما عرفت من كلام ابن المديني. ومنهم أيضاً: الطبري وابن عقدة وأبوطاهر ابن حمدان والذهبي.

ومن أعلام رواته:

أبوحنيفة وأحمد ومالك بن أنس والأوزاعي وشعبة وعبدالرزاق والبخاري - في تاريخه - والبلاذري وأبو حاتم والترمذي والنسائي والبزار وأبو يعلى وابن أبي حاتم، والطبراني والدارقطني والبيهقي والبخاري والخطيب والمزي وابن كثير وابن حجر العسقلاني...

وحديث الطير موجود في عدّة من الصّحاح:

كصحيح الترمذي،^(١)

وصحيح النسائي،^(٢)

(١) سنن الترمذي ٥/٥٩٥.

(٢) السنن الكبرى ٥/١٠٧، رقم (٨٣٩٧).

وفي المستدرک علی الصحیحین.^(١)

وهو منقول في بعض الكتب عن المختارة للضياء المقدسي والجمع بين الصحیحین وكتاب

الجمع بين الصحاح الستة.

كما أنّ لهذا الحديث أسانيد صحيحة هي أكثر من عشرين سنداً موجودة في خارج الصحاح.

منها: رواية البخاري في كتاب (التاريخ الكبير).

ومنها: رواية أبي يعلى في (المسند).

ومنها: رواية ابن أبي حاتم. قال ابن كثير عنه: «هذا أجود من إسناد الحاكم».

ومنها: رواية الطبراني في (الكبير) و(الأوسط).

ومنها: رواية ابن عساكر من طريق الدارقطني في (تاريخ دمشق).

ومنها: رواية أبي نعيم الإصفهاني في (حلية الأولياء).

ومنها: رواية الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد).

وقد أوضحنا صحّة هذه الأسانيد وغيرها في الجزء الرابع عشر من كتابنا الكبير.^(٢)

ولا أظن أنّ من يقف على هذه الأسامي، وهذه الأسانيد، يشك في صدور هذا الحديث عن رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلّم، هذا الحديث المتفق عليه بين المسلمين.

وأما عدم رواية البخاري ومسلم هذا الحديث في كتابيهما، فغير ضائر بصحّته، إذ لم يلتزما بإخراج

كلّ الصحاح، كما أنه ليس كلّ ما لم يخرجاه بغير صحيح، كما تقرّر عند العلماء.

(١) المستدرک ٣/١٣٠ - ١٣٢.

(٢) نفحات الأزهار في إمامة الأئمة الأطهار.

هذا، ومن العجب أن ابن الجوزي لم يدرج الحديث في كتابه (الموضوعات) الذي اعتمده ابن تيمية مراراً، وإنما ذكره في كتابه (العلل المتناهية).

وأما ابن كثير، فإنه بعد أن رواه عن طريق عدّة من الحفاظ الأعلام قال: «وبالجملة، ففي القلب من صحة هذا الحديث نظر وإن كثرت طرقه!!»

وأما الحديث دلالةً، فما ذكره ابن تيمية في هذه الناحية مردود عند أهل الفهم، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يجهل من هو أحبّ إلى الله وإليه، وإنما دعا الله بهذا العنوان ليظهر للناس أن عليّاً هو أحبّ الناس إلى الله وإلى رسوله.

وأما ما ذكره في مقام المعارضة، من الحديث: لو كنت متّخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ومن قوله تعالى (وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى...) بدعوى نزوله في أبي بكر فباطل قطعاً.

فأما الحديث، فالجواب عنه:

أولاً: إنه حديث تفرد به أهل السنّة، وحديث الطير متفق عليه، ولا يعارض المنفرد به المتفق عليه.

وثانياً: صريح الحديث عدم اتخاذ أبي بكر خليلاً، وما رووه في حق عثمان صريح في اتّخاذه خليلاً، وذلك يقتضي أفضليّة عثمان من أبي بكر.

وثالثاً: إنّ حديث الطير نصّ في أنّ الإمام عليه السّلام هو أحبّ الخلق إلى الله وإلى رسوله، وليس أبوبكر ولا غيره.

ويشهد بذلك أنّ الشيخين - لما دعا رسول الله صلى الله عليه وآله - جاء ولم يدخله عليه، فقد أخرج النسائي بسند صحيح:

عن أنس بن مالك: إنَّ النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان عنده طائر، فقال: «اللهمَّ ائتني بأحبِّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر، فجاء أبوبكر فردّه، ثمَّ جاء عمر فردّه، ثمَّ جاء علي فأذن له. وهو في مسند أبي يعلى، باللفظ التالي: قال: «اللهمَّ ائتني بأحبِّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير»، فجاء أبوبكر فردّه، ثمَّ جاء عمر فردّه، ثمَّ جاء عثمان فردّه، ثمَّ جاء علي فأذن له.^(١)

هذا، والحديثُ في أحد ألفاظه - كما عند أبي يعلى وغيره - يشتمل على زيادة لطيفة، قال أبويعلى: حدَّثنا قطن بن نسير، حدَّثنا جعفر بن سليمان الضبعي، حدَّثنا عبدالله بن مثنى، حدَّثنا عبدالله بن أنس عن أنس قال: أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم حجل مشويّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهمَّ ائتني بأحبِّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطعام»، فقالت عائشة: اللهمَّ اجعله أبي، وقالت حفصة: اللهمَّ اجعله أبي، قال أنس: فقلت أنا: اللهمَّ اجعله سعد بن عبادة. قال أنس: سمعت حركة الباب، فإذا علي، فسلم، فقلت: إنَّ رسول الله على حاجة، فانصرف، ثمَّ سمعت حركة الباب فسلم علي، فسمع رسول الله صوته، أي رفع علي صوته [أريد أن أوكد أن لفظ أحمد محرّف [فسمع رسول الله صوته فقال: «أنظر من هذا؟» فخرجت، فإذا علي، فجئت إلى رسول الله فأخبرته، فقال: «أذن له»، فأذنت له، فدخل فقال رسول الله: «اللهمَّ وإلي اللهمَّ وإلي».

هذا لفظ أبي يعلى.^(٢)

فظهر دلالة الحديث على الأفضليّة، وأنه لا يصلح شيء مما ذكر للمعارضة مع هذا الحديث الشريف.

ويبقى الكلام فيما نسبته ابن المديني - واعتمده ابن تيميّة - إلى الحاكم النيسابوري، فأقول:

١. خصائص علي ٢٧ رقم: ١٠، البداية والنهاية ٧ / ٣٥٠ نقلا عن مسند أبي يعلى.

٢. انظر: تاريخ دمشق ٤٢ / ٢٤٧.

إنَّ هؤلاء المكابرين السّاعين وراء إنكار أدلّة إمامة علي عليه السلام، بعد أن أعيّتهم السبل العلميّة - في الظاهر - بالمناقشة في السند أو الدلالة، لجأوا إلى الضّرب والإهانة كما فعلوا مع الحافظ ابن السّقا الواسطي المتوفى سنة ٣٧٣، يقول الذهبي في كتاب سير أعلام النبلاء^(١) بعد أن يصف ابن السّقا بـ: الحافظ الإمام محدّث واسط» ينقل عن الحافظ السّلفي يقول:

«سألت الحافظ خميساً الجوزي عن ابن السّقا؟ فقال: هو من مزينة مضر ولم يكن سقاً بل لقب له، من وجوه الواسطيين وذوي الثروة والحفظ، رحل به أبوه فأسمعه من أبي خليفة وأبي يعلى و... وبارك الله في سنّه وعلمه.

واتفق أنّه أملى حديث الطائر، فلم تحتمله نفوسهم، فوثبوا عليه فأقاموه وغسلوا موضعه، فمضى ولزم بيته لا يحدّث أحداً من الواسطيين، فلهذا قلّ حديثه عندهم».

أقول:

ولم يذكر الراوي كلّ ما وقع على هذا المحدّث من ضرب وشتّم وإهانة وغير ذلك، واكتفى بهذه العبارة: «وثبوا عليه فأقاموه عن مجلسه وغسلوا موضعه»، كأنّ الموضع الذي كان جالساً فيه تنجّس لإملائه طرق حديث الطير، وغسلوا موضعه، فمضى ولزم بيته ولم يخرج.

هذاما ذكره الذهبي في ترجمة هذا الرجل في سير أعلام النبلاء، وفي كتاب تذكرة الحفاظ^(٢). ولجأوا إلى الكذب والإفتراء، كما فعلوا مع الحاكم النيسابوري، وفي قصّته تفصيل، فقد كان الحاكم مصرّاً على رواية حديث الطير، وعلى تصحيحه.

١. سير أعلام النبلاء ١٦ / ٣٥١ - ٣٥٢.

٢. تذكرة الحفاظ ٩٦٦/٣.

يقول في كتابه علوم الحديث: ^(١) «حديث الطير من مشهورات الأحاديث، وكان على أصحاب الصّاح أن يخرجوه في الصّاح».

ويقول: ذكرت به كثيراً من المحدثين.

ويقول: كتبت فيه كتاباً.

ثمّ إنّه في المستدرک ^(٢) يروي هذا الحديث ويقول: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم

يخرجاه، وقد رواه عن أنس جماعة من أصحابه زيادة على ثلاثين نفساً».

يقول: «ثمّ صحّت الرواية عن علي وأبي سعيد الخدري وسفيينة».

واضطرب القوم تجاه تصحيح الحاكم، وإخراج الحاكم هذا الحديث في مستدركه، وإصراره على

صحّته، وأصبحت قضية حديث الطير والحاكم قضية تذكّر في أكثر الكتب المتعلقة بالحاكم وبحديث

الطير، أي حدثت هناك ضجة من فعل الحاكم هذا، وقام القوم عليه وقامت قيامتهم، ولأجل هذا

الحديث رماه بعضهم بالرفض فقال: الحاكم رافضي. لكن الذهبي وابن حجر العسقلاني يقولان: الله

يحبّ الإنصاف، ما الرجل برافضي. ^(٣) وغير هذين الكتابين. ^(٤)

ثمّ جاء بعضهم وجعل يرمي كتاب المستدرک بأنّ هذا الكتاب ليس فيه ولا حديث واحد على

شرط الشيخين.

وحينئذ يقول الذهبي: هذه مكابرة وغلو. ^(٥)

١. معرفة علوم الحديث: ٩٣.

٢. المستدرک على الصحيحين ١٣١/٣.

٣. لسان الميزان ٢٣٣/٥، سير أعلام النبلاء ١٧ / ١٧٤، ميزان الاعتدال ٦٠٨ / ٣.

٤. انظر ميزان الاعتدال ٦٠٨/٣.

٥. سير أعلام النبلاء ١٧/١٧٥.

ثم نسبوا إلى الدارقطني أنه لما بلغه أن الحاكم قد أخرج حديث الطير في المستدرک انتقد فعل

الحاكم هذا.

لكن الذهبي يقول: إن الحاكم إنما ألف المستدرک بعد وفاة الدارقطني بمدة.^(١)

وحينئذ، فمن يرجع إلى كتاب طبقات الشافعية للسبكي^(٢) يجده ينقل عن الذهبي إن الحاكم

سئل عن حديث الطير فقال: لا يصح، ولو صح لما كان أحد أفضل من علي بعد رسول الله. قال: ثم

قال شيخنا: وهذه الحكاية سندها صحيح، فما باله أخرج حديث الطير في المستدرک. يعني: إذا كان

الحاكم يعتقد بأن الشيخين أفضل من علي، فلماذا أخرج الحديث في المستدرک؟ ولماذا صححه؟

حينئذ، يقول السبكي: قد جوزت أن يكون زيد في كتابه.

يعني: حديث الطير زيد في كتاب المستدرک!! وإلى أي حد يحاولون إسقاط حديث من

الأحاديث! يقولون: قد جوزت أن يكون زيد في كتابه، فلا يكون من روايات الحاكم.

يقول السبكي: وبحثت عن نسخ قديمة من المستدرک، فلم أجد ما ينشره الصدر بعدمه [أي

وجدت الحديث في كل النسخ] وتذكرت الدارقطني إنه يستدرک حديث الطير، فغلب على ظني إنه لم

يوضع عليه [أي إن الحديث لم يوضع على الحاكم، ولم يزد أحد في المستدرک] ثم تأملت قول من

قال: إنه [أي الحاكم] أخرجه من الكتاب، فإن ثبت هذا صححت الحكايات، ويكون خرجه في الكتاب

قبل أن يظهر له بطلانه، ثم أخرجه منه لاعتقاده عدم صحته، كما في هذه الحكاية التي صح

الذهبي سندها، لكنه بقي [أي الحديث] في بعض النسخ، إما لانتشار النسخ بالكتاب، أو لإدخال

١. سير أعلام النبلاء ١٧/١٧٦.

٢. طبقات الشافعية ٤/١٦٨-١٦٩.

بعض الطاعنين في الشيخين إياه [أي الحديث] فيه [أي في المستدرك]، فكُلّ هذا جائز، والعلم عند الله تعالى.

هذا نصّ عبارة السّبكي.

أقول:

هذا مورد من موارد محاولات القوم لإسقاط الحديث، ولإثبات أنّ الحاكم لم يصحّحه ولم يروه في مستدركه، وذلك يكشف عن اضطراب القوم أمام تصحيح الحاكم وإخراجه هذا الحديث في كتابه. وهل اكتفوا بهذا؟ لا، وهل استفادوا من هذه الأساليب شيئاً؟ لا.

فما كان عليهم إلاّ أنّ يهجموا على الحاكم داره فيضربوه ويكسروا منبره الذي كان يجلس عليه ويحدّث، ويمنعوه من الخروج من الدار.

وهلّ فعلوا هذا من أوّل يوم، وقبل أن يتعبوا أنفسهم في التحقيق عن كتاب المستدرك باحتمال أنّ يكون هذا الحديث قد أدرجه بعض الطّاعنين، فما أحسن هذا الطريق - طريق الضرب والشتيم والإهانة - لإثبات الخلافة لأسيادهم!!

وهكذا فعلوا مع غير الحاكم، مع كثير من أئمّتهم!!

أما فعلوا مع النسائي في دمشق؟

أما بقروا بطن الحافظ الكنجي في داخل المسجد، لأنّه كان يملي فضائل علي؟

وهكذا ثبتت الإمامة والخلافة للشيخين وللمشايع؟!.

فأبي حاجة لكل ما قاموا به من المناقشة في السند، من المناقشة في الدلالة، من المعارضة، من تحريف اللفظ؟ من ضرب وهتك لابن السقا والحاكم؟ لماذا لا يقلّدون إمامهم وشيخ إسلامهم الذي قال: حديث الطير من الموضوعات المكذوبات.^(١) فأراح نفسه من كلّ هذا التعب؟ وهذه فتوى ابن تيمية، وتلك فتوى ابن كثير، وتلك أفعالهم وأعمالهم مع أئمتهم كالحاكم وغيره، وتلك تحريفاتهم لألفاظ الحديث النبوي، وتلك خياناتهم تبعاً لخيانة صاحبهم أنس بن مالك، وتلك إمامة مشايخهم التي يريدون أن يثبتوها بهذه السبل!!

وعلى كلّ منصف، كلّ محقق، وكلّ حرّ أن يستمع القول فيتبع أحسنه، والله على ما نقول شهيد، ونعم الحكم الله، والخصيم محمد، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

التاسع

ما رواه الجمهور من أنه عليه السلام أمر أصحابه بأن يسلموا على علي بإمرة المؤمنين. وقال: إنه سيّد المسلمين وإمام المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين. وقال: هذا وليّ كلّ مؤمن بعدي. وقال في حقّه: إنّ عليّاً منّي وأنا منه وهو وليّ كلّ مؤمن ومؤمنه، فيكون علي بعده كذلك.

وهذه نصوص في الباب.

قال ابن تيميّة:

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بإسناده وبيان صحّته.

الوجه الثاني: إن هذا كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث.

الثالث: إنّ هذا مما لا تجوز نسبته إلى النبي صلى الله عليه وآله، فإن قائل هذا كاذب. وذلك أن سيّد المسلمين وإمام المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين هو رسول الله. ثم كون علي سيّدهم وإمامهم وقائدهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله [وآله] ممّا يعلم بالإضطرار أنه كذب، وأن رسول الله لم يقل شيئاً من ذلك بل كان يفضّل عليه أبابكر وعمر تفضيلاً بيّناً.

وكذلك قوله: هو وليّ كلّ مؤمن بعدي. كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله [وآله].

وأما قوله لعلي: أنت مني وأنا منك، فصحيح في غير هذا الحديث...

أقول:

قد غلط ابن تيمية في هذا الموضوع، أو توهم أن ما ذكره العلامة حديثاً واحداً، والحال أنه قد نصّ على التعدّد بقوله: وهذه نصوص في الباب.

فالدليل التاسع مشتمل على أحاديث يجمعها كونه عليه السلام سيّد المسلمين وأمير المؤمنين ووليّهم وهي:

١. إنه صلى الله عليه وآله وصف عليّاً عليه السلام بـ «أمير المؤمنين»، وقد جاء ذلك في أحاديث، منها:

عن أبي داود عن بريدة الأسلمي قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم أن نسلم على علي بأمير [يامرة] المؤمنين ونحن سبعة وأنا أصغر القوم يومئذ

عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة، نا إبراهيم بن محمد، نا علي بن عائش عن الحارث بن حصيرة، عن القاسم بن جندب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أسكب لي ماء - أو: وضوءاً - فتوضّأ. ثم قام فصلّى ركعتين ثم قال: يا أنس، أول من يدخل من هذا الباب أمير المؤمنين وقائد الغرّ المحجّلين، سيّد المؤمنين علي.

رواهما ابن عساكر بإسناده، وهو - وإن تكلم في الأوّل - لم يتكلم في الثاني.^(١)

وقال ابن عساكر: أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أخبرنا عاصم بن الحسن، أخبرنا أبو عمر بن مهدي، أخبرنا أبو العباس ابن عقدة، حدّثنا محمد بن أحمد بن الحسن - يعني القطواني - ، حدّثنا خزيمه بن ماهان المروزي، حدّثنا عيسى بن يونس، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يأتي على الناس يوم القيامة وقت ما فيه راكب إلا نحن أربعة، فقال له العباس بن عبد المطلب عمّه: فذاك أبي وأمي، ومن هؤلاء الأربعة؟ قال: أنا على البراق، وأخي

صالح على ناقة الله التي عقرها قومه، وعمّي حمزة أسد الله وأسد رسوله على ناقتي العضاء، وأخي علي بن أبي طالب على ناقة من نوق الجنة مدبجة الحسن، عليه حلّتان خضراوان من كسوة الرحمان، على رأسه تاج من نور، لذلك التاج سبعون ركناً، على كلّ ركن ياقوتة حمراء تضيء للراكب مسيرة ثلاثة أيام، ويده لواء الحمد، ينادي: لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله، فيقول الخلائق: من هذا؟ ملك مقرّب؟ نبي مرسل؟ حامل عرش؟ فينادي مناد من بطن العرش: لا ملك مقرّب ولا نبي مرسل، ولا حامل عرش، هذا علي بن أبي طالب، وصيّ رسول المسلمين، وأمير المؤمنين، قائد الغر المحجلين، في جنّات النعيم.^(١)

وقال الخطيب البغدادي:

أخبرني أبو الوليد الحسن بن محمد بن علي الدربندي، أخبرنا محمد بن أحمد ابن سليمان الحافظ - ببخارى - ، أخبرنا محمد بن نصر بن خلف بن خلف بن محمد بن إسماعيل، قال: حدّثنا أبو عثمان سعد بن سليمان بن داود الشرعي، حدّثنا أبو الطيّب حاتم بن منصور الحنظلي، حدّثنا المفضل بن سلم - لقيته ببغداد - ، عن الأعمش، عن عباية الأسدي، عن الأصبع بن نباتة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

ليس في القيامة راكب غيرنا ونحن أربعة... وأخي وابن عمّي وصهري علي بن أبي طالب على ناقة من نوق الجنة... بيده لواء الحمد، فلا يمرّ بملاً من الملائكة إلاّ قالوا: هذا ملك مقرّب، أو نبي مرسل، أو حامل عرش ربّ العالمين، فينادي مناد من لدنان العرش - أو قال: من بطنان العرش - :

ليس هذا ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلًا، ولا حامل عرش رب العالمين، هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين إلى جنان رب العالمين...^(١).

وقال أبو نعيم:

أخبرنا محمد بن أحمد بن علي، نا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، نا إبراهيم بن محمد بن ميمون، نا علي بن عباس، عن الحارث بن حصيرة، عن القاسم بن جندب، عن أنس قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أنس، اسكب لي وضوءاً» ثم قام فصلّى ركعتين، ثم قال: «يا أنس أول من يدخل عليك من هذا الباب أمير المؤمنين وسيّد المسلمين، وقائد الغر المحجلين، وخاتم الوصيين»، قال أنس: قلت: اللهم اجعله رجلاً من الأنصار، وكتمته، إذ جاء علي فقال: «من هذا يا أنس»، فقلت: علي، فقام مستبشراً، فاعتنقه ثم جعل يمسح عن وجهه بوجهه، ويمسح عرق علي بوجهه، فقال: يا رسول الله، لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعت بي قبل، قال: «وما يمنعني أنت تؤدي عني، وتسمعهم صوتي، وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي».^(٢)

وقال البلاذري:

حدّثني عمرو الناقد، حدّثنا عبيد الله بن موسى، أنبأنا إسرائيل، عن حسان بن عبد الله عن بشير بن

أراد عن أبي شريح قال:

١. تاريخ بغداد ١٣ / ١٢٣.

٢. حلية الأولياء ١ / ٦٣.

أتى حذيفة بالمدائن - ونحن عنده - أن الحسن وعمّاراً قدما الكوفة يستنفران الناس إلى علي.
فقال حذيفة: إن الحسن وعمّاراً قدما يستنفراكم، فمن أحب أن يلقي أمير المؤمنين حقاً حقاً فليأت علي
بن أبي طالب.^(١)

وقال البيهقي:

أبو عثمان قاضي الريّ، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير قال:

كان ابن عباس بمكة يحدث على شفير زمزم ونحن عنده، فلما قضى حديثه قام إليه رجل فقال:
يا ابن عباس، إني امرؤ من أهل الشام من أهل حمص، إنهم يتبرّون من علي بن أبي طالب
ويلعنونه.

فقال: بل لعنهم الله في الدنيا والآخرة، وأعدّ لهم عذاباً مهيناً [إلى أن قال]: إني اخبرك أنّ
رسول الله صلى الله عليه وآله كان عند أمّ سلمة بنت أبي أمية، إذ أقبل علي يريد الدخول على النبي
صلى الله عليه وآله، فنقر نقراً خفياً، فعرف رسول الله صلى الله عليه وآله نقرة فقال: يا أمّ سلمة، قومي
فافتحي الباب.

فقالت: يا رسول الله، من هذا الذي يبلغ خطره أن أستقبله بمحاسني ومعاصمي؟ فقال: يا
أمّ سلمة، إنّ طاعتي طاعة الله - جلّ وعزّ - قال: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)، قومي يا
أمّ سلمة، فإنّ بالباب رجلاً ليس بالخرق ولا بالنزق ولا بالعجل في أمره، يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله
ورسوله.

يا أمّ سلمة، إنّهُ إن تفتحي الباب له فلن يدخل حتّى يخفى عليه الوطاء، فلم يدخل حتّى غابت
عنه وخفي عليه الوطاء، فلما لم يحسّ لها حركة دفع الباب ودخل فسلم على النبي صلى الله عليه وآله،

فردّ عليه السلام وقال: يا أمّ سلمة، هل تعرفين هذا؟ قالت: نعم، هذا علي بن أبي طالب. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: نعم، هذا علي نيط لحمه بلحمي ودمه بدمي، وهو منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيّ بعدي.

يا أمّ سلمة، هذا علي سيّد مبجّل، مؤمّل المسلمين، وأمير المؤمنين، وموضع سرّي وعلمي، وبابي الذي أوتي إليه وهو الوصيّ على أهل بيتي وعلى الأخيار من امتي، هو أخي في الدنيا والآخرة، وهو معي في السناء الأعلى.

إشهدي يا أمّ سلمة، إنّ عليّاً يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين.

قال ابن عبّاس: وقتلهم لله رضى ولأمة صلاح ولأهل الضلالة سخط.

قال الشامي: يا ابن عبّاس، من الناكثون؟ قال: الذين بايعوا عليّاً بالمدينة ثمّ نكثوا قاتلهم بالبصرة؛ أصحاب الجمل. والقاسطون معاوية وأصحابه. والمارقون أهل النهروان ومن معهم.

فقال الشامي: يا ابن عبّاس، ملأت صدري نوراً وحكمة وفرجت عني فرج الله عنك، أشهد أن

عليّاً مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة^(١)

وقال الكنجي:

أخبرنا محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن المتوكّل على الله - ببغداد - ، أخبرنا محمّد بن عبيد الله، حدّثنا عبد الحميد بن عبد الرحمان، حدّثنا [القاضي] محمّد ابن عبد الله [الجعفي]، حدّثنا الحسين بن محمّد [بن] الفرزدق، حدّثنا الحسن بن علي بن بزيع، حدّثنا يحيى بن الحسن بن الفرات [القرّاز]، حدّثنا أبو عبد الرحمان المسعودي - وهو عبد الله بن عبد الملك - ، عن الحارث بن حصيرة، عن صخر

بن الحكم الفزاري، عن حبان بن الحارث الأزدي، عن الربيع بن جميل الضبي، عن مالك بن ضمرة الرؤاسي، عن أبي ذر الغفاري أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

ترد على الحوض راية علي أمير المؤمنين وإمام الغرّ المحجلين، فأقوم فأخذ بيده فيبيض وجهه ووجوه أصحابه، وأقول: ما خلفتموني في الثقلين بعدي؟ فيقولون: تبعنا الأكبر وصدقناه، ووازرنا الأصغر ونصرناه وقاتلنا معه. فأقول: ردوا رواء مرويين، فيشربون شربة لا يظمئون بعدها أبداً...^(١)

٢. إنه صلى الله عليه وآله وصفه بـ «سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغرّ المحجلين». وقد

جاء ذلك في أحاديث كثيرة، منها:

قال ابن عساكر:

أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي، أنا أبو الحسين بن الثّور، أنا عيسى بن علي قال: قرئ عليّ أبي

القاسم البغوي قيل له: حدثكم علي بن الجعد.

ح وأخبرنا أبو القاسم أيضا، وأبو الحسن علي بن هبة الله بن عبد السلام، قالوا: أنا أبو محمد

الصّريفيّ أخبرنا أبو القاسم بن حبابة، نا أبو القاسم البغوي، نا علي بن الجعد، نا شعبة، عن عمرو بن

مرة، عن أبي البخري، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: يهلك في اثنان: مبغض مفرط،

ومحب مفرط.

أخبرنا أبو محمد بن طاوس، أنا عاصم بن الحسن، أنا أبو عمر بن مهدي، نا أبو عبد الله

المحاملي، نا عيسى بن أبي حرب، نا يحيى بن [أبي] بكير، نا جعفر بن زياد، نا هلال الصيرفي، نا أبو

كثير الأنصاري، حدّثني عبد الله بن أسعد بن زرارة قال:

١. كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب: ٧٦.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ليلة أسري بي انتهيت إلى ربي عز وجل، فأوحى إلي أو أخبرني - جعفر شك - في علي بثلاث: أنه سيّد المسلمين، وليّ المتقين، وقائد الغرّ المحجّلين».

أخبرنا أبو الفتح يوسف بن عبد الواحد، نا شجاع بن علي، أنا أبو عبدالله بن مندة، أنا محمد بن الحسين بن القطان، نا ابراهيم بن عبدالله، [نا يحيى بن أبي بكير، نا جعفر الأحمر، عن هلال الصيرفي، نا أبو كثير الأنصاري، عن عبدالله] بن أسعد بن زرارة، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لما أسري بي إلى السماء انتهى بي [إلي] قصر من لؤلؤ، فراشه من ذهب، يتلألاً، فأوحى إلي - أو أمرني - في علي بثلاث خصال: بأنه سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغرّ المحجّلين».

أخبرتنا أم المجتبى بنت ناصر قالت: قرئ على إبراهيم بن منصور، أنا أبو بكر بن المقرئ، أنا أبو يعلى، نا زكريا بن يحيى الكسائي، نا نصر بن مزاحم، عن جعفر بن زياد، عن هلال بن مقلاص، عن عبدالله بن أسعد بن زرارة الأنصاري، عن أبيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لما عرج بي إلى السماء انتهى بي إلى قصر من لؤلؤ، فيه فراش من ذهب يتلألاً، فأوحى إلي - أو أمرني - في علي بثلاث خصال: أنه سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغرّ المحجّلين».

أخبرنا أبو القاسم الشحامي، أنا أبو سعد الجنزرودي، نا أبو مرو بن حمدان، أنا أبو يعلى الموصلي، نا عمرو بن الحصين، نا يحيى بن العلاء، نا هلال بن أبي حميد، عن عبدالله بن أسعد بن زرارة، عن أبيه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أوحى إلي في علي: أنه سيد المسلمين، وإمام المتقين،

وقائد الغرّ المحجّلين».^(١)

وقال الحاكم:

حدثنا أبو بكر ابن إسحاق، أنبأ محمد بن يعقوب، أنبأ عمرو بن الحصين العقيلي نا يحيى بن العلاء، نا هلال بن أبي حميد، عن عبد الله بن أسعد بن زرارة عن ابيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أوحى إلي في علي ثلاث...^(١)

وقال الخطيب:

أخبرني أبو الوليد الحسن بن محمد بن علي الدربندي، أخبرنا محمد بن أحمد ابن سليمان الحافظ - ببخارى - . أخبرنا محمد بن نصر بن خلف بن خلف بن محمد ابن إسماعيل، قالوا: حدثنا أبو عثمان سعد بن سليمان بن داوود الشرعي، حدثنا أبو الطيب حاتم بن منصور الحنظلي، حدثنا المفضل بن سلم - لقيته ببغداد - ، عن الأعمش، عن عباية الأسدي، عن الأصبع بن نباتة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

ليس في القيامة راكب غيرنا ونحن أربعة... وأخي وابن عمي وصهري علي بن أبي طالب على ناقة من نوق الجنة... بيده لواء الحمد، فلا يمرّ بملاً من الملائكة إلا قالوا: هذا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو حامل عرش رب العالمين. فينادي مناد من لدان العرش - أو قال: من بطنان العرش - : ليس هذا ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلًا، ولا حامل عرش رب العالمين. هذا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، إلى جنان رب العالمين...^(٢)

وقال الطبراني:

١. المستدرک علی الصحیحین ٣ / ١٣٧.

٢. تاریخ بغداد ١٣ / ١٢٣.

حدّثنا محمد بن مسلم بن عبدالعزيز الأشعري الإصفهاني، حدّثنا مجاشع بن عمرو - بهمدان سنة خمس وثلاثين ومائتين - حدّثنا عيسى بن سواده الرازي، حدّثنا هلال بن أبي حميد الوزان، عن عبد الله بن حكيم الجهني قال قال رسول الله صلى الله عليه [وآله]:

إنّ الله عزّ وجلّ أوحى إليّ في علي ثلاثة أشياء ليلة اسري بي: إنه سيّد المؤمنين وإمام المتّقين وقائد الغرّ المحجّلين.^(١)

٣. إنّهُ صلى الله عليه وآله قال في علي عليه السلام: هذا وليّ كلّ مؤمن بعدي.

وقد جاء في روايات أكبر الحفاظ بأسانيدهم كذلك، ومنها:

ما أخرجه الحفاظ الأئمة، بالأسانيد الصحيحة عن ابن عبّاس في حديث المناقب العشر المختصّة بأمير المؤمنين عليه السلام:

قال أحمد بن حنبل:

حدّثنا يحيى بن حمّاد، حدّثنا أبو عوانة، حدّثنا أبو بلج، حدّثنا عمرو بن ميمون، عن ابن عبّاس [في حديث]، قال:

وقال لبني عمّه: أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟ قال: وعليّ معه جالس، فأبوا، فقال علي: أنا اواليك في الدنيا والآخرة. قال: أنت وليّي في الدنيا والآخرة. قال: فتركه، ثمّ أقبل على رجل منهم، فقال: أيّكم يواليني في الدنيا والآخرة؟ فأبوا، قال: فقال علي: أنا اواليك في الدنيا والآخرة. فقال: أنت وليّي في الدنيا والآخرة...

وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت وليّي في كلّ مؤمن بعدي.^(٢)

١. المعجم الصغير ٨٨/٢.

٢. مسند أحمد ١ / ٣٣٠ - ٣٣١.

ومن رواته:

أبوداود الطيالسي

وابن سعد

والترمذي

وابن أبي عاصم

والبزار

والنسائي

وأبويعلی

والطبراني

والحاكم

وابن عبد البر

وابن عساكر

وابن الأثير

والمزي

والذهبي

وابن كثير

والهيثمي

وابن حجر العسقلاني.

٤. وقال صلى الله عليه وآله في حق أمير المؤمنين: إِنَّ عَلِيًّا مَنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَهُوَ وَلِيٌّ كُلِّ مُؤْمِنٍ

ومؤمنة.

وهذا الحديث من أثبت الأحاديث الصادرة عنه صلى الله عليه وآله، وهذا نص الحديث في رواية

أحمد:

«حدثنا عبدالرزاق وعفان المعنى. وهذا حديث عبد الرزاق قالوا: ثنا جعفر ابن سليمان قال:

حدثني يزيد الرشك، عن مطرف بن عبدالله، عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله - صلى الله

عليه وسلم - سرية أمر عليهم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فأحدث شيئاً في سفره، فتعاهد -

وقال عفان: فتعاهد - أربعة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يذكروا أمره لرسول الله - صلى

الله عليه وسلم - قال عمران: وكنا إذا قدمنا من سفر بدأنا برسول الله فسلمنا عليه. قال: فدخلوا عليه

فقام رجل منهم فقال:

يا رسول الله، إن علياً فعل كذا وكذا. فأعرض عنه.

ثم قام الثاني فقال: يا رسول الله، إن علياً فعل كذا وكذا. فأعرض عنه.

ثم قام الثالث فقال: يا رسول الله، إن علياً فعل كذا وكذا. فأعرض عنه.

ثم قال الرابع فقال: يا رسول الله، إن علياً فعل كذا وكذا.

قال: فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله [وآله] على الرابع - وقد تعيّر وجهه - فقال:

دعوا علياً، دعوا علياً، دعوا علياً، إن علياً مني وأنا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي.^(١)

ومن رواية هذا الحديث:

أبو داود الطيالسي

وابن أبي شيبه

والترمذي

والنسائي

وأبو يعلى

والطبري

وابن حبان

والطبراني

والحاكم

والخطيب

وابن عبد البر

وابن عساكر

وابن الأثير

والضياء المقدسي

والذهبي

وابن حجر العسقلاني

العاشر

ما رواه الجمهور من قول النبي صلى الله عليه وآله: «إني تارك فيكم ما إن تمسكنم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا على الحوض». وقال صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق». وهذا يدل على وجوب التمسك بقول أهل بيته عليهم السلام. وسيدهم علي عليه السلام. فيكون واجب الطاعة على الكل. فيكون هو الإمام دون غيره من الصحابة.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: إن لفظ الحديث الذي في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم... وأما قوله: وعترتي أهل بيتي... فهذا رواه الترمذي، وقد سئل عنه أحمد بن حنبل فضعه وضعفه غير واحد من أهل العلم وقالوا: لا يصح. وأما قوله: مثل أهل بيتي... فهذا لا يعرف له إسناد لا صحيح ولا هو في شيء من كتب الحديث التي يعتمد عليها، فإن كان قد رواه مثل من يروي أمثاله من حطاب الليل الذين يروون الموضوعات، فهذا مما يزيد به هنا.

الوجه الثاني: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن عترته: إنها والكتاب لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض وهو الصادق المصدوق، فيدل على أن إجماع العترة حجة، وهذا قول طائفة من أصحابنا، وذكره القاضي في المعتمد، لكن العترة هم بنو هاشم كلهم...

الوجه الثالث: إن العترة لم تجتمع على إمامته ولا أفضليته.

الوجه الرابع: إن هذا معارض بما هو أقوى منه وهو: إن إجماع الأمة حجة بالكتاب والسنة

والإجماع، والعترة بعض الأمة، فيلزم من ثبوت إجماع الأمة إجماع العترة، وأفضل الأمة أبوبكر.

أقول:

والكلام في مقامين.

المقام الأول: في حديث: إني تارك فيكم الثقلين...

إن قوله صلى الله عليه وآله: «وعترتي أهل بيتي» قد أخرجه جماعة من أعلام الحفاظ أيضاً.

ومنهم:

١. أحمد بن حنبل في المسند بسند صحيح عن زيد بن ثابت قال:

«قال رسول الله - صلى الله عليه [وآله] وسلّم - إني تارك فيكم خليفين كتاب الله حبل ممدود ما

بين السماء والأرض، أو ما بين السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على

الحوض»^(١).

٢. الترمذي بإسناده عن جابر بن عبد الله قال:

«رأيت رسول الله - صلى الله عليه [وآله] وسلّم - في حجّته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء

يخطب، فسمعتة يقول: يا أيها الناس، قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي

أهل بيتي»^(٢).

٣ و ٤. ابن سعد وأحمد والطبراني عن أبي سعيد الخدري قال:

١. مسند أحمد ١٨١/٥.

٢. صحيح الترمذي ٦٢١/٥.

«قال رسول الله - صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم - أيها الناس: إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا بعدي، أمر بيّن، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء والأرض وعترتي أهل بيتي، وإنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض»^(١).

٥. ابن أبي شيبّة في (المصنّف) بإسناده عن جابر بن عبد الله قال: «قال رسول الله - صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم - إني تركت فيكم ما لن تضلّوا بعدي إن اعتصمتم به: كتاب الله وعترتي أهل بيتي»^(٢).

٦. الحاكم النيسابوري عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال:

«نزل رسول الله - صلى الله عليه [وآله] وسلّم - بين مكّة والمدينة عند شجرات خمس ودوحات عظام، فكنس الناس ما تحت الشجرات، ثم راح رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلّم - عشية فصلّى ثم قال خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ فقال ما شاء الله أن يقول، ثم قال: أيها الناس إني تارك فيكم أمرين لن تضلّوا إن اتبعتموهما، وهما كتاب الله وأهل بيتي عترتي. ثم قال: أتعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثلاث مرات، قالوا: نعم، فقال رسول الله - صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه»^(١).

وأخرجه الطبراني عن زيد بن أرقم بلفظ طويل فيه حديث الثقلين وحديث «من كنت أولى به من نفسه فعلي ووليّه»، قال:

«نزل النبي - صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم - يوم الجحفة، ثم أقبل على الناس، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إني لا أجد لنبي إلا نصف عمر الذي قبله، وإني أوشك أن أدعى فأجيب، فما أنتم

١. الدر المنثور ٦٠/٢.

٢. مفتاح النجا في مناقب آل العبا - مخطوط.

قائلون؟ قالوا: نصحت. قال: أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ الجنة حق والنار حق، وأنّ البعث بعد الموت حق؟ قالوا: نشهد، قال: فرفع يديه فوضعهما على صدره. ثم قال: وأنا أشهد معكم. ثم قال:

ألا تسمعون! قالوا: نعم. قال: فإني فرطكم على الحوض وأنتم واردون عليّ الحوض، وإنّ عرضة أبعد ما بين صنعاء وبصرى، فيه أقداح عدد النجوم من فضّة، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين: فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: كتاب الله، طرف بيد الله عزّ وجلّ، وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به ولا تضلّوا. والآخر: عترتي. وإنّ اللّطيف الخبير نبأني أنّهما لن يتفرّقا حتى يردا عليّ الحوض. سألت ذلك لهما ربي. فلا تقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم. ثم أخذ بيد علي - رضي الله عنه - فقال: من كنت أولى به من نفسه فعلي وليّه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه»^(٢).

وأخرجه الحاكم عن زيد بن أرقم وصحّحه، وتبعه الذهبي، بلفظ طويل وفيه ذكر علي بدل «عترتي أهل بيتي» قال:

«أخبرني محمد بن علي الشيباني بالكوفة، ثنا أحمد بن حازم الغفاري، ثنا أبو نعيم، ثنا كامل أبو العلاء، قال: سمعت حبيب بن أبي ثابت يخبر عن يحيى بن جعدة عن زيد بن أرقم - رضي الله عنه - قال:

١. المستدرک علی الصحیحین ٣/ ١١٠.

٢. المعجم الكبير ٥ / ١٨٦ - ١٨٧.

خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حتى انتهينا إلى غدير خم، فأمر بدوح فكسح في يوم ما أتى علينا يوم كان أشدّ حرّاً منه، فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيّها الناس: إنه لم يبعث نبي قط إلا ما عاش نصف ما عاش الذي كان قبله. وإني أوشك أن ادعى فأجيب، وإني تارك فيكم ما لن تضلّوا بعده: كتاب الله عزّ وجلّ. ثم قام فأخذ بيد علي - رضي الله عنه - فقال: يا أيّها الناس من أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

وقال الذهبي في تلخيصه: صحيح.^(١)

أقول:

أولاً: يكفي للشيعي إخراج الترمذي وحده.

ثانياً: الترمذي غير منفرد به، فقد أخرجه كثيرون قبله وبعده. فمن المتقدمين عليه الذين رووا

هذا القول في حديث الثقلين:

١. سليمان بن مهران الأعمش.

٢. ومحمد بن إسحاق.

٣. وأبو أحمد الزبيري الحبال.

٤. وأبو عامر العقدي.

٥. ومحمد بن سعد الزهري.

٦. وابن بقیة الواسطي.

٧. وأحمد بن حنبل.

١. المستدرک علی الصحیحین ٣ / ٥٣٣.

٨. وعبد بن يعقوب الرواجني.

٩. ونصر بن علي الجهضمي.

١٠. وعبد الملك بن محمد الرقاشي البصري.

ومن المتأخرين عن الترمذي الرواة لهذه الفقرة من الحديث.

١. الحكيم الترمذي.

٢. عبدالله بن أحمد بن حنبل.

٣. أبوبكر البزار.

٤. أبونصر القباني.

٥. أبو عبد الرحمن النسائي.

٦. أبو يعلى الموصلي.

٧. محمد بن جرير الطبري.

٨. أبو القاسم الطبراني.

٩. الحاكم النيسابوري.

١٠. شمس الدين الذهبي.

وثالثاً: قوله عن أحمد أنه ضعفه. لم نجد هذا النقل عن أحمد في شيء من كتب الحديث، على

أن أحمد نفسه من أكبر وأشهر رواة في مسنده.

رابعاً: قوله: ضعفه غير واحد من أهل العلم. لا أساس له، لأن القوم بين راو ومصحح للحديث

كله، وبين مضعف للحديث كله، ولم نجد مضعفاً لهذه الفقرة، كما لم نجد مضعفاً له من أصله، غير

ابن الجوزي الذي ردّ عليه أعلام أهل السنة ونهّبوا على بطلان كلامه وحذروا من الاغترار به.

وهلاً ذكر ابن تيمية واحداً من «غير واحد»!!

ثم إنَّ ظاهر كلامه الاختلاف بين رواية مسلم والترمذي وغيره، وليس الأمر كذلك، فإنَّ كلمة «الثقلين» في كتاب مسلم وغيره يدلُّ على كون الكتاب والعترة في مرتبة واحدة، ففي القاموس: الثقل محرَّكةً متاع المسافر وحشمه وكلُّ شى نفيس مصون، ومنه الحديث: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي»^(١). وفي كتاب النهاية في غريب الحديث: «سمَّاهما ثقلين، لأنَّ الأخذ بهما والعمل بهما ثقل، ويقال لكلِّ شى خطير نفيس: ثقل. فسَّماهما ثقلين إعظاماً لقدرهما وتفخيماً لشأنهما»^(٢) وفي شرح مسلم، قال النووي: قال العلماء: سمَّيا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما وقيل: لثقل العمل بهما»^(٣)

ومن هنا، فقد جاء في رواية أحمد وابن أبي عاصم والطبراني وغيرهم: «إني تركت فيكم خليفتين كتاب الله وأهل بيتي»^(٤) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات.^(٥)

ثم إنَّ مما يشهد بعدم الفرق: ذكر العلماء رواية مسلم وغيره في سياق واحد، منهم الحافظ محبَّ الدين الطبري الشافعي، حيث ذكر حديثي مسلم والترمذي وغيرهما تحت عنوان «باب في فضل أهل البيت والحثُّ على التمسك بهم وبكتاب الله عزَّ وجلَّ والخلف فيهما بخير».^(٦)

وأما قوله: لكنَّ العترة هم بنوهاشم كلَّهم.

فالجواب عنه:

-
١. القاموس المحيط: ثقل.
 ٢. النهاية لابن الأثير: ثقل.
 ٣. شرح صحيح مسلم ١٥ / ١٨٠.
 ٤. مسند أحمد ٥ / ١٨١، كتاب السنَّة ٦٢٨ - ٦٣١.
 ٥. مجمع الزوائد ٩ / ١٦٣.
 ٦. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: ١٦.

أولاً: إنّ هذا جهل أو تجاهل بمعنى لفظ «العترة» في اللّغة والعرف:

قال الجوهري في (الصحاح): «عترة الرجل نسله ورهطه الأذنون».

وقال ابن سيده في (المخصص): «أبو عبيد: اسرة الرجل رهطه الأذنون وكذلك فصيلته

وعترته».

وقال ابن الأثير في (النهاية) بعد حديث الثقلين: «عترة الرجل: أخصّ أقاربه».

وقال ابن منظور في (لسان العرب) بعد أن روى حديث الثقلين ونقل كلام ابن الأثير المتقدم:

«وقال ابن الأعرابي: العترة ولد الرجل وذريّته وعقبه من صلبه. قال: فعترة النبي صلّى الله عليه [وآله]

وسلم ولد فاطمة البتول عليها السلام».

وقال السيوطي في (النثير): «عترة الرجل أخصّ أقاربه».

وقال الفيروزآبادي في (القاموس): «العترة بالكسر... نسل الرجل: رهطه وعشيرته الأذنون ممن

مضى وغبر».

وقال الزبيدي في (التاج): «وقال أبو عبيد وغيره: عترة الرجل وأسرته وفصيلته: رهطه الأذنون.

وقال ابن الأثير: عترة الرجل أخصّ أقاربه. وقال ابن الأعرابي: عترة الرجل ولده وذريّته وعقبه من

صلبه، وقال: فعترة النبي صلّى الله عليه [وآله] وسلم ولد فاطمة البتول عليها السلام».

وثانياً: إنّ هذا جهل أو تجاهل بمعنى حديث الثقلين الذي اعترف به كبار العلماء:

قال الحكيم الترمذي: فقول رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: «لن يتفرّقا حتى يردا علىّ

الحوض» وقوله: «ما إنّ أخذتم به لن تضلّوا» واقع على الأئمة السادة منهم لاعلى غيرهم.^(١)

وقال السّمهودي في تنبيهات حديث الثقلين: ثالثها: إن ذلك يفهم وجود من يكون أهلاً للتمسك به من أهل البيت والعترة الطاهرة في كلّ زمان وجدوا فيه إلى يوم القيامة، حتى يتوجّه الحث المذكور إلى التمسك به، كما أنّ الكتاب العزيز كذلك. لهذا كانوا - كما سيأتي - أماناً لأهل الأرض وإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض.^(١)

وقال ابن حجر المكي: أحقّ من يتمسك به منهم إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، لما قدّمناه من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته، ومن ثمّ قال أبو بكر: علي عترة رسول الله صلى الله عليه [وآله]: أي الذين حثّ على التمسك بهم، فخصّه لما قلناه، ولذلك خصّه صلى الله عليه [وآله] وسلم بما مرّ يوم غدیر خم.^(٢)

وقال المناوي بشرح الحديث: «وعترتي أهل بيتي، تفصيل بعد إجمال بدلاً أو بياناً، وهم أصحاب الكساء الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».^(١)

وقال القاري بشرحه: الأظهر هو أنّ أهل البيت غالباً يكونون أعرف بصاحب البيت وأحواله، فالمراد بهم أهل العلم منهم المطلعون على سيرته، الواقفون على طريقته، العارفون بحكمه وحكمته. وبهذا يصلح أن يكونوا مقابلاً لكتاب الله سبحانه كما قال: (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ). ويؤيده ما أخرجه أحمد في المناقب عن حميد ابن عبد الله بن زيد أن النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم ذكر عنده قضاء قضى به علي بن أبي طالب فأعجبه وقال: الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت. وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين عن محمد بن مسعر اليربوعي قال قال علي للحسن: كم بين الإيمان واليقين؟ قال: أربع أصابع، قال: بين، قال: اليقين ما رأته عينك والإيمان ما سمعته اذنك وصدقت به،

١. جواهر العقدين ٢ / ٩٤.

٢. الصواعق المحرقة ٢ / ٤٤٢.

قال: أشهد أنك ممن أنت منه ذرية بعضها من بعض. وقارف الزهري [ذنباً، ظ] فهام على وجهه، فقال له زين العابدين: قنوطك من رحمة الله التي وسعت كل شيء أعظم عليك من ذنبك، فقال الزهري: الله أعلم حيث يجعل رسالته. فرجع إلى أهله وماله»^(٢).

هذا، وأما بقية كلام ابن تيمية فلا يستحق الذكر، كقوله:

«إن العترة لم تجتمع على إمامته ولا أفضليته»

فإن هذا الكلام ليس له ربط بالبحث، والعترة - وهم الأئمة الطاهرون - مجتمعون على أفضلية أمير المؤمنين وإمامته.

وكذلك قوله:

«إن هذا معارض...»

وقد أقرّ علماء القوم كالتفتازاني والعضد وأبي يعلى الفراء والجرجاني وغيرهم على عدم انعقاد الإجماع على أبي بكر وأفضليته.

المقام الثاني

في حديث: مثل أهل بيتي...

فإن هذا الحديث صريح في أفضلية أهل البيت وإمامتهم، ولا يمكن الخدش في دلالته. وأما سنده، فقد زعم ابن تيميّة:

إنه لا يعرف له إسناد لاصحیح ولا ضعيف ولا هو في شيء من كتب الحديث التي يعتمد عليها...

أقول:

١. فيض القدير في شرح الجامع الصغير ١٤/٣، التيسير في شرح الجامع الصغير ١/٣٦٧.

٢. المرقاة في شرح المشكاة ٥ / ٦٠٠.

هذا الحديث قد رواه علماء أهل السنة بأسانيدهم عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن:

عبدالله بن العباس

وأبي ذر الغفاري

وأبي سعيد الخدري

وعبدالله بن الزبير

وأبي الطفيل

وسلمة بن الأكوع

وأنس بن مالك

ومن رواته من الأئمة الأعلام:

الأعمش، والشافعي وابن أبي شيبة، وأحمد، وأبوداود، والنسائي، والبزار، وأبو يعلى، والطبري،
والطبراني، والدارقطني، والحاكم، وابن مردويه، والثعلبي، وأبونعيم، وابن عبد البر، والخطيب البغدادي،
والواحدى، وابن الأثير، والفخر الرازي، والطيبى، والذهبي، والهيثمي، وابن حجر العسقلاني،
والسخاوي، والسهمودي، وابن حجر المكي، والمناوي، والآلوسي...

روى في المشكاة والصواعق المحرقة وتاريخ الخلفاء:

عن أبي ذر، أنه قال - وهو أخذ بباب الكعبة - سمعت النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول: ألا

إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك. رواه أحمد^(١)

ورواه ابن قتيبة في المعارف وعيون الأخبار^(٢)

(١) مشكاة المصابيح ٣/٣٧٨، الصواعق المحرقة: ٣٥٢، تاريخ الخلفاء: ٥٧٣.

(٢) عيون الأخبار ١ / ٣١٠، المعارف: ١٤٦.

ورواه أبو بكر البزار، قال: حدّثنا يحيى بن معلّى بن منصور، ثنا ابن أبي مريم، ثنا ابن لهيعة، عن

أبي الأسود، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه: إنّ

النبي صلّى الله عليه وسلّم قال: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تركها غرق.

حدّثنا عمرو بن عليّ، والجراح بن مخلّد، ومحمد بن معمر - واللفظ لعمرو - قال: ثنا مسلم بن

إبراهيم، ثنا الحسن بن أبي جعفر، عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبي ذرّ: قال: قال

رسول الله: مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق.^(١)

حدّثنا محمد بن معمر، ثنا مسلم بن إبراهيم، ثنا الحسن بن أبي جعفر، ثنا أبو الصهباء، عن سعيد

بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح،

من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق.^(٢)

ورواه الطبري في كتاب (تهذيب الآثار).

ورواه الطبراني، قال:

حدّثنا الحسين بن أحمد بن منصور سجادة البغدادي، حدّثنا عبد الله بن داهر الرازي، حدّثنا

عبد الله بن عبد القدّوس، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن حنش بن المعتمر أنه سمع أبا ذرّ الغفاري

يقول: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح في قوم

نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك. ومثل باب حطة في بني إسرائيل. لم يروه عن الأعمش إلاّ

عبد الله بن عبد القدّوس.^(٣)

(١) مشكاة المصابيح ٣ / ٣٧٨، الصواعق المحرقة: ٣٥٢، تاريخ الخلفاء: ٥٧٣.

(٢) مسند البزار ٣٤٣/٩.

(٣) المعجم الصّغير ١ / ١٣٩ - ١٤٠.

وقال أيضاً: «حدثنا محمد بن عبدالعزيز بن محمد بن ربيعة الكلابي أبو مليل الكوفي، حدثنا أبي، حدثنا عبدالرحمن بن أبي حماد المقرئ، عن أبي سلمة الضائع، عن عطية عن أبي سعيد الخدري، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له. لم يروه عن أبي سلمة إلا ابن أبي حماد، تفرد به عبدالعزيز بن محمد»^(١).

ورواه الحاكم، قال: أخبرنا ميمون بن إسحاق الهاشمي، ثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا يونس بن بكير، ثنا المفضل بن صالح، عن أبي إسحاق، عن حنش الكناني، قال: سمعت أبا ذر يقول - وهو أخذ باب الكعبة - أيها الناس، من عرفني فأنا من عرفتم، من أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق. [و] هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»^(٢).

وقال الحاكم: «أخبرني أحمد بن جعفر بن حمدان الزاهد ببغداد، حدثنا العباس ابن إبراهيم القراطيسي، ثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، ثنا مفضل بن صالح، عن أبي إسحاق، عن حنش الكناني قال: سمعت أبا ذر - وهو أخذ باب الكعبة - من عرفني فأنا من عرفني، ومن أنكرني فأنا أبو ذر، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق. ومثل حطة لبني إسرائيل»^(٣).

ورواه السخاوي قال:

(١) المعجم الصغير ٢ / ٢٢.

(٢) المعجم الصغير ١ / ١٣٩ - ١٤٠.

(٣) المستدرک علی الصحیحین ٢ / ٣٧٣ و ٣ / ١٦٣.

وعن أبي إسحاق السبيعي، عن حنش بن المعتمر الصنعاني عن أبي ذر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم يقول: أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق. ومثل حطة لبني إسرائيل.

أخرجه الحاكم من وجهين عن أبي إسحاق، هذا لفظ أحدهما، ولفظ الآخر: ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، وذكره دون قوله: ومثل حطة إلى آخره. وكذا هو عند أبي يعلى في (مسنده).

وأخرجه الطبراني في (معجمه الأوسط والصغير) من طريق الأعمش، عن أبي إسحاق وقال: إن عبد الله بن عبد القدوس تفرد به عن الأعمش. ورواه عن الأوسط أيضاً من طريق الحسن بن عمرو الفقيمي، عن أبي إسحاق. ومن طريق سمالك بن حرب، عن حنش.

وأخرجه أبو يعلى أيضاً من حديث أبي الطفيل، عن أبي ذر رضي الله عنه بلفظ: إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق. وإن مثل أهل بيتي مثل باب حطة. وأخرجه البزار من طريق سعيد بن المسيب، عن أبي ذر نحوه.

وعن أبي الصهباء، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، وأخرجه الطبراني، وأبونعيم في (الحلية) والبزار وغيرهم.

وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما: إن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها سلم، ومن تركها غرق. رواه البزار.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل

باب حطّة في بني إسرائيل من دخله غفر له. رواه الطبراني في (الصغير والأوسط). وبعض هذه الطرق يقوّي بعضاً^(١).

ورواه ابن حجر المكي في كتابه (الصواعق المحرقة) غير مرّة، ففي موضع، قال:
«وجاء من طرق عديدة يقوّي بعضها بعضاً: إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا.»

وفي رواية مسلم: ومن تخلف عنها غرق.

ومن رواية: هلك،

وإنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل من دخله غفر له
وفي رواية: غفر له الذنوب^(٢).

وقال في الفصل الثاني من الباب الحادي عشر: «الحديث الثاني. أخرج الحاكم، عن أبي ذرّ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم، قال: إنّ مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها هلك.»

وفي رواية البزار، عن ابن عباس، وعن ابن الزبير، وللحاكم، عن أبي ذرّ أيضاً: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق^(١).

وقال في كتابه (المنح المكية بشرح القصيدة الهمزية) بشرح:

«آل بيت النبي طبتهم وطاب الـ *** مدح لي فيكم وطاب الرثاء»:

«وصحّ حديث: إنّ مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف هلك^(٢)».

(١) استجلاب إرتقاء الغرف: ١٢٢.

(٢) الصواعق المحرقة: ٢٣٤.

أقول:

ومن أسانيده المعتبرة عندهم:

ما أخرجه الحاكم، وصحّحه على شرط مسلم.

وما أخرجه الخطيب التبريزي في (المشكاة) فإنّه قد التزم فيه - تبعاً للبغوي صاحب (المصابيح) -

إخراج الصّاح والحسان فحسب.

ثم إن من أسانيده المعتبرة: ما أخرجه الطبراني في (الصغير) قال: «حدّثنا محمّد ابن عبد العزيز

بن محمّد بن ربيعة الكلابي أبو مليل الكوفي، حدّثنا أبي، حدّثنا عبد الرحمن بن أبي حماد المقرئ، عن

أبي سلمة الصّاع، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، سمعت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول:

إنّما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق. وانما مثل أهل بيتي

فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل، من دخله غفر له.

لم يروه عن أبي سلمة إلا ابن أبي حماد. تفرد به عبد العزيز بن محمّد».

فهذا الإسناد لا يتكلّم فيه إلا من جهة «عطية»... وهو من رجال: البخاري في (الأدب المفرد)

وأبي داود في (سننه) والترمذي في (سننه) وابن ماجّة في (سننه) وأحمد في (مسنده)...

ووثقه ابن سعد، وقال الدوري عن ابن معين: صالح، وقال البزار: يعدّ في التشيع، روى عنه جلة

الناس، وقال أبو حاتم وابن عدي: يكتب حديثه.

وعلى الجملة، فهو من رجال غير واحد من الصّاح والمسانيد، والبخاري في (الأدب المفرد)،

وما تكلم فيه بعض الرجالين إلا للتشيع وهو غير ضائر.

(١) المصدر: ٢٨٢.

(٢) المنح المكيّة - شرح القصيدة الهمزية: ٢٧٩.

وما أخرجه الحاكم وصحّحه على شرط مسلم، ووافق الذهبي على كونه من شرطه إلا أنه قال: «قلت: مفضل خرّج له الترمذي فقط، ضعّفوه».

إذن، هو على شرط مسلم ومن رجال الترمذي، ولم أعرف السّبب في تضعيفه، بل الاستفادة من كلماتهم القدح في رواياته لا فيه بنفسه، فقليل: «منكر الحديث» بل ليست جميع رواياته كذلك، فقد قال ابن عدي: «أنكر ما رأيت له حديث الحسن بن علي، وسأثره أرجو أن يكون مستقيماً»^(١) وهذا الحديث ليس من حديث الحسن بن علي، فهو من المستقيم عند ابن عدي. وتلخص: صحّحة هذا السند.

وما أخرجه غير واحد من أئمة الحديث بأسانيدهم، كالبرّار والطبراني، عن ابن عباس... ولم يتكلّم فيها إلا من جهة «الحسن بن أبي جعفر»^(٢).

وهذا الرّجل روى عنه: أبو داود الطيالسي، وابن مهدي، ويزيد بن زريع، وعثمان ابن مطر، ومسلم بن إبراهيم، وجماعة غيرهم من مشاهير الرواة والأئمة، وروايتهم عنه تدلّ على جلالته.

وقال مسلم بن إبراهيم: كان من خيار الناس. وقال عمرو بن علي: صدوق، وقال أبو بكر بن أبي الأسود: ترك ابن مهدي حديثه ثم حدّث عنه وقال: ما كان لي حجة عند ربي، وقال ابن عدي: الحسن بن أبي جعفر أحاديثه سالحة، وهو يروي الغرائب، وهو عندي ممن لا يتعمّد الكذب، وهو صدوق. وقال ابن حبان: من خيار عباد الله الخشن، وكان من المتعبّدين المجابين الدعوة.^(٣)

وتلخص: صحّحة هذا السند أيضاً.

(١) ميزان الاعتدال - حرف الميم، الترجمة ٨٧٢٨، مفضل بن صالح - ٤ / ١٦٧.

(٢) مجمع الزوائد - باب فضائل أهل البيت رضي الله عنهم - ٩ / ١٦٨.

(٣) راجع تهذيب التهذيب - حرف الحاء - الترجمة ١٢٩٢، حسن بن أبي جعفر عجلان ٢ / ٢٤٠.

وما أخرجه الحسن بن سفيان الفسوي قال: «حدثنا عبيدالله، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن رجل حدثه، عن حنش قال: رأيت أبا ذر أخذاً بحلقة باب الكعبة وهو يقول: يا أيها الناس أنا أبو ذر فمن عرفني؟ ألا وأنا أبو ذر الغفاري، لا أحدثكم إلا ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول. سمعته وهو يقول: أيها الناس، إني قد تركت فيكم الثقيلين كتاب الله عز وجلّ وعترتي أهل بيتي، وأحدهما أفضل من الآخر كتاب الله عز وجلّ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض. وإن مثلهما كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تركها غرق»^(١).

وهذا الإسناد رجاله رجال الصّحاح ولا كلام فيه إلا من ناحية الإرسال، ففيه: «عن رجل حدثه» لكن غير واحد من الأئمة كالأعمش، يرويه عن أبي إسحاق عن حنش، بلا واسطة... فيكون الحديث صحيحاً.

وما أخرجه البزار كذلك.

فإن «يحيى بن معلى بن منصور» من كبار الحفاظ الثقات، كما في ترجمته في الكاشف للذهبي، وتاريخ بغداد للخطيب وغيرهما.

و«ابن أبي مريم» وهو: سعيد بن الحكم، من رجال الكتب الستة.

و«عبدالله بن لهيعة» من رجال أحمد في المسند ومسلم وأبي داود والترمذي وابن ماجه، وقد أخرج عنه البخاري والنسائي ولم يذكر اسمه بصراحة.

و«أبو الأسود» وهو: محمد بن عبدالرحمن الأسدي. من رجال الكتب الستة.

و«عامر بن عبدالله بن الزبير». من رجال الكتب الستة.

فالحديث صحيحٌ.

(١) المعرفة والتاريخ - ترجمة عبدالله بن عمر بن الخطاب ١ / ٢٩٦.

هذا، وللحديث أسانيد صحيحة غير ما ذكر لانطيل بذكرها.

فإن كان هؤلاء «من حطّاب الليل الذين يروون الموضوعات» فأهلا وسهلا!!

الحادي عشر

ما رواه الجمهور من وجوب محبته وموالاته

روى أحمد بن حنبل في مسنده: أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بيد حسن وحسين وقال:

«من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما، كان معي في درجتي يوم القيامة».

وروى ابن خالويه عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أحب أن يتمسك

بقصبة الياقوت التي خلقها الله تعالى بيده ثم قال لها: كوني فكانت، فليتولّ علي بن أبي طالب من

بعدي».

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ: «حبك إيمان وبغضك نفاق، وأول

من يدخل الجنة محبّك وأول من يدخل النار مبغضك. وقد جعلك أهلاً لذلك، فأنت مني وأنا منك

ولأنبي بعدي».

وعن شقيق بن سلمة عن عبدالله قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو أخذ بيد علي بن

أبي طالب عليه السلام وهو يقول: «هو وليي وأنا وليّه، عاديّ من عاديّ وسالمتُ من سالم».

وروى أخطب خوارزم عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «جاءني جبرئيل من عند

الله عزّ وجلّ بورقة خضراء مكتوب فيها بياض: إني افترضت محبة علي بن أبي طالب على خلقي.

فبلغهم ذلك عني».

والأخبار في ذلك لاتحصى كثرة من طرق المخالفين، وهذا يدلّ على أفضليّته واستحقاقه

للإمامة.

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بتصحيح النقل. وأمّا قوله: رواه أحمد... بتقدير أن يكون أحمد روى الحديث،

فمجرد رواية أحمد لا توجب أن يكون صحيحاً...

الوجه الثاني: إنّ هذه الأحاديث التي رواها ابن خالويه كذب موضوعة.

الوجه الثالث: إنّ من تدبّر ألفاظها يتبيّن أنها مفتراة على رسول الله...

أقول:

الأخبار في وجوب محبة أمير المؤمنين عليه السلام وموالاته لا تحصى كثرةً من طرق المخالفين،

ولكنّ ابن تيمية لا يطبق سماعها فيبادر إلى التكذيب، ونحن نذكر بعض الرواة لكل واحد من الأخبار

التي ذكرها العلامة رحمه الله:

١. حديث: من أحبّ هذين...

وهذا الحديث في:

مسند أحمد، وصحيح الترمذي، والمعجم الكبير، والمعجم الصغير، وتهذيب الكمال، وكتاب

الشريعة، والأحاديث المختارة، وتاريخ بغداد، وتاريخ دمشق، واسد الغابة. وغيرها.

قال الترمذي: حدّثنا نصر بن علي الجهضمي، حدّثنا علي بن جعفر بن محمد قال: أخبرني أخي

موسى بن جعفر بن محمد، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد ابن علي عن أبيه، علي بن

الحسين، عن أبيه عن جدّه علي بن أبي طالب: إن رسول الله صلّى الله عليه [وآله] أخذ بيد حسن

وحسين فقال: من أحبّ هذين وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة.^(١)

(١) صحيح الترمذي ٦ / ٩٢.

وقال المقدسي: أخبرنا إسماعيل بن علي بن إبراهيم الدمشقي بها: أنّ هبة الله بن محمد بن علي البخاري أخبرهم - قراءة عليه - .

حيلولة: وأخبرنا المبارك بن أبي المعالي بن المعطوش - ببغداد - أنّ أبا بكر محمد ابن عبد الباقي أخبرهم - قراءة عليه - ، قالوا: أنبأنا أبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري - قراءة عليه - ، أنبأنا أبو أحمد محمد بن أحمد [بن الغطريف].

حيلولة: وأخبرنا عبدالرحمان بن أبي حامد بن عصية الحربي - بها - أنّ أبا بكر محمد بن عبد الباقي، أخبرهم - قراءة عليه - ، أنبأنا الحسن بن علي الجوهري، أنبأنا علي بن محمد بن أحمد بن خلف لؤلؤ، قالوا: حدّثنا عبدالرحمان بن محمد بن المغيرة.

حيلولة: وأخبرنا أسعد بن محمود بن خلف العجلي المفتي - بأصبهان - أنّ فاطمة بنت عبد الله الجوزدانية أخبرتهم - قراءة عليه - ، أنبأنا محمد بن عبد الله بن ريذة، أنبأنا سليمان بن أحمد الطبراني، حدّثنا محمد بن محمد بن خلاف الباهلي البصري، قالوا: حدّثنا نصر بن علي.

قال الباهلي: حدّثنا، وقال ابن المغيرة: أنبأنا علي بن جعفر.

قال الباهلي: عن، وقال ابن المغيرة: حدّثنا موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جدّه علي عليه

السلام:

أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم أخذ بيد الحسن والحسين، فقال: من أحبّ هذين وأباهما وأمّهما، كان معي في درجتي يوم القيامة.

وفي رواية الباهلي: أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم أخذ بيد الحسن والحسين، فقال: من أحبّهما

وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة.^(١)

(١) الأحاديث المختارة ٤٢/٢ - ٤٥ - (٤١٧ - ٤٢١).

وقال المزي: أخبرنا أبوالفرج بن قدامة وأبوالحسن بن البخاري في آخرين، قالوا: أخبرنا أبوحفص بن طبرزد، قال: أخبرنا القاضي أبوبكر الأنصاري وأبوالمواهب ابن ملوك الوزاق.

حيلولة: وأخبرنا أبوالعز بن الصيقل الحرّاني، قال: أخبرنا أبوعلي بن أبي القاسم ابن الخريف، قال: أخبرنا القاضي أبوبكر الأنصاري.

قالا: أخبرنا القاضي أبوالطيب الطبري، قال: أخبرنا أبوأحمد بن الغطريف - بجرجان - ، قال: حدّثنا عبدالرحمان بن المغيرة، قال: حدّثنا نصر بن علي، قال: أخبرنا علي بن جعفر بن محمّد، قال: حدّثني أخي موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه علي رضي الله عنهم:

أنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أخذ بيد الحسن والحسين، فقال: من أحبّ هذين وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة.^(١)

وقال الأجرّي: حدّثنا أبوالقاسم عبدالله بن محمّد البغوي، قال: حدّثنا نصر بن علي الجهضمي، قال: حدّثني علي بن جعفر بن محمّد، قال: حدّثني أخي موسى بن جعفر، عن أبيه، عن محمّد بن علي، عن أبيه، عن جدّه، عن علي رضي الله عنه.

أنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أخذ بيد الحسن والحسين - رضي الله عنهما - ، فقال: من أحبّ هذين وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة.^(٢)

(١) تهذيب الكمال ٢٠ / ٣٥٤.

(٢) كتاب الشريعة ٥ / ٢١٥١ (١٦٣٨)، الباب ١٩٢.

وقال الطبراني: حدّثنا محمّد بن محمّد بن خالد الباهلي البصري، حدّثنا نصر بن علي، حدّثنا علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن علي، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه في الجنّة - :

أنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أخذ بيد الحسن والحسين، فقال: من أحبّ هذين وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة.^(١)

وقال ابن عساكر: أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم - غير مرّة - ، أنبأنا أبو القاسم عبدالرحمان بن المظفر بن عبدالرحمان الكحال المصري - بمكّة - ، أنبأنا أحمد بن محمّد بن إسماعيل أبوبكر المهندس، أنبأنا أبو القاسم عبدالله بن محمّد بن عبدالعزيز، أنبأنا نصر بن علي الجهضمي.

حيلة: وأخبرنا أبوبكر بن المرزقي، أنبأنا أبو الحسين بن المهدي، أنبأنا أبو الفتح يوسف بن عمر القوّاس، أنبأنا محمّد بن منصور الشعبي، أنبأنا نصر بن علي، أنبأنا علي بن جعفر بن محمّد، حدّثني أخي موسى بن جعفر، عن أبيه، عن محمّد بن علي، عن أبيه، عن جدّه، عن علي عليه السلام:

أنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم أخذ بيد حسن وحسين، فقال: من أحبّ هذين وأباهما وأمّهما كان معي في درجتي يوم القيامة.^(٢)

وقال الدولابي: حدّثني أبو خالد يزيد بن سنان، حدّثني نصر بن علي الجهضمي، حدّثني علي بن جعفر بن محمّد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب، حدّثني أخي موسى بن جعفر بن محمّد، عن أبيه جعفر بن محمّد، عن أبيه محمّد بن علي، عن أبيه علي بن حسين، عن أبيه حسين بن علي بن أبي طالب، [عن علي بن أبي طالب:]

(١) المعجم الصغير ٢ / ٧٠.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١٣ / ١٩٥ - ١٩٦.

أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم أخذ بيد حسن وحسين، فقال: من أحببني، وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة.^(١)

٢. حديث: من أحب أن يتمسك بقصبة الياقوت...

إن الحديث الذي ذكره العلامة برواية ابن خالويه هو أحد ألفاظ هذا الحديث، فإن ألفاظه مختلفة ورواته كثيرون.

فأما اللفظ المذكور، فمن رواته الحافظ أبو نعيم حيث قال:

«حدثنا فهد بن إبراهيم بن فهد، ثنا محمد بن زكريا الغلابي، ثنا بشر بن مهران، ثنا شريك، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن حذيفة، قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسلم: من سره أن يحيا حياتي، ويموت ميتتي، ويتمسك بالقصبة الياقوتة التي خلقها الله بيده ثم قال لها: كوني فكانت، فليتول علي بن أبي طالب من بعدي.

رواه شريك أيضاً: عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم.

ورواه السدي عن زيد بن أرقم.

ورواه ابن عباس، وهو غريب.

حدثنا محمد بن المظفر، ثنا محمد بن جعفر بن عبدالرحيم، ثنا أحمد بن محمد بن يزيد بن سليم، ثنا عبدالرحمن بن عمران بن أبي ليلى - أخو محمد بن عمران - ثنا يعقوب بن موسى الهاشمي، عن ابن أبي رواد، عن إسماعيل بن أمية، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه [وآله] وسلم: من سره أن يحيا حياتي...»^(٢).

(١) الذرية الطاهرة: ١٦٧ (٢٢٥).

(٢) حلية الأولياء ١: ٨٦.

فأبو نعيم أخرجه بعدة طرق عن جماعة من أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم، من دون طعن في شيء منها، كما سنرى.

وأخرجه الحافظان ابن عساكر والكنجي من طريق أبي نعيم، ثم قال الأوّل: «هذا حديث منكر، وفيه غير واحد من المجهولين».^(١)

وأيضاً: أخرجه ابن عساكر بإسناد له عن: زيد بن وهب، عن حذيفة، عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم.^(٢)

وإسناد آخر من طريق الحافظ الخطيب البغدادي، عن أبي الطفيل، عن سيّدنا أبي ذر، عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم.^(١)

فهذا الحديث مروى عندهم عن جماعة من الأصحاب، وهم:

١. عبد الله بن عبّاس.

٢. أبو ذر الغفاري.

٣. حذيفة بن اليمان.

٤. زيد بن أرقم.

أمّا طريقه عن أبي ذرّ وزيد بن أرقم، فلا نجد من هؤلاء الرواة عنهما طعناً في شيء من

الأسانيد... ولو كان لأفصحوا به، كما وجدنا بالنسبة إلى حديث غيرهما:

فحديث ابن عبّاس... قال ابن عساكر بعد إخراجهم من طريق أبي نعيم: «هذا حديث منكر، وفيه

غير واحد من المجهولين» وقال أبو نعيم: «غريب».

(١) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ٢٤٠ - ١٤١، كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب: ٢١٤.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ٢٤٢.

وحديث حذيفة... وإن سكت عنه أبو نعيم وابن عساكر... فقد طعن الذهبي في سنده...

لكن ما ذكر مردود:

أما قول ابن عساكر: «فيه غير واحد من المجهولين» فيردّه:

أولاً: سكوت الطبراني والرافعي والمتقي الراوي عنهما، مع طعنه في بعض الأحاديث. كما سيأتي.

وثانياً: كلام أبي نعيم، إذ لم يقل إلا: «غريب» وسيأتي بيان معناه.

وثالثاً: إن الراوي عن «ابن أبي رواد» عند الطبراني والرافعي هو: «يعقوب بن المغيرة الهاشمي»

وعند أبي نعيم وابن عساكر والكنجي هو: «يعقوب بن موسى الهاشمي»، ولا أستبعد أن تكون الجهالة

على أثر اختلاف النسخ والاشتباه في اسم الراوي.

وأما قوله: «منكر» فلا يضرّ باعتبار الحديث، لأن الحافظ النووي يقول في «معرفة المنكر»:

«قال الحافظ البرديجي: هو الفرد الذي لا يعرف متنه عن غير روايه، وكذا أطلقه كثيرون...»^(٢).

وأما قول أبي نعيم: «وهو غريب» فلا يضرّ كذلك، لأنّ «الغرابة» تجتمع مع «الصحة» السندية،

ولذا نرى كثيراً ما يقولون: «غريب صحيح».

وقال الحافظ النووي: «الغريب والعزیز: إذا انفرد عن الزهري وشبهه ممن يجمع حديثه رجل

بحديث سمّي: غريباً، فإن انفرد اثنان أو ثلاثة سمّي عزيزاً، فإن رواه جماعة سمّي: مشهوراً.

ويدخل في الغريب ما انفرد راو بروايته أو بزيادة في متنه أو إسناده...

وينقسم إلى صحيح وغيره وهو الغالب»^(٣).

(١) نفس المصدر.

(٢) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ١ / ٢٧٦.

(٣) المصدر ٢ / ٦٣٢.

وأما طعن الذهبي في سند الحديث عن «حذيفة بن اليمان» فقد جاء بترجمة: «بشر بن مهران»

إذ قال:

«بشر بن مهران الخصاف، عن شريك. قال ابن أبي حاتم: ترك أبي حذيفة. ويقال: بشير.

قلت: قد روى عنه محمد بن زكريا الغلابي - لكن الغلابي متهم - قال: حدثنا شريك، عن

الأعمش، عن زيد بن وهب، عن حذيفة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وأله] وسلم: من سره

أن يحيا حياتي، ويموت ميتتي، ويتمسك بالقضيب الياقوت، فليتول علي بن أبي طالب من بعدي»^(١).

أقول:

أما ترك أبي حاتم حديث بشر، فلا يعاب به، لقول الذهبي نفسه بترجمة أبي حاتم:

«إذا وثق أبو حاتم رجلا فتمسك بقوله، فإنه لا يوثق إلا رجلا صحيح الحديث. وإذا ليين رجلا أو

قال فيه: لا يحتج به، فلا، توقف حتى ترى ما قال غيره فيه، فإن وثقه أحد فلا تبني على تجريح أبي

حاتم، فإنه متعنت في الرجال، قد قال في طائفة من رجال الصحاح: ليس بحجة، ليس بقوى، أو نحو

ذلك»^(٢).

وقال بترجمة أبي زرعة الرازي: «يعجبني كثيراً كلام أبي زرعة في الجرح والتعديل، يبين عليه

الورع والخبرة، بخلاف رفيقه أبي حاتم، فإنه جراح»^(١).

وأما اتهامه «الغلابي» فمردود:

أولاً: بأنه قد تابعه غيره في هذا الحديث عن بشر، وهو: «أبو عبدالله الحسين بن إسماعيل» في

رواية ابن عساكر^(٢).

(١) ميزان الاعتدال ١ / ٣٢٥.

(٢) سير أعلام النبلاء - ترجمة أبي حاتم ١٣ / ٢٦٠.

وثانياً: فإنّ كلمة «متّهم» بحاجة إلى بيان، فلماذا الإجمال؟!

أمّا في «تذكرة الحفاظ»^(٣) و «سير أعلام النبلاء»^(٤) فذكره فيمن توفّي سنة ٢٩٠ ولم يزد على

ذلك شيئاً.

وأما في «العبر» فقد ترجم له بقوله: «وفيها: محمّد بن زكريّا الغلابي الأخباري، أبو جعفر، بالبصرة.

روى عن: عبدالله بن رجاء الغداني، وطبقته. قال ابن حبان: يعتبر بحديثه إذا روى عن الثقات»

انتهى.^(٥)

أمّا في «ميزان الاعتدال» فقد غلبه التعصّب فقال: «محمّد بن زكريّا الغلابي البصري الأخباري،

أبو جعفر، عن: عبدالله بن رجاء الغداني، وأبي الوليد، والطبقة. وعنه: أبو القاسم الطبراني وطائفة. وهو

ضعيف. وقد ذكره ابن حبان في كتاب (الثقات) وقال: يعتبر بحديثه إذا روى عن ثقة. وقال ابن مندة:

تكلم فيه. وقال الدارقطني: يضع الحديث.

الصولي، حدّثنا الغلابي: حدّثنا إبراهيم بن بشّار، عن سفيان، عن أبي الزبير، قال: كنّا عند جابر،

فدخل عليّ بن الحسين، فقال جابر: دخل الحسين فضمّه النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم إليه

وقال: يولد لابني هذا ابن يقال له عليّ، إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقيم سيّد العابدين، فيقوم هذا.

ويولد له ولد يقال له: محمّد، إذا رأيته - يا جابر - فأقرأ عليه منّي السلام.

فهذا كذب من الغلابي...»^(٦).

(١) المصدر - ترجمة أبي زرعة ١٣ / ٨١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ٢٤٢.

(٣) تذكرة الحفاظ ٢ / ٦٣٩.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٣ / ٥٣٤.

(٥) العبر في خبر من غير ١ / ٤١٨.

(٦) ميزان الاعتدال ٣ / ٥٥٠.

والآن، عرف وجه الإتهام!!

لكن الأمر أكثر من ذلك، فإن الرجل أخباري مؤرخ، وجل مؤلفاته في أهل البيت عليهم

السلام... بل الرجل من أصحابنا الإمامية، قال الشيخ النجاشي:

«محمد بن زكريا بن دينار مولى بني غلاب، أبو عبدالله - وبنو غلاب قبيلة بالبصرة من بني نصر

بن معاوية، وقيل: إنه ليس بغير البصرة منهم أحد - وكان هذا الرجل وجهاً من وجوه أصحابنا بالبصرة،

وكان أخبارياً واسع العلم، وصنف كتباً كثيرة.

وقال لي أبو العباس بن نوح: إنني أروي عن عشرة رجال عنه. له كتب منها: الجمل الكبير،

والجمل المختصر، وكتاب صفين الكبير، وكتاب صفين المختصر، مقتل الحسين عليه السلام، كتاب

النهر، كتاب الأجواد، كتاب الوافدين، مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، أخبار زيد عليه السلام، أخبار

فاطمة عليها السلام ومنشأها ومولدها، كتاب الجبل.

أخبرنا أبو العباس أحمد بن علي بن نوح، قال: حدّثنا أبو الحسن علي بن يحيى ابن جعفر السلمي

الحدّاء، وأبو علي أحمد بن الحسين بن إسحاق بن شعبة الحافظ، وعبدالجبار بن شيران الساكن بنهر

خطي، في آخرين، قالوا: حدّثنا محمد بن دينار الغلابي بجميع كتبه.

ومات محمد بن زكريا سنة ٢٩٨هـ.^(١)

إذن، لا بد أن يتهمه الذهبي وأمثاله...!!

لكن لا يخفى أنّ هذا الجرح ساقط، لما قررنا في غير موضع وعلى ضوء كلمات أعلام القوم، من

أنّ الجرح المستند إلى الاختلاف في العقيدة غير مسموع، وأنّ التشيع ليس بضائر... مضافاً إلى ما

ذكرناه في التعريف بالذهبي وطريقته في الجرح...

(١) رجال النجاشي: ٣٤٦.

وعلى هذا كله، فإنه يبقى توثيق ابن حبان للغلابي بلا معارض.

فالحديث معتبر، ويؤيده كثرة طرقه وسكوت أبي نعيم وابن عساكر وغيرهما عن الطعن فيه.

٣. حديث: حبك إيمان وبغضك نفاق...

إن الأحاديث النبوية الواردة في هذا المعنى كثيرة، وأما اللفظ المذكور، فقد رواه غير واحد من

العلماء عن ابن خالويه في كتاب الآل عن حذيفة، ومنهم الحافظ الفقيه ابن الصبّاغ المالكي، قال:

ومن كتاب الآل لابن خالويه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله

لعلي: حبك إيمان وبغضك نفاق...^(١)

وابن الصبّاغ المالكي هو: الشيخ نورالدين علي بن محمد الأسفاقي المالكي المكي

ترجم له الحافظ شمس الدين السخاوي في الضوء اللامع لأهل القرن التاسع.^(٢)

وكتابه (الفصول المهمة) أحد الكتب التي ألفها علماء أهل السنة على مختلف فرقهم ومذاهبهم

(في مناقب الأئمة)، ذكره صاحب كشف الظنون، ونقل عنه واعتمد عليه المؤلفون الكبار المتأخرون

عنه، كالشمس السخاوي ونور الدين الحلبي والشيخ محمد الصبان.

وإن أغلب الكتب التي نقل عنها ابن الصبّاغ في كتابه المذكور من أشهر كتب أهل السنة في

التفسير والحديث، فهو ينقل عن تفاسير الثعلبي والبغوي والزمخشري ونحوها، وعن مصابيح السنة

والطبقات الكبرى وحلية الأولياء والمعجم الكبير والمعجم الأوسط للطبراني وغيرها.

(١) الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ١٢٧.

(٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٢٨٣/٥.

ومن الكتب التي نقل عنها كتاب (الآل) لابن خالويه، وهو من أشهر وأكبر العلماء في القراءات والحديث والتاريخ والأدب، كما بتراجمه في الكتب المعتمدة وليس فيها إلا المدح والثناء عليه، قال ابن حجر:

الحسين بن أحمد بن خالويه النحوي الهمداني نزيل «حلب»:

أخذ بـ «بغداد» عن أبي بكر بن دريد، وأبي بكر بن مجاهد، وأبي عمر الزاهد، وابن الأنباري، وسمع على أبي العباس بن عقدة وغيره.

قال ابن أبي طي: كان إمامياً عالمياً بالمذهب.

قلت: وقد ذكر في كتاب «ليس» ما يدل على ذلك.

وقال الذهبي في «تاريخه»: كان صاحب سنة.

قلت: يظهر ذلك تقرباً لسيف الدولة صاحب «حلب»، فإنه كان يعتقد ذلك،

وقد قرأ أبو الحسين النصيبي وهو من الإمامية عليه «كتابه» في الإمامة، وله تصنيف في اللغة والفراصة وغيرهما، وكان يقال له: ذو النونين، لأنه كان يكتب في آخر كتبه الحسين بن خالويه، فيعرف بالنونين.

أخذ عنه عبد المنعم بن علبون، والحسن بن سليمان، وغيرهما، ونفق سوقه بـ «حلب»، ووقع

بينه وبين المتنبي منازعات عند سيف الدولة.

مات بحلب سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة وقيل في التي قبلها.^(١)

وقال ابن خلكان:

(١) لسان الميزان ٢ / ٣٠٨.

أبو عبدالله الحسين بن أحمد بن خالويه، النحوي اللغوي، أصله من همدان، ولكنه دخل بغداد، وأدرك جلة العلماء بها مثل أبي بكر ابن الأنباري وابن مجاهد المقرئ وأبي عمر الزاهد وابن دريد، وقرأ على أبي سعيد السيرافي، وانتقل إلى الشام، واستوطن حلب، وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب، وكانت إليه الرحلة من الآفاق، وآل حمدان يكرمونه ويدرسون عليه ويقتبسون منه، وهو القائل:

دخلت يوماً على سيف الدولة بن حمدان، فلما مثلت بين يديه قال لي: اقعد، ولم يقل إجلس، فتبينت بذلك اعتلاقه بأهداب الأدب، وإطلاعه على أسرار كلام العرب،

وإنما قال ابن خالويه هذا، لأن المختار عند أهل الأدب أن يقال للقائم: اقعد، وللنائم والساجد، اجلس، وعَلَّه بعضهم بأن القعود هو الانتقال من العلو إلى أسفل، ولهذا قيل لمن أصيب برجليه مُقعد، والجلوس هو الانتقال من السفلى إلى العلو، ولهذا قيل لنجد جلساء، لارتفاعها، وقيل لمن أتاها: جالس، وقد جلس. ومنه قول مروان بن الحكم لما كان والياً بالمدينة يخاطب الفرزدق [من الكامل]:

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها *** إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس

أي: اقصد الجلساء، وهي نجد. وهذا البيت من جملة أبيات، ولها قصة طويلة، وهذا كله وإن جاء في غير موضعه لكن الكلام شجون.

ولابن خالويه المذكور كتاب كبير في الأدب سمّاه «كتاب ليس» يدلّ على اطلاع عظيم، فإن مبنى الكتاب من أوّله إلى آخره على أنه ليس في كلام العرب كذا وليس كذا. وله كتاب لطيف سماه «الآل» وذكر في أوّله أن الآل ينقسم إلى خمسة وعشرين قسمًا، وما قصر فيه، وذكر فيه الأئمة الاثني عشر، وتاريخ مواليدهم ووفياتهم وأمهاتهم، والذي دعاه إلى ذكرهم أنه قال في جملة أقسام الآل «وآل محمد بنو هاشم». وله كتاب «الاشتقاق» وكتاب «الجمال» في النحو، وكتاب «القرآت»

وكتاب «إعراف ثلاثين سورة من الكتاب العزيز» وكتاب «المقصود والممدود» وكتاب «المذكر والمؤنث» وكتاب «الألفات» وكتاب «شرح المقصورة لابن دريد» وكتاب «الأسماء»، وغير ذلك.

ولابن خالويه مع أبي الطيب المتنبي مجالس ومباحث عند سيف الدولة، ولولا خوف الإطالة لذكرت شيئاً منها.

وله شعر حسن، فمنه قوله على ما نقله الثعالبي في كتاب اليتيمة:

إذا لم يكن صدر المجالس سيّداً *** فلا خير فيمن صدرته المجالس

وكم قائل: مالي رأيتك راجلاً *** فقلت له: من أجل أنك فارس

وخالويه: بفتح الخاء الموحدة، وبعد الألف لام مفتوحة، وواو مفتوحة أيضاً، وبعدها يا مثناة من تحتها ساكنة، ثم هاء ساكنة.

وكانت وفاة ابن خالويه بحلب في سنة سبعين وثلاثمائة، رحمه الله تعالى!^(١)

أقول:

ثم إن الأحاديث في أنّ حبّ علي إيمان وبغضه نفاق، كثيرة بالألفاظ المختلفة، لا يشك في صدور مضمونها عن رسول الله صلّى الله عليه وآله إلا منافق.

وكذا ما ورد في أنّ أول من يدخل الجنة محبّه:

قال الطبراني: حدّثنا أحمد بن محمّد بن العباس المرّي القنطري، حدّثنا حرب ابن الحسن

الطحّان، حدّثنا يحيى بن يعلى، عن محمّد بن عبيدالله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جدّه، أنّ رسول الله

صلّى الله عليه وآله وسلّم قال لعلي رضي الله عنه:

(١) وفيات الأعيان ٢ / ١٧٨.

إنَّ أوَّل أربعة يدخلون الجنَّة أنا وأنت والحسن والحسين، وذرارينا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذرارينا، وشيعتنا عن أيماننا وعن شمائلنا.^(١)

وقال الحاكم: أخبرنا أبو عبدالله محمد بن أحمد بن بطة الأصبهاني، حدَّثنا عبدالله ابن محمد بن زكريّا الأصبهاني، حدَّثنا إسماعيل بن عمرو البجلي، حدَّثنا الأجلح بن عبدالله الكندي، عن حبيب بن أبي ثابت، عن عاصم بن ضمرة، عن علي عليه السلام، قال: أخبرني رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم أنّ أوَّل من يدخل الجنَّة أنا وفاطمة والحسن والحسين.

قلت: يا رسول الله، فمحبّونا؟ قال: من ورائكم.^(٢)

وقال ابن عساكر: أخبرنا أبو الفتح نصر بن القاسم بن الحسن [المهتدي، أنبأنا الحسن بن علي بن عبدالواحد بن البرّي].

وأخبرنا أبو القاسم نصر بن أحمد بن مقاتل، [أنبأنا [أبو] محمد بن البرّي، وأبو الفضل أحمد بن علي بن الفضل بن الفرات].

حيلولة: وأخبرنا أبو الحسين أحمد بن سلامة بن يحيى الأبار وأبونصر غالب [بن أحمد بن المسلم الآدمي، قال: أنبأنا أبو الفضل بن الفرات، قال: أنبأنا أبو محمد بن أبي نصر، أنبأنا أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن المقابري، أنبأنا محمد بن يونس ابن موسى، أنبأنا عبيدالله بن محمد التميمي، أنبأنا إسماعيل بن عمرو البجلي، حدَّثني محمد بن يحيى، عن زيد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن جدّه الحسين، عن علي، قال:

(١) المعجم الكبير ١ / ٣١٩.

(٢) المستدرک على الصحيحين ٣ / ١٥١.

شكوت إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم حسد الناس إياي. فقال: يا علي، إنّ أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين، وذرارينا خلف ظهورنا، وأزواجنا خلف ذرارينا.

قال [علي]: قلت: يا رسول الله، فأين شيعتنا؟ قال: شيعتكم من ورائكم.^(١)

وإذا كان محبّه أول من يدخل الجنة، فإن مبغضه أول من يدخل النار، لأنّ المعيار هو حبّه وبغضه.

وأما قوله صَلَّى الله عليه وآله لعلي: أنت مني وأنا منك ولا نبيّ بعدي، فبه أحاديث كثيرة، وبعضها صحيح على أصول القوم قطعاً.

٤. حديث: هو وليّي وأنا وليّه...

أمّا أنه وليّ رسول الله ورسول الله وليّه - عليهما وآلهما الصّلاة والسّلام - فالأحاديث به كثيرة ولا حاجة إلى ذكر شيء منها.

وكذلك الأحاديث في أنّ النبيّ صَلَّى الله عليه وآله يعادي من عاداه ويسالم من سالمه.

ومن ذلك ما رواه ابن عساكر بإسناده عن أمّ سلمة رضي الله عنها قالت:

كان النبي صَلَّى الله عليه وآله عندنا منكساً رأسه، فعملت له فاطمة خزيمة فجاءت ومعها حسن وحسين، فقال لها النبي، أين زوجك؟ اذهبي فادعيه. فجاءت به، فأكلوا. فأخذ النبي كساءً فأداره عليهم فأمسك طرفه بيده اليسرى ثم رفع يده اليمنى إلى السّماء وقال:

اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي. اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. أنا حرب لمن

حاربتم، سلم لمن سالمتم، عدو لمن عاداكم.^(٢)

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٤ / ١٦٨ - ١٦٩.

(٢) تاريخ دمشق ١٤ / ١٤٣.

٥. حديث: جاء في جبرئيل من عند الله بورقة خضراء...

قال الخطيب الخوارزمي:

وأخبرني الإمام سيد الحفاظ شهر دار بن شيرويه بن شهر دار الديلمي فيما كتب إلي من همدان. أخبرني أبي أخبرني أبو الحسن الميداني الحافظ أخبرني أبو محمد الخلال. حدثني محمد بن عبد الله بن المطلب. حدثني أبو محمد الحسن بن نعيم بالطائف. حدثني عقبة بن المنهال بن بحر أبو زياد. حدثنا عبد الله بن حميد حدثني موسى بن إسماعيل بن موسى عن أبيه عن جده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل عليه السلام من عند الله عز وجل بورقة آس خضراء مكتوب فيها بياض: إني افترضت محبة علي بن أبي طالب على خلقي عامة. فبلغهم ذلك عني.

أقول:

وللخطيب الموفق بن أحمد الخوارزمي المكي ترجمة جلييلة في مختلف كتب التراجم، ذكرناها في بحوثنا، ولعلنا نورد طرفاً منها فيما سيأتي من الكتاب.

الثاني عشر

روى أخطب خوارزم بإسناده إلى أبي ذر الغفاري قال: قال رسول

الله صَلَّى الله عليه وآله: «من ناصب علياً الخلافة بعدي فهو كافر!»^(١)

وعن أنس قال: كنت عند النبي صَلَّى الله عليه وآله، فرأى علياً عليه السلام مقبلاً فقال: «أنا

وهذا حجة على أمتي يوم القيامة».^(٢)

وعن معاوية بن حيدة القشيري قال: سمعت النبي صَلَّى الله عليه وآله يقول لعلي: «يا علي

لايالي من مات وهو يبغضك مات يهودياً أو نصرانياً».^(١)

قال ابن تيمية:

والجواب من وجوه:

أحدها: المطالبة بتصحيح النقل.

الثاني: إنَّ كلَّ من له معرفة بالحديث يشهد أنَّ هذه الأحاديث كذب.

الثالث: إن هذه الأحاديث إن كانت ممَّا رواه الصحابة والتابعون، فأين ذكرها بينهم؟ ومن الذي

نقلها عنهم؟ وفي أيِّ كتاب وجد أنهم روهها؟...

الرابع: علمنا بأنَّ المهاجرين والأنصار كانوا مسلمين وأنَّ أبا بكر الإمام بعد رسول الله، فكيف

يجوز أن يردَّ ما علمناه بالتواتر المتقين، بأخبار هي أقل وأخصر من أن يقال لها أخبار آحاد...

(١) المناقب لابن المغازلي: ٩٣ / ح ٦٨.

(٢) كنز العمال ١١ / ٦٢٠ / ح ٣٣٠١٣؛ تاريخ بغداد ٢ / ٨٦؛ تاريخ مدينة دمشق ٤٢ / ٣٠٩.

الخامس: القرآن يشهد في غير موضع برضا الله عنهم وثنائه عليهم.

السادس: إنّ هذه الأحاديث تقدر في علي وتوجب أنه كان مكذّباً بالله ورسوله، فيلزم من صحّتها

كفر الصحابة كلّهم، هو وغيره...

أقول:

من رواية الحديث الأول: الفقيه المحدث ابن المغازلي الشافعي، قال:

أخبرنا الحسن بن أحمد بن موسى الغندجاني قال: حدثنا أبو الفتح هلال بن محمد قال: حدثنا

إسماعيل بن علي قال: حدثنا علي بن الحسين قال: حدثنا عبد الغفار ابن جعفر قال: حدثنا جرير عن

الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه عن أبي ذر قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من ناصب عليّاً الخلافة بعدي فهو كافر وقد حارب الله

ورسوله، ومن شك في علي فهو كافر.»^(٢)

وابن المغازلي، وإن نفي ابن تيميّة أنّ يكون من أهل العلم بالحديث وطعن في كتابه، من كبار

المحدثين والفقهاء الشافعيّة فهو:

الحافظ علي بن محمد الجلابي ابن المغازلي الواسطي الشافعي. روى عن جماعة من أعلام

الحديث في واسط: كأبي غالب أحمد بن سهل وأبي بكر ابن طاوان السمسار وأبي القاسم البزاز وأبي

الحسن ابن المظفر العطار وأبي الحسن ابن الطيّب وأبي بكر ابن مامويه وأبي البركات التمار وغيرهم.

وروى عنه جماعة من الأعلام: كأبي المظفر عبد الكريم السمعاني وأبي عبد الله الحميدي.

(١) المناقب لابن المغازلي: ٩٦ / ح ٧٤.

(٢) مناقب علي ١ / ٩٧.

قال السَّمْعَانِيُّ: كان فاضلاً عارفاً بـرجالات واسط وحديثهم، وكان حريصاً على سماع الحديث وطلبه، رأيت له ذيل التاريخ لواسط وطالعتُه وانتخبت منه. سمع أباالحسن علي بن عبدالصمد الهاشمي وأبابكر أحمد بن محمد الخطيب وأباالحسن أحمد بن المظفر العطار، وغيرهم. روى عنه ابنه بواسط وأبوالقاسم علي بن طراد الوزير ببغداد.

وغرق ببغداد في دجلة في صفر سنة ٤٨٣ وحمل ميتاً إلى واسط ودفن بها^(١).

وقد وضع سيدنا المرعشي النجفي رحمه الله رسالةً بترجمته، مطبوعة في مقدمة كتاب مناقب علي.

ومن رواية الحديث الثاني: الحافظ الخطيب البغدادي، قال:

محمد بن الأشعث بن أحمد بن محمد بن العباس، أبوالحسن الطائي المروزي. قدم بغداد، وحدث بها عن الحسين بن محمد بن مصعب السنجي. روى عنه محمد ابن إسماعيل الوراق. أخبرني عبد العزيز بن علي الوراق قال: نبأنا محمد بن إسماعيل الوراق إملاء قال: نبأنا أبوالحسن محمد بن الأشعث بن أحمد بن محمد بن العباس الطائي المروزي - قدم علينا للحج - قال: نبأنا الحسين بن محمد بن مصعب السنجي قال نبأنا علي بن المثنى الطهوي قال: نبأنا عبيدالله بن موسى قال: حدثني مطر بن أبي مطر عن أنس بن مالك. قال: كنت عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرأى علياً مقبلاً فقال: «أنا وهذا حجة على أمتي يوم القيامة»^(٢).

وهذا الحديث الذي لم يחדش الخطيب فيه، نقله عنه المتقي الهندي في كتاب كنز العمال^(١).

ومن رواته: الحافظ ابن عساكر، قال:

(١) الأنساب ٣ / ٤٤٦.

(٢) تاريخ بغداد ٢ / ٨٨.

أخبرنا أبو القاسم، أنا أبو القاسم، أنا أبو القاسم، أنا أبو أحمد بن عدي، نا ابن زيدان، نا عبد الرحمن بن

سراج، نا عبيد الله بن موسى، عن مطر، عن أنس قال:

كنت جالساً مع النبي صَلَّى الله عليه وسلّم إذ أقبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال النبي

صَلَّى الله عليه وسلّم: «يا أنس أنا وهذا حجة الله على خلقه».

مطر، هو [مطر] الإسكاف، منكر الحديث.

أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم، وأبو الحسن علي بن أحمد، قالوا: نا - وأبو منصور بن خيرون، أنا

- أبوبكر الخطيب، أخبرني عبد العزيز بن علي الوراق، نا أبو الحسن محمد بن الأشعث بن محمد بن

العباس الطائي المروزي قدم علينا للحج، نا الحسين بن محمد بن مصعب الشيعي، نا علي بن المثنى

الطهوي، نا عبيد الله بن موسى، حدّثني مطر، عن أنس بن مالك قال:

كنت عند النبي صَلَّى الله عليه وسلّم فرأى علياً مقبلاً فقال: «أنا وهذا حجة على أمّتي يوم

القيامة».

أخبرنا أبوبكر محمد بن القاسم بن المظفر بن الشهرزودي - بدمشق - أنا أبو الحسن علي بن أحمد

بن محمد المؤذن المدني - بنيسابور - أنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسى السلمي، أنا

القاضي أبو الحسن عيسى بن حامد الرُّخنجي، نا جدي محمد بن الحسن، نا علي بن محمد القطان، نا

عبيد الله بن موسى العبسي، نا مطر الإسكاف قال:

سمعت أنس بن مالك يقول: نظر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم إلى علي بن أبي طالب رضي

الله عنه فقال: «أنا وهذا حجة الله على خلقه».

أخبرنا أبو عبدالله الحسين بن عبد الملك، أنا أبو طاهر بن محمود، أنا أبو بكر بن المقرئ، أنا أحمد بن عمرو بن جابر الرملي، نا أحمد بن خيثم، نا عبيد الله بن موسى، عن عطاء بن ميمون، عن أنس قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أنا وعلي حجة الله على عباده».^(١)

ومن رواية الحديث الثالث: الفقيه ابن المغازلي، قال:

أخبرنا أحمد بن المظفر بن أحمد العطار الفقيه الشافعي قال: حدّثنا أبو محمّد عبدالله بن محمّد بن عثمان الملقّب بابن السقاء الحافظ الواسطي قال: حدّثني محمّد ابن عليّ بن هاشم الموصلي قال: حدّثنا محمّد بن عبدالله بن محمّد المؤدّب قال: حدّثنا محمّد بن الحارث المصري قال: حدّثنا يزيد بن زريع، قال: حدّثنا بهز ابن حكيم عن أبيه، عن جدّه، وجدّه معاوية بن حيدة القشيري - قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ لِعَلِيِّ: يَا عَلِيُّ لَا يَبَالِي مِنْ مَاتَ وَهُوَ يَبْغُضُكَ: مَاتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا.

قال يزيد بن زريع: فقلت لبهز بن حكيم: أحَدْتِكَ أبوك عن جدّك عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ؟ قال: والله، حدّثني أبي عن جدّي، وإلّا فأصمّ الله أذنيّ بصمّام من نار.^(٢)

أقول:

وإذُ عرفت أنّ الفقيه ابن المغازلي - وليس الخوارزمي - غير متفرد برواية هذه الأحاديث، وأنّها مروّبةٌ في كتب القوم بالأسانيد، ظهر لك تعصّب ابن تيميّة وتسرّعه في الردّ على أحاديث فضائل أمير المؤمنين وأدلة إمامته وخلافته، وخاصّةً دعواه اتّفاق العلماء على أنّ هذه الأحاديث من أعظم المكذوبات!!

(١) تاريخ دمشق ٤٢ / ٣٠٩.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب: ٩٦.

ثم إنَّ ما ذكره من الآيات - في الوجه الخامس - من الثناء على الصحابة، مردودٌ، بأنَّ القرآن الكريم يفسر بعضه بعضاً، كما أنَّ الأحاديث النبوية وأخبار سير الصحابة تفسر ما كان ظاهراً من الآيات في الثناء على عموم الصحابة.

لقد قال تعالى بذيل آية الرضا عن أهل بيعة الشجرة: (فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ...)

وقال تعالى بذيل الآية (مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ...) قال: (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا)

وقال تعالى مخاطباً من حول الرسول: (أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ).

ألم يخبر رسول الله صلى الله عليه وآله - في حديث الحوض المتفق عليه - عن إحداه أكثر أصحابه في الدين وارتدادهم من بعده؟

أليس علماء الفريقين متفقين على كفر الخارجين على علي عليه السلام والمحاربين له؟
وأما قول ابن تيمية:

إن هذه الأحاديث تقدر في علي...

فالجواب عنه: إن حال علي عليه السلام مع القوم حال هارون عليه السلام مع بني إسرائيل، فإنَّ هارون صرَّح بالحق وخاف فسكت، ولهذا لما عاتبته موسى اعتذر قائلاً (إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي)، وكذلك علي عليه السلام امتنع أولاً من البيعة كما هو معروف، فلما آل الأمر إلى الهجوم على بيته والتهديد بالقتل له ولأهله، أعطاهم ما سألوا مكرهاً، ولذا توجه نحو قبر النبي صلى الله عليه وآله وقال: يا ابن أمِّ إنَّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني.

قال العلامة:

قالت الإمامية: إذا رأينا المخالف لنا يورد مثل هذه الأحاديث، ونقلنا نحن أضعافها عن رجالنا الثقات، وجب علينا المصير إليها وحرمة العدول عنها.

قال ابن تيمية:

والجواب أن يقال: لا ريب أن رجالكم الذين وثقتموهم غايتهم أن يكونوا من جنس من يروي هذه الأحاديث من الجمهور، فإذا كان أهل العلم يعلمون بالاضطرار أن هؤلاء كذّابون وأنتم أكذب منهم وأجهل، حرم عليكم العمل بها والقضاء بموجبها.

أقول:

هذا الكلام بداية فصل شحنه بالسب والشتم والإفراء والبهتان للشّيعَة، ونحن نكتفي بالعناوين المذكورة في هذا الكلام:

«علمكم بكثير مما في أيديكم شرّ من علم كثير من اليهود والنصارى بما في أيديهم»

«جمهور المسلمين دائماً يقدحون في روايتكم»

«طائفتم أكذب الطوائف»

«أما الرافضة فهم المعروفون بالبدعة»

«الرافضة يوالون أعداء الدين من اليهود والنصارى والمشركين»

«ولهذا قراءة القرآن فيهم قليلة»

«الرافضة من أجهل الناس بدين الإسلام»

«أيامهم في الإسلام كلّها سود»

«هم الغاية في الجهل وقلة العقل، يبغضون من الامور مالا فائدة لهم في بغضه، ويفعلون من الامور مالا منفعة لهم فيه إذا قدرّ أنهم على حق، مثل نتف النعجة حتى كأن لهم عليها ثأراً كأنهم ينتفون عائشة. وشق جوف الكبش، كأنهم يشقون جوف عمر... ومثل كراهِتْهم للفظ العشرة لبغضهم للرجال العشرة... وكذلك كراهِتْهم لأسام سَمِّي بها من يبغضونه».

«إن الرافضة دسيسة الزنادقة»

أقول:

هذا آخر الجزء الرابع من (شرح منهاج الكرامة والردّ على منهاج ابن تيميّة) وسيتلوه الجزء

الخامس إن شاء الله.

المحتويات

البرهان الرابع: قوله تعالى: (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ)

البرهان الخامس: آية التطهير

البرهان السادس: قوله تعالى: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ...)

البرهان السابع: آية المودة

البرهان الثامن: قوله تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ...)

البرهان التاسع: آية المباهلة

البرهان العاشر: قوله تعالى: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ...)

البرهان الحادي عشر: قوله تعالى: (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...)

البرهان الثاني عشر: قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ

وُدًّا)

البرهان الثالث عشر: قوله تعالى: (إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ)

البرهان الرابع عشر: قوله تعالى: (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُؤُونَ)

البرهان الخامس عشر: قوله تعالى: (وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ...)

البرهان السادس عشر: قوله تعالى: (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ)

البرهان السابع عشر: قوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ...)

البرهان الثامن عشر: آية النجوى

البرهان التاسع عشر: قوله تعالى: (وَسئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ)

البرهان العشرون: قوله تعالى: (وَتَعْيِبَهَا أُذُنٌ وَاَعِيَةٌ)

البرهان الحادي والعشرون: سورة هل أتى

البرهان الثاني والعشرون: قوله تعالى: (وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ...)

البرهان الثالث والعشرون: قوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ)

البرهان الرابع والعشرون: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ)

البرهان الخامس والعشرون: قوله تعالى: (فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)

البرهان السادس والعشرون: قوله تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ...)

البرهان السابع والعشرون: قوله تعالى: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً)

البرهان الثامن والعشرون: ليس من آية في القرآن (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) إلا وعلي رأسها

البرهان التاسع والعشرون: قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ)

البرهان الثلاثون: قوله تعالى: (مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ)

البرهان الحادي والثلاثون: قوله تعالى: (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ)

البرهان الثاني والثلاثون: قوله تعالى: (يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ)

البرهان الثالث والثلاثون: قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ

الْبَرِيَّةِ)

البرهان الرابع والثلاثون: قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا)

البرهان الخامس والثلاثون: قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)

البرهان السادس والثلاثون: قوله تعالى: (وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ)

البرهان السابع والثلاثون: قوله تعالى: (وَاجْعَلْ لِي وِزِيرًا مِّنْ أَهْلِي)

البرهان الثامن والثلاثون: قوله تعالى: (إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ)

البرهان التاسع والثلاثون: قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...)

البرهان الأربعون: قوله تعالى: (فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ...)

المنهج الثالث: في الأدلة المستندة إلى السنة المنقولة عن النبي (ص) وهي اثنا عشر:

الأول: حديث الدار

الثاني: حديث الغدير

الثالث: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ

بعدي»

الرابع: أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ استخلفه على المدينة مع قصر مدة الغيبة

الخامس: ما رواه الجمهور بأجمعهم عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنه قال لأمر

المؤمنين عليه السلام: «أنت أخي ووصيي وخليفتي من بعدي وقاضي ديني».

السادس: المؤاخاة

السابع: حديث الراية في خيبر

الثامن: خبر الطائر

التاسع: أنه أمر بأن يسلموا عليه بإمرة المؤمنين

وقال: إنه سيّد المسلمين...

وقال: هذا وليّ كلّ مؤمن بعدي

وقال: إنّ عليّاً منّي وأنا منه

العاشر: حديث الثقلين و حديث السفينة

الحادي عشر: ما رواه الجمهور من وجوب محبّته ومواليّاته

الثاني عشر: من ناصب عليّاً الخليفة